سبحان من انزل القرآن على النبي الانور بالبيان

قد استتب طبع المجلد الاول الموسوم بانوار التنزيل واسرار التاويل

المعروف

الى الشيخ الكبير البحر الذخار بجواهر التفسير قاضي البيضا عبد الله بن عمر الشافعي

هذا فهرس سور المجلد الاول واجزائه

اسماء الاجزاء والسور	صفحه	اسماء الاجزاء والسور	صفحه
سورة الفاتحة	٣	الجزء العاشر واعلموا	٣١٧
سورة البقرة والجزء الاول الم	٩	سورة التوبة	٣٢٥
الجزء الثاني سيقول	٨١	الجزء الحادي عشر يعتذرون	٣٤٥
الجزء الثالث تلك الرسل	١١٩	سورة يونس عليه السلام	٣٥٢
سورة ال عمران	١٢٩	سورة هود عليه السلام	٣٦٩
الجزء الرابع لن تنالوا البر	١٤٥	الجزء الثاني عشر وما من دابة	٣٧٠
سورة النساء	١٧٠	سورة يوسف عليه السلام	٣٨٩
الجزء الخامس والمحصنات	١٧٨	الجزء الثالث عشر وما ابرئ نفسي	٤٠٠
الجزء السادس لا يحب الله	٢٠٨	سورة الرعد	٤٠٩
سورة المائدة	٢١٤	سورة ابراهيم عليه السلام	٤١٧
الجزء السابع واذا سمعوا	٢٣٧	سورة الحجر	٤٢٧
سورة الانعام	٢٤٧	الجزء الرابع عشر ربما يود الذين	٤٢٨
الجزء الثامن ولو اننا	٢٦٦	سورة النحل	٤٣٦
سورة الاعراف	٢٧٧	سورة بني اسرائيل الجزء الخامس عشر سبحان الذي	٤٥٦
الجزء التاسع قال الملأ	٢٩٠	سورة الكهف	٤٧٤
سورة الانفال	٣٠٨	الجزء السادس عشر قال الم اقل لك	٤٨٧

سبحان من نزل الفرقان على نبي الانس والجان

قد استتب طبع المجلد الاول المسمى بانوار التنزيل واسرار التأويل

المعروف

بالتفسير البيضاوي

[illegible]

الى الشيخ الكبير البحر الزخار بجواهر التفسير قاضي البيضا عبد الله بن عمر الشافعي

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب
العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا أنهم سحروا تسحيرا
ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع
الانغلاق عن آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم
خفايا الملك والملكوت وخبايا القدس والجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام وأوضاعها من نصوص
الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد
ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه
صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك
كراماتهم وسلم عليهم وعلينا تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير
الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم
فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها
ولطالما أحدث نفسي بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين
ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائقة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل
المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن
القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به
عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممه بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن
أشرع وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير والمعطي لكل سؤل

سورة فاتحة الكتاب

وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثنا

على الله عز وجل وما التعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام

العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز

والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلوة لوجوب

قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله صلى الله عليه وسلم هي شفاء لكل داء والسبع المثاني

لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية آية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في

الصلوة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلوة وبالمدينة لما حولت القبلة وقد صح انها

مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن الشيباني عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلهما اختلف في انها آية براسها او بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم يكتب آمين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل [illegible] حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به [illegible] باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسأل من فضله وانما كسرت الباء ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء ولام التاكيد والاسم عند البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة استعمالها فبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير

المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى
لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك
المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب او الاسم
مقحم كما في قول الشاعر: الى الحول ثم اسم السلام عليكما، وان اريد به الصفة كما هو راي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام
الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او
للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت
الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب
على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير اذ العقول
تتحير في معرفته او من الهت الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته
او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله
الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله
كان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضم في وجوه فقيل اله كاعاء و
اشاح ويرده الجمع على الهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى
محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع على كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر: كحلفة من ابي رباح يسمعها لاهه الكبار
وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه
ولانه لو كان وصفا لم يكن قوله لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في
اصله لكنه لما غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه
وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول
للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات
معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة
وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل
مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر: الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال. الرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة
رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي
هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالا والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وكبار وكبّار وذلك
انما يؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن
وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم

والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي
البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب
او جميل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر
عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او
للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان حظر اختصاصه بالله ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا
له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو
المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك
بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها و
المدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان
والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال + افادتكم النعماء مني ثلاثة + يدي ولساني والضمير المحجبا + فهو اعم منهما من
وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعم وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال
جعل رأس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلوة والسلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران
نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه
وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو
او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او غير وسط كما قال الله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله
وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شانه وقرئ الحمد لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا
لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله
شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه
يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه
ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم
من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على
نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم الكبير ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم
افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها
فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها الرحمن الرحيم كرره للتعليل على ما سنذكره مالك يوم الدين قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله
يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم

والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ
ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا او مضافا على انه خبر مبتدأ محذوف
وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا
اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على
طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل
الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا
لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على
الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا
على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه
ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه
مما لا يقبل الشركة فيه وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ثم انه لما ذكر الحقيق
بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا
شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى
الشهود فكان المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر و
الفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شانه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره و
هو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى
العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع
فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله
الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد + ونام الخلي ولم ترقد + وبات وباتت
له ليلة + كليلة ذي العائر الارمد + وذلك من نبا جاءني + وخبرته عن ابي الاسود + وايا ضمير منفصل وما يلحقه من الياء
والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارأيتك وقال الخليل
ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر و
ايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح
الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة
ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه
كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل

وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه
عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات
والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلوة الجماعة او له ولسائر الموحدين
ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت
الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رض معناه نعبدك
ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود
اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة
اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس
وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه
ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي
سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآي ويعلم منه
ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا
منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه
وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف
المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها اهدنا الصراط المستقيم بيان للمعونة المطلوبة فكانه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا
او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم على التهكم و
منه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى
واختار موسى قومه وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء
من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين
الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى
والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي
للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي او بالالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله
الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب
اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عنى به ارشدنا طريق السير
فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى و
يتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي
الطريق لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاء ليكون

اقرب الى المبدل عنه وقرأ ابن كثير برواية قنبل ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش و
الثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة
الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه لانه جعل كالتفسير
والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم
الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة
وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان روحاني كنفخ الروح
فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات
العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق والملكات الفاضلة
وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه
في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم الآخر
فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم
هم الذين سلموا من الغضب والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
نعمة السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذا لم يقصد به معهود
كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمت قلت لا يعنيني * وقولهم اني لامر على الرجل مثلك
فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليهم فيتعين تعين الحركة من
غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم
بما يعم القبيلتين والغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع لانه
نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز
انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق
السوي عمدا او خطأ وله عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب
عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون
الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة
والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد
الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين آمين اسم الفعل الذي هو استجب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء

مثل الله وقصدها فقال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال آخر امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه السلام علمني جبريل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه لقوله عليه السلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي تركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدي بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف اذا عد فيها الالف الاصلية مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهي ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة

الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء
والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها وهي خمسة يجمعها قد طبج نصفها
الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي
سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل
وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة التي يجمعها اهطمين وقد زاد
بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاء في صراط وزراط والفاء في اجداف والعين في اعن والثاء في
ثروغ الدلو والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم
في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والدال والميم والياء والخاء والغين والضاد والطاء والشين
والزاء والفاء والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيهما وهي ثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما
في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاء والسين والفاء نصفها ولما
كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والهاء والعين والغين والخاء والهمزة
كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيها ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية
وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر
ثلث مفردات في ثلث سور لانها توجد في الاقسام الثلثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل
بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلثة على ثلثة اوجه ففي الاسماء
من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلثة في
ثلث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلثة عشر عشرة منها للاسماء وثلثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل
منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القران لهذه الفائدة
مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل
اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها
وعليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القران باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت
مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه
ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القران نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة
على انقطاع كلام واستيناف اخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف كما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال الالف الاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا
الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله تعالى واللام من جبرئيل والميم من محمد اي القران منزل من الله تعالى بلسان جبرئيل على محمد عليهما السلام

او مدد اقوام واجال واستشهد على ذلك بما روي انه عليه الصلوة والسلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل
في دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ
فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين
الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكوة والسجيل والقسطاس او دالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله
ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدي
الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تاخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم متاخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول ان هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه و
الدلالة على الانقطاع والاستيناف يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل
للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل
بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب
الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك
بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد
وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل
ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القران ولذلك اخبر عنها
بالكتاب والقران وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا
منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي اخرها
جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه واخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استاثره الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء
الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما
لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القران او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على
طريقة الله لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة
لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرتها
بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في
الله لافعلن ويكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل
المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها اية عند غير
الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وطس ويس وحم اية وحمعسق ايتان والبواقي ليست بايات
وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه ذلك الكتاب ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة
او القران فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد

ببالم السورة لتذكير الكتب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته و

المراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة و

هو مصدر سمي به المفعول للمبالغة او فعال بني للمفعول كاللباس ثم اطلق على المنظوم عبارة قبل ان تكتب

لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة لا ريب فيه معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب

العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم

في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق المزيح له و

هو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس

فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور

والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة و

هي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك الى

ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين يهديهم الى

الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والبكى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة

في قوله تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه

بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر

وبهذا الاعتبار قال هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتامل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات

والنظر في المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة

حاصلة واليه اشار بقوله تعالى وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا

ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل

من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الاخرة و

له ثلث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة

التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف

باسم التقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل

سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى

للمتقين على الاوجه الثلثة واعلم ان الاية تحتمل وجوها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم القران او السورة

او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به

المؤلف الكامل في تاليفه البالغ اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون

الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى

١٤

من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمه او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما في لا ضير ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستاهل ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب فيه ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحد منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا عن ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقام الصلوة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما آمنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب

١٣

وأما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء
ومجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن
اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج
عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه اضاف الايمان الى القلب
فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل
الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال تع وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص
في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ
المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من انضمام
الاقرار به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تع ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار
لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي
المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه
بداهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان
واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون
غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم
او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رض قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ
هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة **ويقيمون الصلوة**
اي يعدلون اركانها ويحفظونها ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من
قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا
قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه
او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده
قعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت
والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق
بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تع لا المصلون
الذين هم عن صلوتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة
فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله

١٥

على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ
في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه
بالراكع والساجد ومما رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون
والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا على الله ان يمكن من
الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا
الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال المطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم
الله بقوله قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد
للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا
لشمول الرزق له بقوله عليه الصلوة والسلام في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما
حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك
لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت
كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في
سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه
بما هو شقيقها واختها وتقديم المفعول للاهتمام به والمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للكف
عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة و
يؤيده قوله عليه الصلوة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما
خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هم مؤمنو اهل
الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول
اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين آمنوا عن الشرك والانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين
وهو قول ابن عباس او على المتقين فكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الملل ويحتمل
ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام + وليث
الكتيبة في المزدحم + وقوله يا لهف زيابة للحارث + الصابح فالغانم فالآيب + على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير
السمع وكرر الموصول تنبيها على تباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنو اهل الكتاب ذكرهم مخصصين
عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من
الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل
بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيلقيه على الرسول

والمراد بما انزل اليك القرآن بأسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش وبالآخرة هم يوقنون اي يوقنون ايقانا زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في ان نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والآخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره لحب المؤقدان الى مؤسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكأنه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآية والا فاستئناف لا محل لها وكأنه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل والغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكأنه اريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة واولئك هم المفلحون كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كأنه الذي

انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على أن المتقين هم الناس الذين بلغك أنهم المفلحون في الآخرة أو الإشارة إلى ما يعرفه كل واحد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم

تنبيه تأمل كيف نبه سبحانه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الإشارة للتعليل مع الإيجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لإظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء أثرهم وقد تشبثت به الوعيدية في خلود الفساق من أهل القبلة في العذاب ورد بأن المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له رأسا

إن الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخالصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وإن من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وإن عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأحبار اليهود أو للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه والكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لأنها تدل على التكذيب فإن من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لأنها كفر في أنفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم

سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر إن وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه أو بأنه خبر لما بعده بمعنى إنذارك وعدمه سيان عليهم والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له أما لو أطلق وأريد به اللفظ أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة والإسناد إليه كقوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا ويوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه وإنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل

لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده فانهما جردتا عن معنى الاستفهام
لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار
التخويف اريد به التخويف من عقاب الله وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تاثيرا في النفس من
حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع اولى وقرئ ءانذرتهم بتحقيق
الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى
جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف
الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لاجمال ما قبلها
فيما فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل عنه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو
علة الحكم والاية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم
بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان
التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير
واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول صلعم فضل الابلاغ ولذلك قال
سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية
اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة** تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى انه آخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا
غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما ان يحدث
في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد
واعراضهم عن النظر الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها
مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الايات المنصوبة في الانفس والافاق كما تجتليها اعين المستبصرين
فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم
المؤوفة باشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة
بالطبع في قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال في قوله تعالى و
لا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء في قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه
بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الاية

باعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول
ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الثاني ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن
الفطن او قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء
اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك في الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه
باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت
بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف
عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادي امرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال
والبغي الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك في الآخرة
وانما اخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع
ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلام
فيما يضاف الى الله تع من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على
الوقف عليه ولانهما لما اشتركا في الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وادراك
الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون
ادل على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن عن اللبس واعتبار الاصل فانه
مصدر في اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك
العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما في الآية العضو لانه اشد مناسبة
للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى
لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير و
غشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية و
قرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى
وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع والفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة
وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب
كالنكال بناء ومعنى تقول اعذب عن الشيء ونكل عنه اذا امسك ومنه الماء العذب لانه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اي عقابا يردع الجاني عن المعاودة فهو اعم
منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض

الصغير كما ان الحقير دون الصغير والعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه
قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير في الاية ان على ابصارهم غشاوة ليس مما يتعارفه الناس
وهو التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ لما افتتح سبحانه بشرح حال الكتاب العظيم وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت
فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة راسا ثلث بالقسم
الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم
اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول في بيان
خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت
الهمزة حذفها في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الآمنينا
شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستانسون بامثالهم او انس لانهم
ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال
ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي واصحابه ونظراؤه فانهم
من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادة زادوها على الكفر
لا يابى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا يكون الاية تقسيما للقسم
الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا
الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق
لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الاخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد و
ان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل
ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق
وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا فكيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء الايمان بكل
واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول وللمعنى المتصور في النفس المعبر
عنه باللفظ وللرأي والمذهب مجازا والمراد باليوم الاخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان
اصله وما امنوا ليطابق قولهم في التصريح بشان الفعل دون الفاعل لكنه عكس تاكيدا ومبالغة في التكذيب
لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق
الايمان على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والاية تدل على ان من ادعى

الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه
او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينتهض حجة عليهم يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في
جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون بين اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى
عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول صلى الله
عليه وسلم معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون
الله واما ان صورة صنيعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنيع الله معهم باجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجراء حكم الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم
صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما
هو الغرض منه الا انه اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمغالبة والفعل متى غولب فيه
كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون
وكان غرضهم في ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل
بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم
الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ قرأه نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى
ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم
انفسهم حيث حدثتهم بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما
يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يُخَدِّعون من خدّع ويَخْتَدِعون بمعنى يختدعون
ويُخْدَعون ويُخادَعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم
قيل للروح لان نفس الحي به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها
اليه وللرأي في قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا يأمره ويشير عليه والمراد بالانفس
ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم وَمَا يَشْعُرُونَ لا يحسون بذلك لتمادي غفلتهم
جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس
والشعور الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ
اللهُ مَرَضًا المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله
ومجاز في الاعراض النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي

٢١

لانها مانعة عن نيل الفضائل ومؤدية الى زوال الحيوة الحقيقية الابدية والاية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة
تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم
واستعلاء شانه يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤفة
بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع او بازدياد
التكاليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله
واسنادها الى السورة فى قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم
من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة وقذف الرعب فى قلوبهم
وبزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد ولهم عذاب
اليم اى مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده بما كانوا يكذبون قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم او ببدله جزاء لهم وهو
قولهم امنا وقرأ الباقون يكذّبون من كذّبه لانهم كانوا يكذّبون الرسول بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من
كذّب الذى هو للمبالغة او التكثير مثل بيّن الشئ وموّتت البهائم او من كذب الوحشى اذا جرى شوطا ووقف لينظر
وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب
حيث رتب عليه وما روى ان ابرهيم عليه السلام كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب فى صورته
سمى به واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا
بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها
بالضمير الذى فيها والفساد خروج الشئ من الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من
فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم وافشاء الاسرار اليهم فان
ذلك يؤدى الى فساد ما فى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصى والاهانة بالدين
فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى والرسول
او بعض المومنين وقرأ الكسائى وهشام قيل باشمام الضم الاول قالوا انما نحن مصلحون جواب لاذا ورد
للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة من
شوائب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم
تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الا
انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفى التاكيد الا المنبهة على
تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك
بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى بها القسم واختها اما التى هى من طلائع القسم

وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين و
الاستدراك بلا يشعرون وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاجتناب
عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله آمنوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ
في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية
العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به والمقصودة منه و
لذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جمعهما الشاعر في قوله:
اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم
كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل
به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم
فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة
بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأي يقتضيهما نقصان
العقل والحلم يقابله أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله
الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات
والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف
على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى
تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار
وما صدر به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من
الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام
وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي
في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه وسيد
بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته
واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ من خلوت بفلان واليه
اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه و
عدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم
اليهم للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد
فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى
دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق
رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما
قالوه مع الكفار انما نحن مستهزءون تأكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه
لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون
المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت و
استجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وتهزأ به ناقته اى تسرع وتخف
الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ او لكونه
مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء
والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال و
الزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه
فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به
ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى
مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد
حينا فحينا وهكذا كانت نكايات الله تع فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى
طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كأملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره
قالوا لما منعهم الله تع الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه
قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تع
اسناد الفعل الى المسبب واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند
المد الى الشياطين اطلق الغى وقال واخوانهم يمدونهم فى الغى وقيل اصله يمد لهم بمعنى يملى لهم ويمد فى اعمارهم كى يتنبهوا و
يطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدى الفعل بنفسه كما فى قوله تع واختار موسى قومه او التقدير يمدهم
استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون فى طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد فى العتو والغلو فى
الكفر واصله تجاوز الشئ عن مكانه قال الله تع انا لما طغى الماء حملناكم والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التحير فى
الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال + اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة
بالهدى اى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد
العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاى العوضين تصورته بصورة الثمن

فبادله مشتر واحد بآخر ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه ۔ اخذت بالجمة رأسا ازعرا + وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا + كما اشترى المسلم اذ تنصرا + ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره و
المعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا
اليها او اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما
يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه + ولما رأيت النسر عز ابن داية + وعشش في وكريه جاش له صدري + و
التجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو
لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس مالهم
كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق
لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل +
مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع
في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال
وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه
ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير
لكل حال او قصة او صفة لها شأن وفيها غرابة مثل قوله تع مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تع ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم
العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تع وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في نورهم
وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة
الى وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لا يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد
والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي
عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في
اسماء الفاعلين والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي
في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت
ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى ما والتأنيث لان ما
حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرفية او مزيدة وحوله ظرف وتأليف
الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى
هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم

بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين و
الجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس واسناد الاذهاب الى الله تعالى
اما لان الكل بفعله واما لان الاطفاء حصل بسبب خفي وامر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدى
الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه
وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل
ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا
الا ترى كيف قرر ذلك واكد بقوله وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله
مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر
السباع ينشنه والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية و
ظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله تعالى وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات
متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك فكان الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن
آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية
الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر و
اظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح
له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه
يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة
للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ
لما سدوا مسامعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الايات بابصارهم جعلوا كانما
ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
وكقوله اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة
اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير
لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه
صفحا كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوي ذكره بحذف المبتدا
لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت
الضمير للمنافقين على ان الاية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها

٢٦

والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت
حواسهم وانتقصت قواهم وثلثها وقرئ بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة
من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمى به فقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ لا يعودون الى
الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون ايتقدمون ام
يتاخرون الى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب
لتحيرهم واحتباسهم أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون
اصابعهم او في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او
ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن
ذلك قوله او كصيب معناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه
بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب
قال الشماخ ✦ واسحم دان صادق الرعد صيب ✦ وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر
شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى سماء كما
ان كل طبقة منها سماء قال ✦ ومن بعد ارض بيننا وسماء ✦ امد به ما في صيب من المبالغة من جهة
الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف الماهية فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ان
اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد
والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل
وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه
اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما
مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه
واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله ✦ يسقون من ورد البريص عليهم
بردى يصفق بالرحيق السلسل ✦ حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكانه لما ذكر ما يؤذن
بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة
مِنَ الصَّوَاعِقِ متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل
معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد
ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس بقلب من

من الصواعق لاستواء كلا البنائين في التصرف فيقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الساعقة وهي
في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر
الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحيوة وقيل عرض يضادها
لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين
لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد
البرق يخطف ابصارهم استيناف ثان كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من
افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض
مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه
ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب من غير ان لتوكيد القرب بالدلالة على الحال وقد
تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف
الاخذ بسرعة وقرئ يخطِف بكسر الطاء ويَخَطِّف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت
في الطاء ويِخِطِّف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا
اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك
واضاء اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في
مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة اظلم على البناء
للمفعول وقول ابي تمام شعر هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين
لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام
اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه
قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي ولو شاء ان يذهب
بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد
تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب كقوله ع فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف
الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب
باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب
سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشية الله تعالى وان
وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شيء قدير كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص
بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول الباري تعالى كما قال قل اي شيء اكبر شهادة قل الله و
بمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله ان الله على كل شيء قدير والله خالق كل شيء

فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم
ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هي التمكن من ايجاد الشيء
وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر
هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى
واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما يقتضيه مشيئته وفيه دليل
على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شيء وكل شيء مقدور لله
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت
حتى صارت شيئا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الاية فانه تشبيه
حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين
من الحيرة والشدة بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقاده في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد
قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى
فتشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول
امرئ القيس ؎ كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان يشبه في الاول ذوات المنافقين
بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير
ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وافشاء حالهم وابقائهم في
الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم
المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة
عاد نفعه ضرا ونفاقهم حذرا عن نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من
الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيئا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر
وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم
فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي
الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتبكت بها من الشبه المبطلة و
اعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق
وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو
قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح
ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم

ال الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلون بها فانه على
ما يشاء قدير يا أيها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف أمورهم
أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرا
لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد
إما لعظمته كقول الداعي يا رب يا الله وهو أقرب إليه من حبل الوريد أو لغفلته وسوء فهمه أو للاعتناء بالمدعو
له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لأنه نائب مناب فعل وأي جعل وصلة إلى نداء المعرف باللام
فإن إدخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فإنهما كمثلين وأعطي حكم المنادى وأجري عليه
المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه إشعارا بأنه المقصود وأقحمت بينهما هاء التنبيه تأكيدا وتعويضا عما
يستحقه أي من المضاف إليه وإنما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله بأوجه من التأكيد وكل ما نادى
الله له عباده من حيث إنها أمور عظام من حقها أن يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها وأكثرهم عنها غافلون
حقيق بأن ينادى له بالآكد الأبلغ والجموع وأسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه
صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون واستدلال الصحابة
بعمومها شائعا ذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد معنى لما تواتر من دينه عليه السلام
أن مقتضى خطابه وأحكامه شامل للقبيلين ثابت إلى قيام الساعة إلا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن أن
كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فمكي ويا أيها الذين آمنوا فمدني إن صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا أمرهم
بالعبادة فإن المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار
هو الشروع فيها بعد الإتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والإقرار بالصانع فإن من لوازم وجوب الشيء وجوب
ما لا يتم إلا به وكما أن الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال
بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وإنما قال ربكم تنبيها على أن الموجب للعبادة هي التربية
الذي خلقكم صفة جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح إن خص الخطاب بالمشركين و
أريد بالرب أعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها أربابا والخلق إيجاد الشيء على تقدير واستواء وأصله التقدير
يقال خلق النعل إذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كل ما يتقدم الإنسان بالذات أو
الزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة أخرجت مخرج المقرر عندهم إما لاعترافهم به كما قال ولئن
سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله أو لتمكنهم من العلم به بأدنى نظر و
قرئ من قبلكم على إقحام الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا أبا لكم تيما الثاني
بين الأول وما أضيف إليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كأنه قال اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا
في سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على أن التقوى منتهى درجات

السالكين وهو التبرأ من كل شئ سوى الله الى الله تع وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء
كما قال الله تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه
على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه
وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق اى خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم
بوحدانيته واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته ثوابا فانها لما
وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض
فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجي على ثلثة
اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله شعر فقد جعلت قلوص بني سهيل + من الاكوار مرتعها قريب +
وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين
كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان
جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة
حتى صارت مهياة لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع
عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على
الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه بنى على امرأته
لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على
جعل وخروج الثمار بقدرة الله ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان
بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة
يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب
والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته
ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان
المطر يبتدأ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة
من اعماق الارض الى جو الهواء فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف
المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا
الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى
المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرة جماعة الثمرة
التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض

كقوله تعالى كم تركوا من جنات وقوله ثلثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد

القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم

فلا تجعلوا لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له

او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا

لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان

استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ

معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال

جرير اتيما تجعلون الى ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص

بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما

زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها

الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما

لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا الله اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية

زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذ انقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل

الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل

العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات منفرد بوجوب الذات

متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من

يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل

المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله تعالى والنهي عن الاشراك به والاشارة الى

ما هو العلة والمقتضي وبيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه

خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم

من المطعوم والملبوس والرزق اعم من الماكول والمشروب ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها احد غيره

شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه وتعالى اراد من الاية الاخيرة مع ما دل

عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه من المعاني والصفات على طريقة

التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة

بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج

القوى السماوية الفاعلية والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد

مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله لما قرر وحدانيته وبين الطريق

٣٢

الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القران المعجز بفصاحته التى بذت
فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم
فى المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما
يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما ترى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم
كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة وكان الواجب تحديهم على هذا الوجه
ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا
يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القران المترجمة التى اقلها ثلث ايات وهى ان جعلت
واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على
انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة
فى المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارى او لها مراتب فى الطول والقصر
والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السؤرة التى هى البقية والقطعة من الشئ
والحكمة فى تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارى وتسهيل
الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا
والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك
عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اى بسورة كائنة من مثله والضمير
لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اى بسورة مماثلة القران فى البلاغة وحسن
النظم او لعبدنا ومن للابتداء اى بسورة كائنة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم
العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فأتوا بسورة من مثله ولسائر
ايات التحدى ولان الكلام فيه لا فى المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان
مخاطبة الجم الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت
بنحو ما اتى به هذا اخر مثله ولانه معجز فى نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على
صفته ولا يلائمه قوله تعالى وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم
ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمى به لانه
يحضر النوادى ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول فى
سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين
الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اى خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل

زيد دون عمرو اى فى الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى امر الى آخر

قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين

وقال امية يا نفس مالك دون الله من واق اى اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة

بادعوا والمعنى وادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله فانه لا يقدر

ان يأتى بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه

من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهدائكم الذين اتخذتموهم من دون الله اولياء او آلهة وزعمتم انها

تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم بين يدى الله على زعمكم من قول الاعشى * تريك القذى

من دونها وهى دونه * ليعينوكم وفى امرهم ان يستظهروا بالجماد فى معارضة القرآن غاية التبكيت والتهكم بهم و

قيل من دون الله اى من دون اوليائه يعنى فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله

فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين * انه من كلام

البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة

لانه تعالى كذب المنافقين فى قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان

الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة

لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول عليه الصلوة والسلام وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو

كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز و

التصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذى يعم الاتيان به وغيره

ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز

وصدر الشرطية بان التى للشك والحال يقتضى اذا الذى للوجوب فان القائل سبحانه لم يكن شاكا فى عجزهم ولذلك نفى اتيانهم

معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم

لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع فكأنه

قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل

فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار

وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح وقال سيبويه سمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم

بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد

به المصدر فعلى حذف المضاف وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير

منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع

المضار بمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ

يجمعهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم وقيل الذهب والفضة التي
كانوا يكنزونهما ويغترون بهما وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل
حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم لهبها بحيث يتقد
بما لا يتقد به غيرها والكبريت تتقد بها كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس فلعله عنى
به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعدما نزل
بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة
صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ
اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها وان
جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض
على الجد وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من
سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجؤا الى جلاء
الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشيء لامتنع خفاؤه عادة سيما و
الطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه الصلوة والسلام لو شك في امره لما دعاهم الى
المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة لهم الآن

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن
ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا
لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه
او على فاتقوا لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب
ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر
او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان
يبشروا ويهنؤا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر
اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر
فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله
تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال
كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تاتيني وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها
على تاويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق
هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس

والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء بأس لابناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه. ان لهم منصوب بنزع الخافض و افضاء الفعل اليه او مجرور باضمار مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره و مدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال كان عيني في غربي مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا * اي نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى و دار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما يترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه عليه السلام لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار المذكورة في قوله تعالى فيها انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها و اسناد الجري اليها مجاز كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه لما قيل ان لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال واصل الكلام معناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهد منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى فان الطبائع مائلة الى المألوف متنفرة عن غيره ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها

متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك
فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه عليه الصلوة والسلام قال والذي نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها
على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة
رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم في اللذة والتشابه البليغ
في الصورة واُتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه
مدلول عليه بقوله تعالى هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي
بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه والتماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات الدنيا و
الاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة دون
المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة
ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي
رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم
تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع
وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء
فعلت وفعلن وهن فاعلة وفاعلات وفواعل قال * واذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور
فملت * فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطّهّرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ
من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في
الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة المنكوح التوالد
وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها
الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في
تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون * دائمون والخلد والخلود في الاصل
الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام
حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقوله
وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام
ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الايات والسنن فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة
للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها

لاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر
متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما نشاهد في بعض المعادن هذا فان قياس ذلك العالم
واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية
مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام
فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها
ومثل ما اعد لهم في الآخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه
وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة
والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد
المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان
من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء
واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في
الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب
اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله تعالى حال
المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها
اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب والعنكبوت وايضا لما ارشدهم
الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب
ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء
انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل
الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة لانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن
افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما
جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه
اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه
اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا * اذا ما استحين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد * وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الآية خاصة
ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على
آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه

وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطنى كتابا ما اى اى كتاب

كان او مزيدة للتاكيد كالتى فى قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعنى بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله هدى

وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة فى الهدى

غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانها نكرة او هما

مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان يكون موصولة

حذف صدر صلتها كما حذف فى قوله تعالى تماما على الذى احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية

على الوجهين واستفهامية هى المبتدأ كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما

فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالى بما يهب ما دينار ودينار

والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف

على بعوضة او ما ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها فى الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه

والمعنى انه لا يستحيى ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو

الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلوة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره فى الاحتمالين ما روى

ان رجلا بمنى خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضى الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه

يحتمل ما تجاوز الشوكة فى الالم كالخرور وما زاد عليها فى القلة كنخبة النمل لقوله عليه السلام

ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم

اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد

فذاهب معناه مهما يكن من شئ فزيد ذاهب اى هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان

الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوها على الخبر

وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفى تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم وذم بليغ

للكافرين على قولهم والضمير فى انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذى لا يسوغ انكاره يعم

الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق

محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه

ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل

الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى

الذى وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اى شئ منصوب المحل على

المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن فى جوابه الرفع على الاول والنصب على الثانى ليطابق الجواب السؤال والارادة

نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل و
الثاني قبله وكلا المعنيين غير متصور في اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل
ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته تعالى و
قيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه
ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا الترجيح وهي اعم
من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله
هذه ناقة الله لكم آية يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير
وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين بأما وتسجيل
بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال و
فسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين
قليلون بالاضافة الى اهل الضلال كما قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان
يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال + قليل اذا
عدوا وكثير اذا شدوا + وقال + ان الكرام كثير في البلاد وان + قلوا كما غيرهم قل وان كثروا + وَمَا يُضِلُّ
بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ اي خارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون من قولهم فسقت
الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة + فواسقا عن قصدها جوائرا +
والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا
مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا
اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي
او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر
تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض
الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم
الى الضلال به وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى
حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزءوا به وقرئ يُضَل على البناء
للمفعول والفاسقون بالرفع الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ صفة للفاسقين للذم وتقرير للفسق والنقض
فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل
لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد

كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد مثل الحبل في ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه نزل قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاستحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد يقال شأنت شانه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني احسن لفظا ومعنى ويفسدون في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون # الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع الكفر عليها على الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون وكنتم امواتا اي اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة

فاحياكم بخلق الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف
البواقي ثم يميتكم عند تقضي اجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور ثم اليه ترجعون
بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قيل ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم
من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الاية تنبيه على ما يدل على صحتهما
وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدأ الخلق ليس باهون عليه من اعادته او مع
القبيلتين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك
بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان
عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الاخرة لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع
ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل
فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد
الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم
الموت المعروف ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فيثيبكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها
ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعلم والعقل والايمان من حيث انه كمالها وغايتها والموت بازائها
يقال على ما يقابلها في كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها و
قال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها
صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرأ
يعقوب ترجعون بفتح التاء في جميع القرآن هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة
على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم وتم معاشهم
ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلائمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض الا اذا اريد به جهة
السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال

۴۲

لما فيه من التسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه تعالى لانه من خواص الاجسام وقيل استوى استقر وملك قال
قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق * والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية
المرتبة عليها بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق
السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين آمنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى و
الارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان
تستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا آخر دل عليه ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها مثل تعرف
الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن
ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل
او تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية
نفي الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف وهو بكل شيء عليم فيه تعليل كانه
قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان
فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن
الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت
اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها
ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث
مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الآيتين اما الاولى فهي ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان
عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها
قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها
واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم
واحيائهم وانه خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك
دليل على تناهي علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو
فهو وهي تشبيها له بعضد واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس
كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على سكان ملكوته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع
لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما
الى الجمل كحيث في المكان وبنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية
فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تاويل اذكر الحادث
اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الآية قالوا او اذكر على التاويل المذكور لانه جاء معمولا له

[illegible] خلقكم اذ قال وعلى هذا
فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل
جمع شمأل والتاء لتانيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسائط بين الله تعالى وبين الناس فهم
رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب
اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك و
قالت طائفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة
مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال
بغيره كما وصفهم في محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما
يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول
لهم الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة
الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس في جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم
في الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى الاستقبال ومعتمد على
مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه السلام
لانه كان خليفة الله تعالى في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة
الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو
جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه
نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا عليه السلام
ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته
بينهما الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون
من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم
مضر وهاشم او على تاويل من يخلف او خلفا يخلف وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان
بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه
وبيان ان الحكمة تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا أتجعل فيها
من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف
مكان اهل الطاعات اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار
عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه وليس باعتراض على الله ولا طعن في

بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم
بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله او تلق من اللوح واستنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في
الدمع والدم والسبك في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك
السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك
الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك
وانا الصديق المحتاج والمعنى استخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما
رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة و
الطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تلك القوتين لا يقتضي الحكمة ايجاده فضلا عن
استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم بما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن
فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة
الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات
واستخراج منافع الكائنات من القوة الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا
بقوله قال اني اعلم ما لا تعلمون ۞ والتسبيح تبعيد الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء
وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشيء مبعده عن الاقذار بحمدك في موضع الحال
اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس
لك نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي
هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام زائدة وعلم ادم الاسماء كلها
اما بخلق علم ضروري بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كازر وشالخ واشتقاقه من الادمة وهي
السمرة او من الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض
قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم والادمة بمعنى الالفة
تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق
ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ
الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على
معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الآية اما الاول او الثاني وهو يستلزم

الاول لان التكلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء مختلفة

وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه

معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على

الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض

عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسوال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد بها

الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها

على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئونى باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف و

التدبير واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف

بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم

او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام

باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاءات قالوا سبحانك لا علم لنا

الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سوالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل

الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم

كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه

على الشذوذ فى قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال و

لذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس ع سبحانك انى كنت من

الظالمين انك انت العليم الذى لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وانت فصل

وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ فى المتبوع ولذلك

جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اى اعلمهم

وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب

السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله انى اعلم ما لا تعلمون

لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم

الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم

وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة و

انه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية والهمزة للانكار دخلت

حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على

العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه

لاختصاصه بمن خفيت عليه وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها
ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي ان يكون ذلك
الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت
العليم الحكيم وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا عليه
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله تعالى
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملائكة اسجدوا**
لآدم لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه و
قيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين امتحانا لهم
واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على
الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود في الاصل تذلل مع
تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طأطأ رأسه
وفي الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم
قبلة سجودهم تفخيما لشأنه او سببا لوجوبه وكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات
باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملائكة الى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى
ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم
عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان أليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له
او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المأمورين بالسجود لآدم
الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه
وصلة في عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين**
اي في علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بانه افضل منه
والافضل لا يحسن ان يؤمر بالتخشع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والآية تدل على ان آدم افضل من
الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح
استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة
نوعا ولان ابن عباس رضي روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه

لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن
ايضا كانوا مامورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مامورون بالتذلل
لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في فسجدوا راجع الى القبيلتين فكانه قال فسجد المامورون
بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس معصومين و
الغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض و
الصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس فلذلك
صح عليه التغير من حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام
قال خلقت الملائكة من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرنا فان المراد بالنور الجوهر المضيء و
النار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق
فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد
حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى
ومن فوائد الآية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض
في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتم
وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا الاشعري وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك
الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تاكيد اكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا
تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن
زعم انها لم تخلق بعد قال انها بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط
على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منها رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف
حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي
عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب
الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشيء يورث
داعية وميلا ياخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روي حبك الشيء يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما
حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعاصي وبنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف
على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من
غير قاطع كما لم تعين في الآية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء

فأزلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما
فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان
ازل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او
القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما
كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخلت
ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله فاخرجهما مما كانا فيه
من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما
الجنس كلهم او لهما وابليس اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال
استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم على بعض بتضليله ولكم في الارض مستقر موضع استقرار
ومتاع تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى آدم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين
علمها وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب
الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك
قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى
الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات
لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر آدم لان حواء كانت تبعا له
في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذي يكثر اعانتهم
على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع
عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة وفي الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا
كرر للتأكيد او لاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر بانهم اهبطوا
للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية
للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا
لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثاني منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تأكيد في
المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك جاؤوا جميعا فاما يأتينكم
مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول
وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم

منى هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدى كائن لانه محتمل في نفسه
غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل
اي فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب
فيحزنوا عليه والخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على آكد وجه وابلغه وقرئ هدى
على لغة هذيل فلا خوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى
آخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا بآياته او كفروا بالآيات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين
الى الجار والمجرور والآية في الاصل العلامة الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة
من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين اياً من اي او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا
على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فاعلت او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا والمراد بآياتنا الآيات المنزلة او ما يعمها والمعقولة
وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب
المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند
اليه العصيان والغي فقال وعصى آدم ربه فغوى والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس اعترافه
بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس
انه لو لم يذنب لم يجر عليه ما جرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ والمدعي مطالب بالبيان والثاني ان
النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسيأتي الجواب عنه
في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ما جرى معاتبة على ترك الاولى ووفاء بما قال للملائكة قبل
خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط
عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى فعله
الى ما جرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول السم على الجاهل بشأنه لا يقال انه باطل لقوله تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما
الآيتان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين ما قاله ابليس فلعل مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم
الله تعالى الى ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه او الاشارة
الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الى النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا
بيده وقال هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وانما جرى عليه ما جرى تعظيما لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة
على ان الجنة مخلوقة وانها في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان عذاب النار دائم
والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة
والمعاد وعقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده
لا شريك له ومن حيث ان الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيئا منها اخبار بالغيب معجز يدل

على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان
قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم ويوفوا بعهده في اتباع الحق واقتفاء الحجج
ليكونوا اول من آمن بمحمد وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اي اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب
المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل
عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اي بالتفكر
فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم فان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله الغيرة
والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء والشكر وقيل اراد بها ما انعم على
آبائهم من الانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد عليه السلام وقرئ اذكروا والاصل
اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة
اوف بعهدكم بحسن الاثابة والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني الى المفعول فانه
تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما
عرض عريض فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن الدم والمال وآخرها منا الاستغراق
في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روي عن ابن عباس اوفوا بعهدي
في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض وترك الكبائر
اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل
كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل
العهدين قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة
واياي فارهبون فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع
التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبوني
والرهبة خوف معه تحرز والآية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي
ان لا يخاف احدا الا الله وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود
والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها
او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما
يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح
من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب
ان تكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين به والمبشرين بزمانه اول كافر به

خبر عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا
عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا
تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله
اوأل من وأل فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا﴾ ولا تستبدلوا
بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك
الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها
عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه ﴿واياي فاتقون﴾ بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت
الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الآية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم
والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى الذي هو منتهاه ﴿ولا تلبسوا الحق
بالباطل﴾ عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي
تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله
﴿وتكتموا الحق﴾ جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن
مسعود وتكتمون الحق اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق ﴿وانتم تعلمون﴾
عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر ﴿واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة﴾ يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكوة من
زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من
الخبث والنفس من البخل ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما
فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلوة بالركوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدي
لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه ﴿اتأمرون الناس بالبر﴾ تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير
ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملات الاجانب ﴿وتنسون انفسكم﴾ وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس انها
نزلت في احبار المدينة كانوا يأمرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
﴿وانتم تتلون الكتاب﴾ تبكيت كقوله تعالى وانتم تعلمون اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول
العمل ﴿افلا تعقلون﴾ قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل
الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك هذا الادراك والآية
ناعية على من يعظ غيره ولا يعظ نفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع
بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم لا منع الفاسق عن الوعظ

فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم
لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على
حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف
المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق
وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه
امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اي الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها
ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون
انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه
لتضمن معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم
ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ بسببه متاعبها ومن ثم قال
عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم كرره للتوكيد وتذكير التفضيل
الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها واني فضلتكم عطف على
نعمتي على العالمين اي عالمي زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله
من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف
واتقوا يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه
على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى عنه وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف وتقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال
اتسع فيه فحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله او مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة
ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفي ان يدفع العذاب
احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع
والثاني اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزي عنه او بغيره وهو ان يعطي عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت بالمفدى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في
سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضر وقد تمسكت

تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة لأهل الكبائر وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار للآيات والأحاديث الواردة
في الشفاعة ويؤيده أن الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم وإذ نجيناكم من آل فرعون
تفصيل لما أجمله في قوله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكائيل على الملائكة وقرئ أنجيتكم
وأصل آل أهل لأن تصغيره أهيل وخص بالإضافة إلى أولي الخطر كالأنبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكي
الروم والفرس ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل إذا عتا وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد
وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما أكثر من أربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا إذا أولاه ظلما
وأصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب أفظعه فإنه قبيح بالإضافة إلى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على
المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم أو من آل فرعون أو منهما جميعا لأن فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وإنما فعلوا بهم ذلك لأن فرعون رأى في المنام أو
قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفي ذلكم بلاء محنة إن أشير بذلكم إلى صنيعهم
ونعمة إن أشير به إلى الإنجاء وأصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة أطلق عليهما ويجوز أن
يشار بذلكم إلى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم أو ببعث موسى عليه السلام وبتوفيقه لتخليصكم أو
بهما عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على أن ما يصيب العبد من خير أو شر اختبار من الله تعالى فعليه أن يشكر على مساره ويصبر
على مضاره ليكون من خير المختبرين وإذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم
فيه أو بسبب إنجائكم أو ملتبسا بكم كقوله شعر تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لأن المسالك كانت اثنى عشر
بعدد الأسباط فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون أراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بأنه كان أولى به وقيل شخصه كما روي أن الحسن
كان يقول اللهم صل على آل محمد أي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر أتباعه وأنتم تنظرون ذلك أي غرقهم وإطباق البحر عليهم وانفلاق
البحر عن طرق يابسة مذللة أو جثثهم التي قذفها البحر إلى الساحل أو ينظر بعضكم بعضا روي أنه تعالى أمر موسى أن يسري ببني إسرائيل فخرج بهم
فصبحهم فرعون وجنوده فصادفوهم على شاطئ البحر فأوحى الله تعالى إليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فظهرت فيه اثنا عشر طريقا
يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف أن يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل
إليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم وأغرقهم أجمعين واعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله
به على بني إسرائيل ومن الآيات الملجئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه السلام ثم إنهم اتخذوا العجل وقالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم
فإنهم مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكياء وإخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره
وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة
وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لأنها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي واعدنا لأنه تعالى
وعده الوحي ووعده موسى المجيء للميقات إلى الطور ثم اتخذتم العجل إلها أو معبودا من بعده من بعد مضيه عليه السلام إلى

وأنتم ظالمون * بإشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا إذا درس من بعد ذلك أي الاتخاذ
لعلكم تشكرون * لكي تشكروا عفوه وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة
تفرق بين الحق والباطل وقيل أراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل في الدعوى أو بين الكفر والإيمان وقيل
الشرع الفارق بين الحلال والحرام أو النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم
تهتدون * لكي تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم
العجل فتوبوا إلى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع إلى من خلقكم بريئا من التفاوت وميز بعضكم عن بعض بصور
وهيئات مختلفة وأصل التركيب لخلوص الشيء عن غيره إما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض من مرضه والمدين
من دينه أو الإنشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين أو فتوبوا فاقتلوا أنفسكم تماما لتوبتكم بالبخع أو قطع الشهوات كما
قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل أمروا أن يقتل بعضهم بعضا وقيل أمر من لم يعبد العجل أن
يقتل العبدة روي أن الرجل يرى بعضه وقريبه فلم يقدر على المضي لأمر الله فأرسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون
فأخذوا يقتتلون من الغداة إلى العشي حتى دعا موسى وهارون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين ألفا
والفاء الأولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث إنه طهرة من الشرك ووصلة إلى
الحياة الأبدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف إن جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره
إن فعلتم ما أمرتم به فقد تاب عليكم أو عطف على محذوف إن جعلته خطابا من الله لهم على طريقة الالتفات كأنه قال
ففعلتم ما أمرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الأمر عليه إشعارا بأنهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى
تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة وأن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه ولذلك
أمروا بالقتل وفك التركيب إنه هو التواب الرحيم * الذي يكثر توفيق التوبة أو قبولها من المذنبين ويبالغ في الإنعام عليهم
وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لأجل قولك أو لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهي في الأصل مصدر قولك جهرت
بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لأنها نوع من الرؤية أو الحال من الفاعل أو المفعول وقرئ جهرة بالفتح على أنها
مصدر كالغلبة أو جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة
آلاف من قومه والمؤمن به أن الله الذي أعطاك التوراة وكلمك أو أنك نبي فأخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت و
طلب المستحيل فإنهم ظنوا أنه تعالى يشبه الأجسام فطلبوا رؤيته رؤية الأجسام في الجهات والأحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن
أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين في الآخرة ولأفراد من الأنبياء في بعض الأحوال في الدنيا قيل جاءت نار
من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وأنتم تنظرون * ما أصابكم
أو أثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث بالموت لأنه قد يكون عن إغماء أو نوم كقوله تعالى ثم بعثناهم
لعلكم تشكرون * نعمة البعث أو ما كفرتموه لما رأيتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه
وأنزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر إلى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني

وينزل بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على إرادة القول وما ظلمونا
فيه اختصار وأصله فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفران لأنه لا يتخطاهم
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل أريحا أمروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا نصب على
المصدر أو الحال من الواو وادخلوا الباب أي باب القرية أو القبة التي كانوا يصلون إليها فإنهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى
عليه السلام سجدا متطامنين مخبتين أو ساجدين لله تعالى شكرا على إخراجهم من التيه وقولوا حطة أي مسألتنا أو أمرك حطة و
فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الأصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة أو على أنه مفعول قولوا أي قولوا هذه الكلمة
وقيل معناه أمرنا حطة أي أن نحط في هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر
بالتاء على البناء للمفعول وخطايا أصله خطايئ كخطايع فعند سيبويه أبدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الألف
واجتمعت همزتان فأبدلت الثانية ياء ثم قلبت ألفا وكانت الهمزة بين الألفين فأبدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم
فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسن وأخرجه عن صورة الجواب إلى
الوعد إيهاما بأن المحسن بصدد ذلك وإن لم يفعله فكيف إذا فعله وأنه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم بدلوا بما أمروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا فأنزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة
في تقبيح أمرهم وإشعارا بأن الإنزال عليهم لظلمهم بوضع غير المأمور به موضعه أو على أنفسهم بأن تركوا ما يوجب نجاتها إلى ما يوجب
هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الأصل ما يعاف عنه وكذلك
الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي أنه مات به في ساعة أربعة وعشرون ألفا وإذ استسقى
موسى لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روي أنه كان حجرا طوريا
مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل عين في جدول إلى سبط وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر
اثنا عشر ميلا أو حجرا أهبطه آدم من الجنة ووقع إلى شعيب فأعطاه مع العصا أو الحجر الذي فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل
وبرأه الله تعالى به عما رموه به من الأدرة فأشار إليه جبرئيل بحمله أو للجنس وهذا أظهر في الحجة قيل لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه
ولكن لما قالوا كيف بنا لو أفضينا إلى أرض لا حجارة بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه إذا نزل فينفجر ويضربه بها
إذا ارتحل فييبس فقالوا إن فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى إليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون
وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا في ذراع والعصا عشرة أذرع على طول موسى من آس الجنة وله شعبتان تتقدان في
الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فإن ضربت فقد انفجرت أو فضرب فانفجرت كما مر في قوله فتاب
عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل أناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا
على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لأنه يشرب ويؤكل مما ينبت به ولا تعثوا
في الأرض مفسدين لا تعتدوا حال إفسادكم وإنما قيده لأنه وإن غلب في الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة
الظالم المعتدي بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير أنه يغلب فيما يدرك حسا

انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون
من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من
تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك وإذ قلتم يا موسى
لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف
ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب
واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا
ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب
الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازي واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار و
البقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا
لنا وقيل الثوم وقرئ قثائها بالضم وهي لغة فيه قال اي الله او موسى اتستبدلون الذي هو ادنى
اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد في الشرف
والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة بالذي هو خير يريد به المن والسلوى
فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط
الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين
الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون في
مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائم فعرب فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة
احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على
كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم
وباؤا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل
البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات
الله ويقتلون النبيين بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام
وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وآية الرجم والتي فيها
نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك
اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان
والتمادي والاعتداء فيه الى الكفر بالآيات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب

يؤدي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحري كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله
وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل
ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول رؤبة * فيها خطوط من سواد وبلق * كانه في الجلد
توليع البهق * والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك
جاء الذي بمعنى الجمع ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بألسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين
منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ تهودوا يقال هاد وتهود
اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب
يهوذا وكأنهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام ﴿وَالنَّصَارَى﴾ جمع نصران كندامى والياء في
نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال لها نصران او
ناصرة فسموا باسمها او من اسمها ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه
السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء
اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل
﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد
عاملا بمقتضى شرعه وقيل من آمن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الذي وعد لهم على ايمانهم وعملهم ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ حين يخاف الكفار من العقاب
ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل
من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها في
خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ باتباع موسى والعمل بالتوراة ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ حتى
اعطيتم الميثاق روي ان موسى لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم
وابوا قبولها فامر جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا ﴿خُذُوا﴾ على ارادة القول ﴿مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من
الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد وعزيمة ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا
به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق
بالقول المحذوف اي قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ ثم اعرضتم عن الوفاء
بالميثاق بعد اخذه ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال

في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشيء لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشيء لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ اللام موطئة للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود على نبينا وعليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه واذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان يدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾ اي المسخة او العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تاخر منها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ من قومهم او لكل متق سمعها ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ اول هذه القصة قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه الى باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ اي مكان هزء او اهله او مهزوأ بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله او استخفافا به وقرأ حمزة واسمعيل عن نافع بسكون الزاي وحفص عن عاصم بضم الزاي وقلب الهمزة واوا ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ اي ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شيء من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة ﴿عَوَانٌ﴾ نصف قال

نواعم بين ابكار وعون

﴿بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ اي ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير

البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما و
يؤيد الرأي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم لكن
شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون
اى تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله * امرتك الخير فافعل ما امرت به * او امركم بمعنى مأموركم قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة و
لذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها
فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى
جمالات صفر قال الاعشى * تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر اولادها كالزبيب * ولعله عبر بالصفرة
عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع
تسر الناظرين * اى تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا
ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى
ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر
ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه
بمعنى تتشبه وتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه ومشتبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد
ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى
وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث الارادة
واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث اى لم تذلل
للكراب وسقي الحروث ولا ذلول صفة البقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان
صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هي كقولك مررت برجل لا بخيل ولا
جبان اى حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب واهلها من العمل او اخلص لونها من
سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية
اذا خلط بلونه لونا آخر قالوا الآن جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ
الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير
فحصلوا البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في
ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني
استودعتكها لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها

ذبحها وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم
وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجئ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل
فيهم فادّارأتم فيها اختصمتم في شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح كل
قتلها عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل
والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط
ذراعيه لانه حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على ادّارأتم وما بينهما اعتراض والضمير
للنفس والتذكير على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيي الله الموتى يدل على ما حذف
وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الآية ويريكم آياته دلائله على كمال
قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس
كلها او تعملوا على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء
الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة
والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما روي عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلث مائة دينار وان المؤثر
في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في
اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى
ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لاشية
بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع
ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة
كما في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوّه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني
احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة
منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد منها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الحجر بالجر عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من
المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها
بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان
منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق

يتردى من اعلى الجبل انقيادا لما اراد الله به وقلوب
هؤلاء لا تتاثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على
انها المخففة من المثقلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون
وعيد على ذلك قرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر وحماد بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء
أفتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا
لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية
ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او تاويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء
من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله يقول في اخره ان استطعتم
هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة
وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة
فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك وإذا لقوا الذين آمنوا
يعني منافقيهم قالوا آمنا بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في التورية وإذا خلا بعضهم إلى بعض
قالوا اي الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق أتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في
التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا
لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار
ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه
محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند
ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعه أفلا تعقلون
اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى
للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم أولا يعلمون
يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن
جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه
ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية إلا أماني
استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على
الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها
منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرؤون قراءة عارية
عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله * تمني داود الزبور على رسل * وهو لا يناسب وصفهم بانهم

امیون وان هم الا يظنون ۝ ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل راى واعتقاد
من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اى تحسر وهلك ومن
قال انه واد او جبل فى جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوء فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا و
هو فى الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعنى المحرف و
لعله اراد به ما كتبوه من التاويلات الزائغة بايديهم تاكيدا كقولهم كتبته بيمينى ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ط كى يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة
الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعنى المحرف وويل لهم مما يكسبون ۝ يريد به
الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشئ بالبشرة بحيث تتاثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك
يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة ط محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام
عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف
سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار الذال
والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف
الله عهده وفيه دليل على ان الخلف فى خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ۝ ام معادلة
لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى
بل اتقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا
على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفى من كسب سيئة قبيحة و
الفرق بينها وبين الخطيئة انها قد يقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطاء
والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته
اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح
فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك
فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه و
ارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى
مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى ثم كان عاقبة
الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ۝ ملازموها فى الاخرة كما انهم يلازمون اسبابها فى الدنيا دائمون
او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ۝ جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع

ووعد ووعيد لترجى رحمته ويخشى عذابه وعطف ثم على لا يتمارى به على خروجهم عن مسماه وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ خبر بمعنى النهي كقوله تعالى لا تضار والدة وكالتي لا تستهديه وهو ابلغ من
صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا
عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا عن الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه
كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون
بالياء لانهم غيب وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ
عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنا بضمتين و
هو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ يريد بهما
ما فرض عليهم في ملتهم ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ يريد به من اقام اليهودية على
وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب
عن المواجهة الى جهة العرض وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ على نحو ما
سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا
او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم
ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه
الجلاء الحقيقي ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ بالميثاق واعترفتم بلزومه وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ توكيد كقولك اقر فلان
شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذلك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير
الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ
فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر
هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتّلون على التكثير تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم والكسائي وحمزة
بحذف احدى التائين وقرئ بإظهارها وتظهرون بمعنى تتظهرون وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ روي ان قريظة
كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار

واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في
ايدي الشياطين تتصدوا لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى و
سكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من
ديارهم وبينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون
من المصدر واخراجهم بدل او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعني الفداء وتكفرون ببعض يعني
حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة
وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزي ذل يستحيي منه ولذلك يستعمل في كل
منهما ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تاكيد
للوعيد اي ان الله سبحانه بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب
لقوله منكم وابن كثير ونافع وعاصم في رواية ابي بكر ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية في الدنيا
والتعذيب في الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التورية وقفينا
من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه
به اتبعه اياه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية
من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه
وقرئ ايدناه بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل وقيل
روح عيسى ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك اضافها الى نفسه او لانه لم
يضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذي كان يحيي به الموتى وقرأ ابن كثير
القدس بالاسكان في جميع القران افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر
هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على
تعقيبهم ذلك بهذا او تعجيبا من شانهم ويحتمل ان يكون استينافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم
عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا
تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا
لها في النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حول قتل محمد لولا

ان اعصه منكر ولذلك سمي تموج وسمي له الشاة ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غُلُف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها من غيره ﴿بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادهم او انها لم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال الله تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم او هم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتب وقيل اراد بالقلة العدم ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ يعني القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية ﴿وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل يسأل ذلك عن نفسه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا﴾ من الحق ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾ حسدا وخوفا على الرياسة ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ اي عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا صفته ومعناه باعوا او شروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ هو المخصوص بالذم ﴿بَغْيًا﴾ طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة يكفروا دون اشتروا للفصل ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ اي لان ينزل اي حسدوا على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ يعني الوحي ﴿عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ على من اختاره للرسالة ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى او بعد قولهم عزير ابن الله ﴿وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ يعم الكتب المنزلة باسرها ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ اي بالتوراة ﴿وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ حال عن الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الضمير لما وراءه والمراد به القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ حال مؤكدة تتضمن رد مقالهم لانهم لما كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل آبائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا في كل القرآن

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ يعني الآيات التسع المذكورة في قوله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إلهاً مِنْ بَعْدِهِ بعد مجيء موسى بالبينات او ذهابه الى الطور وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝ حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بآيات الله او اعتراض بمعنى انتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضاً لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول عليه السلام طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ط اي قلنا لهم خذوا ما امرتم به في التوراة بجد واسمعوا سماع طاعة قَالُوا سَمِعْنَا قولك وَعَصَيْنَا امرك وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون في بطونهم ناراً بِكُفْرِهِمْ بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسماً اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سوّل لهم السامري قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ اي بالتوراة والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث الزاماً عليهم إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتوراة وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فيها ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغي ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذاً لستم بمؤمنين قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هوداً ونصبها على الحال من الدار الآخرة مِنْ دُونِ النَّاسِ سائرهم او المسلمين واللام للعهد فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال امير المؤمنين علي كرم الله وجهه لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بصفين الآن الاقي الاحبة محمداً صلى الله عليه وسلم وحزبه وقال حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ط من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التوراة ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا الموت لنقل واشتهر فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝ تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون

في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ﴾ من وجد بعقل العلم يجرى مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ محمول على المعنى فكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف احرص لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدا محذوف صفته ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ﴾ على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف ﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن ﴿وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليه السنون والزحزحة التبعيد ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ نزل فى عبد الله بن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فرآه ببابل غلاما مسكينا واخذه ليقتله فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبم تقتلونه وقيل دخل عمر مدراس اليهود يوما فسألهم عن جبرئيل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله تعالى قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبرئيل قد سبقه بالوحى فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفى جبرئيل ثمانى لغات قرئ بهن اربع فى المشهورة جبرئيل كسلسبيل قراه حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة قراه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قراه عاصم برواية ابى بكر وجبريل كقنديل قراه الباقون واربع فى الشواذ جبرائيل وجبرائل وجبرئل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف وقيل معناه عبد الله ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ﴾ البارز الاول لجبرئيل والثانى للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ فانه القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بامره او بتيسيره حال من فاعل نزل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ احوال من مفعوله والظاهر ان جواب

٦٨

الشرط فانه نزله والمعنى من عادى منهم جبرئيل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب فى عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدوه كما قال مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَاِنَّ اللّٰهَ عَدُوٌّ لِلْكٰفِرِينَ ۝ اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدّر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء فى الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لحبهم وعداوتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل وَلَقَدْ اَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ اٰيٰتٍۭ بَيِّنٰتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ اِلَّا الْفٰسِقُونَ ۝ اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل فى نوع من المعاصى دل على اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل فى ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشىء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اَوَكُلَّمَا عٰهَدُوا عَهْدًا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نَبَذَهٗ فَرِيقٌ مِنْهُمْ نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ رد لما يتوهم ان الفريق النابذ هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ كعيسى ومحمد عليهما السلام نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰبَ كِتٰبَ اللّٰهِ يعنى التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول كالقرآن وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كَاَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ انه كتاب الله يعنى ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطى حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيٰطِينُ عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التى تقرأها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما عَلٰى مُلْكِ سُلَيْمٰنَ اى عهده وتتلوا حكاية حال ماضية قيل

كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس
وفشى ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه تسخر به الانس والجن والريح له وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر
ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما عنه وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا باستعماله وقرأ ابن عامر
وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ اغواء واضلالا والجملة حال عن الضمير
في كفروا والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان مما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن
يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما
يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز
او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير
الاعتبار او به نوع اخر اقوى منه او على ما تتلوا وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة
وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم
صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر
وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف
على ما كفر وتكذيب لليهود في هذه القصة بِبَابِلَ ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور
انه بلد من سواد الكوفة هَارُوتَ وَمَارُوتَ عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة
ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض
وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى
يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن
ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه
والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى
الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا الضمير لما دل عليه من احد
مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ بضاري على
الاضافة الى احد وجعل الجار جزء منه والفصل بالظرف وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ لانهم يقصدون
به العمل او لان العلم يجر الى العمل غالبا وَلَا يَنْفَعُهُمْ اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع في الدارين وفيه
ان التحرز عنه اولى وَلَقَدْ عَلِمُوا اي اليهود لَمَنِ اشْتَرَاهُ اي استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله
والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ نصيب وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ

تخيل بعيبه على ما هو لو كانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين او حقيقة ما يتبعه
من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل او ترتب العقاب
من غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم آمنوا بالرسول
والكتاب واتقوا بترك المعاصي كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله
لاثيبوا مثوبة من الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات
المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من
ثواب خير وقيل لو للتمني ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب
اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا
وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول راعنا اي راقبنا وتأن بنا
فيما تلقننا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية
التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل
التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا
لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اي قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج
لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة
او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين
عذاب اليم يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين
نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء
مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب و
المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء و
فسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شيء منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما
يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف
فيه من حكمته ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد صلى الله عليه وسلم
يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره كنسخ الظل
للشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الآية بيان
انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ
منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اي نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير

وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي ننس احدا اياها وننسها اي انت وتنسها على البناء
للمفعول وننسكها بضمير المفعولين نأت بخير منها أو مثلها اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب ومثلها
في الثواب قرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير فيقدر على النسخ والاتيان
بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور
المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة
وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في عصر غيره و
احتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلا والسنة
ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما
اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير
والتفاوت من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديم ألم تعلم
الخطاب للنبي والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم أن الله له ملك
السموات والأرض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير
وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير وانما هو الذي
يملك اموركم ويجريها على ما يصلحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبيا عن المنصور أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل أم معادلة للهمزة
في ألم تعلم اي ألم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد أم تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت
في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالآيات البينات
وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط
السبيل ويؤدي بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من أهل الكتاب
يعني احبارهم من اليهود لو يردونكم ودوا ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ من بعد إيمانكم كفارا مرتدين
هو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند أنفسهم يجوز ان يتعلق بود اي تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا
من قبل التدين والميل مع الحق او بحسدا اي حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات و
النعوت المذكورة في التوراة فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتي الله بأمره الذي
هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ بآية السيف وفيه نظر اذ
الامر غير مطلق إن الله على كل شيء قدير فيقدر على الانتقام منهم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

عطف على فاعفوا كأنه امرهم بالصبر والمخالقة والملجأ الى الله بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم
من خير كصلوة او صدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل
الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى لف بين قولي الفريقين
كما فى قوله وقالوا كونوا هودا او نصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد
الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل
على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الى ما فى الاية على حذف
المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة
قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول
لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه
او قصده واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره الذى وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص
والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى
ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون فى الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود
على شئ اى امر يصح ويعتد به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم و
اتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب والواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا
ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك اى مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام
والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ
ليس بشئ قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه و
كتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم
القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان
يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى فى تعطيل
مكان مرشح للصلوة وان نزل فى الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع وسعى فى خرابها
بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغى لهم ان
يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه فيكون

وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول
في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم
في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الآخرة عذاب عظيم بكفرهم وظلمهم
ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص به مكان دون مكان فان منعتم
ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية
شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته
اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم
بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضي الله عنهما انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل
في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطأ
لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز وجهة وقالوا
اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركوا العرب
الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو
سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع
امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم يتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا
او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده والمعنى انه خالق ما
في السموات والارض الذي من جملته الملائكة والعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون
عن مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب لذاته فلا يكون له ولدا لان من حق
الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون على تغليب اولي العلم تحقيرا لشأنهم وتنوين كل
عوض عن المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما
بعد اقامة الحجة والآية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء على ان من ملك ولده
عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضي تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره
السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها
ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء كلها فاعل على الاطلاق
منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع
الذي هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على
البدل من الضمير في له ومنصوبا على المدح واذا قضى امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله
وقضى ربك او فعلا كقوله فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه

يوجبه فانما يقول له كن فيكون * من كان التامة اي احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل
حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة
خامسة وهو ان اتخاذ الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغني عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
واعلم ان السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول
حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الرب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة
فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اي
جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحي الينا بانك
رسوله او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثاني جحود ان ما اتاهم آيات الله استهانة به وعناد
كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين
قد بينا الآيات لقوم يوقنون * اي يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة
الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا
به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ
نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهي للرسول عليه الصلوة والسلام عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة
الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من
النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة في اقناط الرسول عن اسلامهم فانهم اذا
لم يرضوا منه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال قل تعليما
للجواب ان هدى الله هو الهدى اي هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون
اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان انبيائه من امليت
الكتاب اذا امليته والهوى رأي يتبع الشهوة بعد الذي جاءك من العلم اي من الوحي او الدين المعلوم
صحته ما لك من الله من ولي ولا نصير * يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب
يريد به مؤمني اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر في معناه والعمل
بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك
يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم
الخاسرون * حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة
ولا هم ينصرون * لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن اضاعتها والخوف

عن الساعة واهوالها كرر ذلك وختم بها الكلام مبالغة في النصح وايذانا بانه فذلكة القضية
والمقصود من القصة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ كلفه باوامر ونواه والابتلاء في الاصل
التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير
لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تاخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد يطلق على
المعاني ولذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة في قوله التائبون العابدون وقوله ان
المسلمين الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها في
قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد
والنار والهجرة على انه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التي بعدها وقرئ ابراهيم ربه
على انه دعا ربه بكلمات مثل ارني كيف تحيي الموتى اجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن
عامر ابراهام ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ فاداهن كملا وقام بهن حق القيام كقوله وابراهيم الذي وفى وفي الاخيرة الضمير لربه
اي اعطاه جميع ما دعاه ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ استئناف ان اضمرت ناصب اذ كانه قيل فماذا قال له
ربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فيكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي
له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته
مامورا باتباعه ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب
سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى
التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ
عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون
الامامة لانها امانة من الله وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على
عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل
ما نالك فقد نلته ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعا يثوب
اليه اعيان الزوار وامثالها او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لانه مثابة كل
احد ﴿وَأَمْنًا﴾ وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يامن حاجه
من عذاب الآخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا
لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم
وهو امر استحباب ومقام ابراهيم الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج

اثر قدميه مع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلوة والسلام اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اى واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ امرناهما أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ بان طهرا ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه لِلطَّائِفِينَ حوله وَالْعَاكِفِينَ المقيمين عنده او المعتكفين فيه وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ اى المصلين جمع راكع وساجد وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا يريد البلد او المكان بَلَدًا آمِنًا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قَالَ وَمَنْ كَفَرَ عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ تضمن معنى الشرط فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا خبره والكفر وان لم يكن سبب التمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل به الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ اى الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابراهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فأُمْتِعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واِضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطّره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وَبِئْسَ الْمَصِيرُ المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه ويرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشأنها وَإِسْمَاعِيلُ كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيانه في طرفين او على التناوب رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا اى يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لدعائنا الْعَلِيمُ بنياتنا رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم

أو إذا صلحوا صلح بهم الأتباع وخص بعضهم لما علما أن في ذريتهما ظلمة وعلما أن الحكمة الإلهية لا تقتضي
الاتفاق على الإخلاص والإقبال الكلي على الله تعالى فإنه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه ويجوز أن تكون من للتبيين كقوله وعد الله
الذين آمنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله خلق سبع سموات
ومن الأرض مثلهن ﴿وأرنا﴾ من رأى بمعنى أبصر أو عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين ﴿مناسكنا﴾ متعبداتنا
في الحج أو مذابحنا والنسك في الأصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ
ابن كثير والسوسي عن أبي عمرو ويعقوب أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه إجحاف لأن الكسرة منقولة من الهمزة
الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن أبي عمرو بالاختلاس ﴿وتب علينا﴾ استتابة لذريتهما أو عما فرط منهما
سهوا ولعلهما قالا هضما لأنفسهما وإرشادا لذريتهما ﴿إنك أنت التواب الرحيم﴾ لمن تاب ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ أي في
الأمة المسلمة ﴿رسولا منهم﴾ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلوات الله عليه فهو المجاب به دعوتهما كما قال أنا دعوة أبي إبراهيم
وبشرى عيسى ورؤيا أمي ﴿يتلو عليهم آياتك﴾ يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى إليه من دلائل التوحيد والنبوة ﴿ويعلمهم
الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ ما يكمل به نفوسهم من المعارف والأحكام ﴿ويزكيهم﴾ عن الشرك والمعاصي ﴿إنك أنت العزيز﴾
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد ﴿الحكيم﴾ المحكم له ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ استبعاد وإنكار لأن يكون أحد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء أي لا يرغب أحد عن ملته ﴿إلا من سفه نفسه﴾ إلا من استمهنها وأذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب
سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس وقيل أصله
سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه وقول جرير ؛ ونأخذ بعده بذناب عيش ؛ أجب الظهر
ليس له سنام ؛ أو سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب
لأنه في معنى النفي ﴿ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ حجة وبيان لذلك فإن من كان صفوة
العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه إلا سفيه أو
متسفه أذل نفسه بالجهل والإعراض عن النظر ﴿إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ ظرف
لاصطفيناه وتعليل له أو منصوب بإضمار اذكر كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح المستحق للإمامة
والتقدم وأنه نال ما نال بالمبادرة إلى الإذعان وإخلاص السر حين دعاه ربه وأخطر بباله دلائله المؤدية إلى
المعرفة الداعية إلى الإسلام روي أنها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني أخيه سلمة ومهاجرا إلى الإسلام فأسلم سلمة
وأبى مهاجر ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه﴾ التوصية هو التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة وأصلها الوصل
يقال وصاه إذا وصله وفصاه إذا فصله كأن الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة أو لقوله
أسلمت على تأويل الكلمة أو الجملة وقرأ نافع وابن عامر وأوصى والأول أبلغ ﴿ويعقوب﴾ عطف على إبراهيم
أي وصى هو أيضا بها بنيه وقرئ بالنصب على أنه ممن وصاه إبراهيم ﴿يا بني﴾ على إضمار القول عند البصريين

ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو
ابراهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحاق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين
وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وزبولون ودونى ونفتولى ولودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى
لكم الدين دين الاسلام الذى هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون * ظاهره النهى عن
الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود هو النهى عن ان يكونوا على غير تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام
كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم
ونظيره فى الامر مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب
اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها الانكار اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة
بمحذوف تقديره أكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك انما علمتموه من الوحى
وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدى اى شئ تعبدونه اراد به تقريرهم
على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شئ ما لم يعرف فاذا عرف
خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك
واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل
من آبائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه كما قال فى العباس رضى الله عنه
هذا بقية آبائى وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال * ولما تبين اصواتنا * بكين وفديننا بالابينا * او
مفرد وابراهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة
وفائدته التصريح بالتوحيد ونفى التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على
الاختصاص ونحن له مسلمون * حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك
امة قد خلت يعنى ابراهيم ويعقوب وبنيهما والامة فى الاصل المقصود وسمى بها الجماعة لان الفرق تؤمها
لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون
بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلوة والسلام يا بنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم ولا
تسألون عما كانوا يعملون * ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى
الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته او بل نتبع ملة ابراهيم
وقرئت بالرفع اى ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من
المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين * تعريض

أهل الكتاب وغيرهم فإنهم يدّعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فإن
آمنوا بمثل ما آمنتم به وما أنزل إلينا يعني القرآن قدّم ذكره لأنه أول بالإضافة إلينا لأنه سبب للإيمان بغيره
وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط الصحف وهي وإن نزلت إلى إبراهيم لكنهم
لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت أحكامها فهي أيضا منزلة إليهم كما أن القرآن منزل إلينا والأسباط
جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب أو أبناءه وذراريهم فإنهم حفدة إبراهيم وإسحق وما أوتي
موسى وعيسى التوراة والإنجيل أفردهما بالذكر بحكم أبلغ لأن أمرهما بالإضافة إلى موسى وعيسى مغاير لما
سبق والنزاع وقع فيهما وما أوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من
لا نفرق بين أحد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض وأحد لوقوعه في سياق النفي عمّ فساغ أن يضاف إليه بين ونحن له
مسلمون مذعنون مخلصون فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت
كقوله فأتوا بسورة من مثله إذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الإسلام وقيل الباء للآلة دون
التعدية والمعنى إن تحروا الإيمان بطريق يهدي إلى الحق مثل طريقكم فإن وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق
أو مزيدة للتأكيد كقوله جزاء سيئة بمثلها والمعنى فإن آمنوا بالله إيمانا مثل إيمانكم به أو المثل مقحم كما في قوله
وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به أو بالذي آمنتم به وإن تولوا
فإنما هم في شقاق أي إن أعرضوا عن الإيمان أو عما تقولون لهم فما هم إلا في شقاق الحق وهو المناوأة والمخالفة فإن
كل واحد من المتخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم
بالحفظ والنصرة على من ناواهم وهو السميع العليم إما من تمام الوعد بمعنى أنه يسمع أقوالكم ويعلم إخلاصكم
وهو مجازيكم لا محالة أو وعيد للمعرضين بمعنى أنه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة
الله أي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة حلية
المصبوغ أو هدانا الله هدايته وأرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره وسماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم
ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب أو للمشاكلة فإن النصارى كانوا يغمسون
أولادهم في ماء أصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على أنه مصدر
مؤكد لقوله آمنا وقيل على الإغراء وقيل على البدل من ملة إبراهيم ومن أحسن من الله صبغة لا صبغة أحسن من
صبغته ونحن له عابدون تعريض بهم أي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مفعول قولوا ولمن نصبها على الإغراء أو البدل أن يضمر قولوا معطوفا على الزموا أو اتبعوا ملة إبراهيم
وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل أتحاجوننا أتجادلوننا
في الله في شأنه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي أن أهل الكتاب قالوا الأنبياء كلهم منا فلو
كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده

وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ فلا يبعد أن يكرمنا بأعمالنا كأنه ألزمهم على كل مذهب ينتحلونه إفحاما و
تبكيتا فإن كرامة النبوة إما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء وإما إفاضة حق على المستعدين لها
بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالإخلاص فكما أن لكم أعمالا ربما يعتبرها الله في إعطائها فلنا أيضا أعمال وَنَحْنُ لَهُ
مُخْلِصُونَ موحدون نخلصه بالإيمان والطاعة دونكم أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى أم منقطعة والهمزة للإنكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
بالتاء يحتمل أن يكون معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الأمرين تأتون المحاجة أو ادعاء اليهودية أو النصرانية على
الأنبياء قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وقد نفى الأمرين عن إبراهيم بقوله ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه
بقوله وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه أتباعه في الدين وفاقا وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ يعني شهادة الله لإبراهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا أحد أظلم من أهل
الكتاب لأنهم كتموا هذه الشهادة أو منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلعم بالنبوة
في كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد لهم وقرئ بالياء
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما
استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفي الآية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد
بالأمة في الأول الأنبياء وفي الثاني أسلاف اليهود والنصارى سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ
خفت أحلامهم واستمهنوها بالتقليد والإعراض عن النظر يريد المنكرين لتغير القبلة من المنافقين واليهود
والمشركين وفائدة تقديم الإخبار به توطين النفس وإعداد الجواب مَا وَلَّاهُمْ ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا
يعني بيت المقدس والقبلة في الأصل الحال التي عليها الإنسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة
قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع إقامة غيره مقامه وإنما
العبرة بارتسام أمره لا بخصوص المكان يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما ترتضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه إلى بيت المقدس تارة والكعبة أخرى وَكَذَلِكَ إشارة إلى مفهوم الآية المتقدمة أي كما جعلناكم مهديين
إلى الصراط المستقيم أو جعلنا قبلتكم أفضل القبل جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا أي خيارا أو عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو
في الأصل اسم للمكان الذي تستوي إليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط
وتفريط كالجود بين الإسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم أطلق على المتصف بها مستويا فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الأسماء التي يوصف بها واستدل به على أن الإجماع حجة إذ لو كان فيما اتفقوا
عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا علة للجعل
أي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وأنزل عليكم من الكتاب أنه تعالى ما بخل على أحد وما ظلم بل أوضح السبل وأرسل
الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والإعراض عن الآيات فتشهدون بذلك

٩٢

على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله

ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقول

الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق

فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن

لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون

الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه

صلى الله عليه وسلم كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس

كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى

الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع

الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا

لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك

الى ما كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف

يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى

ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او ليميز الثابت

عن المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له

قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن

ينقلب اي لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام

هي الفاصلة وقال الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة

التي كنت عليها من الجعلة او الردة او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فيكون كانت زائدة الا

على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم

اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلوتكم اليها لما روي انه صلى الله عليه وسلم

لما وجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس

لرءوف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل

وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرءوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك

في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع

في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم واقدم القبلتين وادعى

للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك

قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها و
تتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام
نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم استعمل
لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون
الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب
روي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال
قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب و
تبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتاكيدا لامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان
الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة
بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او التوجه وما الله بغافل عما
يعملون * وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتاء وعد ووعيد للفريقين ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم المضمر ما تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر
وساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها بحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما
انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا
له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان
اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما
هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا
بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق
المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم الكتاب يعني
علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل
كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر انه سال عبد الله
ابن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي
فاما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن عاند واستثناء لمن امن
الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدأ خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب
واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه

بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة هو موليها احد المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقرئ ولكل وجهة بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبر الضعف العامل وقرأ ابن عامر مولاها اي هو مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا في اي موضع تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلات يأت بكم الله جميعا ويجعل صلوتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا للمعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقونها مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب * للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشوني فلا تخالفوا ما امرتكم به ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتدائكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث

تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في امر القبلة او في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده
اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه
باعتبار القصد واخره في دعوة ابراهيم باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون * بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر
فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت به عليكم ولا تكفرون * بجحد
النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس والصلوة التي
هي ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات رب العالمين ان الله مع الصابرين * بالنصرة و
اجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات بل احياء بل هم احياء
ولكن لا تشعرون * ما حالهم وهو تنبيه على ان حيوتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من
الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن رح ان الشهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا
فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة
بانفسها مغائرة لما يحس من البدن يبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الايات
والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم
ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع
اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او
بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم في الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من
الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي رح الخوف خوف الله والجوع
صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوة والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد و
عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون
نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلعم ولمن يتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان
من مكروه لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان
بل وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرد منه
فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة في الاصل

الدعاء ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان

عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله تعالى مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا

صالحا يرضاه وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * للحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى إِنَّ الصَّفَا

وَالْمَرْوَةَ هما علما جبلين بمكة مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ

اعْتَمَرَ الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا

مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بهما لذلك فنزلت والاجماع على

انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس لقوله فلا جناح

عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه

وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب

عليكم السعي وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف

او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او

بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطّوّع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف

فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ * مثيب على الطاعة لا تخفى عليه إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ كاحبار اليهود مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ كالآيات

الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم وَالْهُدَى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ لخصناه فِي الْكِتَابِ في التوراة أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * اي الذين يتأتى

منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا عن الكتمان وسائر ما يجب ان يتاب عنه وَأَصْلَحُوا

ما افسدوا بالتدارك وَبَيَّنُوا ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا سمة الكفر

عن انفسهم ويقتدي بهم اضرابهم فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ بالقبول والمغفرة وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * المبالغ في

قبول التوبة وافاضة الرحمة إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات

أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * استقر عليهم لعن الله ومن يعتد بلعنه من خلقه وقيل

الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك

اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة خَالِدِينَ فِيهَا اي في اللعنة او النار واضمارها

قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * لا يمهلون

او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد

لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منهم

العبادة الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه

لم يستحق العبادة احد غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون

تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ

انما جمع السموات وافراد الارض لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين

وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ تعاقبهما كقوله جعل الليل والنهار خلفة وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا

يَنْفَعُ النَّاسَ اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر

لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما

البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانه بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير

ضمة الواحد عند المحققين وَمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ من الاولى للابتداء والثانية للبيان و

السماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا بالنبات وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ

عطف على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان

الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ في مهابها واحوالها

وقرأ حمزة والكسائي على الافراد وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا ينزل ولا ينقشع مع ان

الطبع يقتضي احدهما حتى ياتي امر الله وقيل مسخر الرياح تقلبه في الجو بمشية الله واشتقاقه من

السحب لان بعضه يجر بعضا لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم و

عنه عليه السلام ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود

الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها

بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا يتحرك السموات او بعضها كالارض

وان يتحرك بعكس حركاتها وبحيث يصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا

او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه

حكمته وتقتضيه مشيته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت

ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع موثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل

بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى

لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث و

النظر فيه وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ أَنْدَادًا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا

يطيعونهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله تعالى

يُحِبُّونَهُمْ يعظمونهم ويطيعونهم كَحُبِّ اللّٰهِ كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم

في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ

٨٦

فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في
الطاعة وصونه عن المعاصي وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ لانه لا ينقطع محبتهم لله بخلاف محبة الانداد
فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله عند الشدائد
ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ
الانداد إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ اذا عاينوه يوم القيامة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله ونادى
اصحاب الجنة أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان
القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان
محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره
وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك
لرأيت امرا عظيما وقرأ ابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعَذَابِ على الاستيناف او اضمار القول إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا بدل من اذ يرون اي
اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء وَرَأَوُا الْعَذَابَ اي
رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ يحتمل العطف
على تبرأ او رأوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق
على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ تقطعت
على البناء للمفعول وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا لو للتمني ولذلك
اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كَذَلِكَ مثل ذلك الاراء الفظيع يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ
عَلَيْهِمْ ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع
الى الدنيا يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة
والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض
اذ لا يوكل كل ما في الارض طَيِّبًا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول وَ
لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ
نافع وابو عمرو وحمزة بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهو ما بين قدمي الخاطي وقرئ
بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو إِنَّهُ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه
ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ بيان لعداوته

ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كانه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان آباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله تعالى وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او مثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتأملون فيما يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع آبائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل المركب صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ رفع على الذم فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اي بالفعل للاخلال بالنظر يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال وَاشْكُرُوا لِلَّهِ على ما رزقكم واحل لكم إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون بانه مولى النعم فان عبادته لا تتم الا بالشكر فالمعلق بفعل العبادة هو الامر بالشكر لاتمامه وهو عدمه عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ

عظيم الخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة اكلها والانتفاع بها وهي التي
ماتت من غير ذكوة والحديث الحق بها ما ابين من الحي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او
استثنى الشرع والحرمة المضافة الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل
كالتصرف في المدبوغ والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر
اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله روية
الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت بالتكبير اذا رأى الهلال سمي
ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر آخر وقراء
عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق او الجوع وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع
الطريق فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله
غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر
الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء
ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا
اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه
فكانه اكل النار كقوله * اكلت دما ان لم ارعك بضرة * بعيدة مهوى القرط طيبة النشر * يعني
الدية او في المآل اي لا يأكلون يوم القيمة الا النار ومعنى في بطونهم ملاء بطونهم يقال اكل في
بطنه واكل في بعض بطنه كقوله * كلوا في بعض بطنكم تعفوا * ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن
غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم
ولهم عذاب اليم * مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة
في الآخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في
الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص قولهم شر
اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصولة وما بعدها الصلة والخبر محذوف ذلك
بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب
او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم فيه ايمانهم ببعض
كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج
المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم
فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد * لفي خلاف بعيد عن
الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضي والخطاب

لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله عليه وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ ما بينه الله تعالى و
اتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي
احسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص البر بالنصب مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
الْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ اي ولكن البر الذي ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده
قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف و
رفع البر وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ اي على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه
وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور في موضع الحال
ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى لان ايتاءهم
افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان صدقة وصلة وَ
الْمَسَاكِينَ جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دائم السكون كالمسكير لدائم السكر
وَابْنَ السَّبِيلِ المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل
ترعف به وَالسَّائِلِينَ الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على
فرسه وَفِي الرِّقَابِ وفي تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها وَأَقَامَ
الصَّلَاةَ المفروضة وَآتَى الزَّكَاةَ يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله آتى المال الزكوة المفروضة
ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني اداءها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل
الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكوة وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا عطف على من آمن وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على
سائر الاعمال وعن الازهري البأساء في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض وَحِينَ الْبَأْسِ وقت مجاهدة
العدو أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا في الدين واتباع الحق وطلب البر وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ عن الكفر وسائر
الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها
بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد
اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث
بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه واعتقاده
وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه
الصلوة والسلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ

كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم
بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان
يتباوءوا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص
غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده
او عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه
سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر و
عمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة رضي الله عنهم من غير نكير وللقياس
على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية
فلا ينسخ ما في القرآن واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب
على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه
وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل جاء في القرآن فمن عفي له من
اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو كالعفو التام في اسقاط
القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى تركه
بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عما
سلف فاذا عدي به الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الآية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة
اخيه يعني ولي الدم وذكره بلفظ الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه
فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي
بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل
على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر بادائها على مطلق العفو وللشافعي رضي الله عنه في
المسئلة قولان ذلك اي الحكم المذكور في العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة
لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو
مطلقا وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم
فمن اعتدى بعد ذلك فقتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم في الآخرة وقيل في
الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذه الدية ولكم في القصاص
حيوة كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف
القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما وذلك
لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون

غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه فى الدنيا لم يواخذ به فى الآخرة ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والآخر صلة له او حالا عن الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى القرآن حيوة للقلوب يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ذوى العقول الكاملة ناداهم للتامل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ اى حضر اسبابه وظهر اماراته إِنْ تَرَكَ خَيْرًا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله عنه ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسألته كم مالك فقال ثلثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشىء يسير فاتركه لعيالك الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تاويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله بعدما سمعه والعامل فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله * من يفعل الحسنات الله يشكرها * ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم بِالْمَعْرُوفِ بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فَمَنْ بَدَّلَهُ غيره من الاوصياء والشهود بَعْدَمَا سَمِعَهُ وصل اليه وتحقق عنده فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه الذى خاف وخالف الشرع إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وعيد للمبدل بغير حق فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر ويعقوب موص مشددا جَنَفًا ميلا بالخطأ فى الوصية أَوْ إِثْمًا تعمدا للحيف فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

يعني الانبياء والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة
الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون
المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او
الاخلال بادائه لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا و
الكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد
بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلثة ايام من كل شهر او بكما كتب
على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما
روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة
لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على
سفر او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر فعليه صوم عدد ايام
المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها و
قرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب
الظاهرية وبه قال ابو هريرة رض وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام
مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم
في ذلك اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية
ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين
بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي
يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه
ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل
بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم
الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم و
طاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون
وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية و
تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة
وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر
علمتم ان الصوم خير لكم من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم
شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على

اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من ايام معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية فى ابن داية علما للغراب للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان على حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه فى ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة ﴿الَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ﴾ اى ابتدأ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل فى شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبى صلى الله عليه وسلم انزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ حالان من القران اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فمن حضر منكم فى الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه ولكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثانى على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها فيكون ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك ولئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح الفطر للسفر والمرض ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هداكم اليه وعن عاصم برواية ابى بكر ولتكملوا بالتشديد ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى﴾

قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب
ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ تقرير للقرب ووعد للداعي
بالاجابة فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم
وَلْيُؤْمِنُوا بِي امر بالثبات والمداومة عليه لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * راجين اصابة الرشد
هو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة
وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم
سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم ومجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم
فقال أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ روي ان المسلمين كانوا اذا امسوا حل لهم الاكل و
الشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر بعد العشاء فندم و
اتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح ما ارتكبوه
ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ استئناف يبين سبب
الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما
كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه شبه باللباس قال الجعدي
+ اذا ما الضجيع ثنى عطفها ۞ تثنت فكانت عليه لباسا ۞ او لان كلا منهما يستر حال
صاحبه ويمنعه عن الفجور عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ تظلمونها بتعريضها للعقاب
وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فَتَابَ عَلَيْكُمْ لما
تبتم مما اقترفتموه وَعَفَا عَنْكُمْ ومحا عنكم اثره فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ لما نسخ عنكم التحريم وفيه
دليل على جواز نسخ السنة بالقرآن والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع
وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي
ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن
العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى
يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في
الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله
من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من

٩٦

للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود
وابيض ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت من الفجر ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان
وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس
على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح
جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه فينفي صوم الوصال ولا
تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد
بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطى وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد لا يختص بمسجد دون
مسجد وان الوطى يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله
اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل
فضلا ان يتخطى عنه كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا
تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا ياكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب
على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب
اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب
المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له
بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين
يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهي دليل على ان
حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن
بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار
يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي
ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل
امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم
للعبادات الموقتة يعرف بها اوقاتها خصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد

حركة الفلك من مبدأها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى قرأ ابو عمرو وورش وحفص
بضم الباء والباقون بالكسر وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار اذا احرموا
لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك
برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين
او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما
لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما
سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على
تعكيسهم السؤال وتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من وراءه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في
مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا اذ ليس في العدول برّ او
باشروا الامور من وجوهها وَاتَّقُوا اللَّهَ في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ لكي
تظفروا بالهدى والبر وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ
قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او
الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين
صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا
له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم ويقاتلوا في الحرم والشهر
الحرام وكرهوا ذلك فنزلت وَلَا تَعْتَدُوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به من غير
دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ لا يريد بهم الخير وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ
ثَقِفْتُمُوهُمْ حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما
كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني * فمن
اثقف فليس الى خلود * وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم
يوم الفتح وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب
من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من
قتلكم اياهم فيه وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ لا تفاجؤهم بالقتال و
هتك حرمة المسجد الحرام فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة
والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنو اسد

كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فإن انتهوا عن القتال والكفر
فإن الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين
لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على الظالمين أي
فلا تعتدوا على المنتهين إذ لا يحسن أن يظلم إلا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم
باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه أو أنكم إن تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين
وينعكس الأمر عليكم والفاء الأولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون
عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا أن يقاتلوهم لحرمته فقيل
لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه أي كل حرمة
وهو ما يجب أن يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم
مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم إن قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا إلى ما لم يرخص لكم
واعلموا أن الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شأنهم وأنفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الإمساك ولا
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بالإسراف وتضييع وجه المعاش أو بالكف عن الغزو والإنفاق فيه فإنه يقوي
العدو ويسلطهم على إهلاككم ويؤيده ما روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال لما أعز الله الإسلام و
كثر أهله رجعنا إلى أهالينا وأموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت أو بالإمساك وحب المال فإنه يؤدي
إلى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الأصل انتهاء الشيء في الفساد والإلقاء طرح الشيء و
عدي بإلى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالأيدي الأنفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي
مصدر كالتضرة والتسرة أي لا توقعوا أنفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بأيديكم أو لا تلقوا بأيديكم
أنفسكم إليها فحذف المفعول وأحسنوا أعمالكم وأخلاقكم أو تفضلوا على المحاويج إن الله يحب المحسنين و
أتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده
قراءة من قرأ وأقيموا الحج والعمرة وما روى جابر أنه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال
لا ولكن أن تعتمر خير لك معارض بما روي أن رجلا قال لعمر رضي الله عنه إني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال إنه فسر
وجدانهما مكتوبين بقوله أهللت بهما فجاز أن يكون الوجوب بسبب إهلاله بهما لأنه
رتب الإهلال على الوجدان وذلك يدل على أنه سبب الإهلال دون العكس وقيل إتمامهما أن تحرم بهما
من دويرة أهلك أو أن تفرد لكل منهما سفرا أو أن تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي أو أن تكون النفقة
حلالا فإن أحصرتم منعتم يقال حصره العدو وأحصره إذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده وأصده

٩٩

والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس لا حصر الا
حصر العدو وكل منع من عدو او مرض وغيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج
فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مؤول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي
واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني فما استيسر من الهدي اي فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة
حيث احصر عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به
ويجعل للمبعوث بيده يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل
الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل عدم
القضاء وقال ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية
وقرئ من الهديّ جمع هديّة كمطي في مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه
كجراحة وقمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم
ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصوع فاذا امنتم الاحصار او كنتم في
حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في
اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدي فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة
انه دم نسك فهو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج في ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقبل التحلل وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه
ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولي
الشافعي او نفرتم وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة رحمه الله وقرئ سبعةً
عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او
كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب
وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد
او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي
ذلك اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة رحمه الله اذ لا متعة ولا قران لحاضري
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم

على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل
الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا في الحج واعلموا
ان الله شديد العقاب لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اي وقته كقولك البرد شهران
معلومات معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابي حنيفة
وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما
لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام به
قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض الثالث اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند
ابي حنيفة وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او
فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع
الخدم والرفقة في الحج في ايامه نفي الثلثة على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت
منها مستقبحة في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع و
العادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث
بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع
الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به
ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن
كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام
في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله فيتبرؤا عن كل شيء سوى الله تعالى وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب
الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم جناح ان تبتغوا في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم
عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج
وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء
اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات
انما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب
الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي
ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المونث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة
تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمونث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام

فلما اصبح عرفه او لان جبرئيل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه
فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه
دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة
للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل
بصلوة العشائين عند المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر و
يؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى
عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه
كما هداكم كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة
وان كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة
وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من
عرفة لا من المزدلفة والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم
فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم
وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد
آدم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من
جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم
مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم عنها فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا
فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون
مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله
ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم اشد منكم ذكرا واما
منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى
تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا
ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والارشاد اليه ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في
الدنيا وما له في الآخرة من خلاق اي نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من
يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة يعني الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الآخرة حسنة يعني
الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة
الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة

١٠٣

الجنة وقنا عذاب النار ومعناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار امثلة للمراد بها أولئك اشارة
الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم
اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد
على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات
واكتساب الحسنات واذكروا الله فى ايام معدودات كبروه فى ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى
الجمار وغيرها فى ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر فى يومين يوم القر والذى بعده اى فمن نفر فى ثانى
ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عنده فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه
فمن تأخر فى النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى
نفى الاثم بالتعجيل والتأخير التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتأخر
لمن اتقى اى الذى ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى
لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله فى مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء
واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم فى نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان
لجهله بسبب المتعجب منه فى الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله فى امور الدنيا واسباب المعاش او فى معنى الدنيا فانها
مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اى يعجبك قوله فى الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك فى الآخرة لما يعتريه من
الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له فى الكلام ويشهد الله على ما فى قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما فى قلبه موافق لكلامه
وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم
خصومة قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله ويدعى الاسلام وقيل فى
المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او
بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له
اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته
عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهى فى الاصل مرادف للنار وقيل معرب و
لبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل وطاء الجنب ومن الناس من يشرى نفسه
يبيعها ببذلها فى الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت فى صهيب بن سنان
الرومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا
عليه وخذوا مالى فقبلوا منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم
بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام

والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة

اسم للجملة لانها تكف الاجزاء من التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال ٭ السلم تاخذ منها

ما رضيت به ٭ والحرب تكفيك من انفاسها جرع ٭ والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا و

الخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم بعد

اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب

لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات

الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ٭ ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من

بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم

لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه

كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله ان الله عزيز

حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما

يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا

يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على

الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي

موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن

كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتأنيث غير يعقوب على

انه من الرجوع وقرئ بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السؤال

تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم

خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر وآية مميزها

ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد

الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها

ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة

زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا

عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على

البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلق الله فيها من الامور البهية و

الاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب

اي يسترذلونهم ويستهزئون بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ

١٠٣

السخرية منهم وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين ولانهم في كرامة
وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد
قوله من الذين امنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ في الدارين بِغَيْرِ
حِسَابٍ بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً متفقين على
الحق فيما بين ادم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فَبَعَثَ
اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي
علمته من عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكور في القران باسم
العلم ثمانية وعشرون وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن
لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بِالْحَقِّ حال من الكتاب اي متلبسا بالحق شاهدا به لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
اي الله او النبي المبعوث او كتابه فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ اي في الحق
او الكتاب إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا
لاستحكامه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا
اخْتَلَفُوا فِيهِ اي للحق الذي اختلف فيه من اختلف مِنَ الْحَقِّ بيان لما اختلفوا فيه بِإِذْنِهِ بامره او بارادته ولطفه وَ
اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لا يضل سالكه أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ خاطب به النبي والمؤمنين بعد
ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار
وَلَمَّا يَأْتِكُمْ ولم ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعلت مقابل قد مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ حالهم التي هي
مثل في الشدة مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ بيان له على الاستيناف وَزُلْزِلُوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حَتَّى
يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على
انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه مَتَى نَصْرُ اللَّهِ استبطاء له لتاخره أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ استيناف على ارادة القول اي
فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى
واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يَسْأَلُونَكَ
مَاذَا يُنْفِقُونَ عن ابن عباس ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق
من اموالنا واين نضعها فنزلت قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان
لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ في
معنى الشرط فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في
الاية ما ينافيه فرض الزكاة لينسخ به كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به

للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم يعرف عينها

يسألونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف كان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا * ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يتقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اي اهل المسجد الحرام وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع المذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ارتكبوه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخروية وسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية

لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء
اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة على الثواب سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوا خطأ وقلة
احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل و
الاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة رض قالوا افتنا يا رسول الله
في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا
فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن
مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي
بعير فشجه فشكا الى رسول الله فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم
منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه
يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة نقيع
الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه
اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى
الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة
الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما
اعظم من المنافع المتوقعة منهما ولذلك قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم
الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا
عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو
ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي * وروي ان رجلا اتى النبي
عليه السلام ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه حتى كرره مرارا فقال هاتها
مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه ثم قال يأتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة
عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو كذلك يبين الله لكم الآيات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر
من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد
العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والآخرة
في امور الدارين فتأخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك
عن اليتامى لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق
ذلك عليهم فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح

اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اى انهم اخوانكم فى الدين ومن حق
الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
لافساد واصلاح اى يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اى ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اى كلفكم
ما يشق عليكم من العنت وهى المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم
ما يقتضيه الحكمة ويتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا
تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون لكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهويها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن
استامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة حرة
كانت او مملوكة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها او مالها او الجمال ولو بمعنى ان وهو كثير
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين
من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله اى
اولياؤه يعنى المؤمنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اى
الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته و
يبين آياته للناس لعلهم يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من
ميل الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يؤاكلوا
كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ
والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلثا ثم بها ثلثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات متفرقة
والثلثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اى الحيض مستقذر مؤذ من يقربه
نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن
اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى
فانهم كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا
تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى
وعاصم فى رواية ابن عياش يطهرن اى يتطهرن يعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضى
تاخر جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رح ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل

مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّٰهُ اى المأتى الذى امركم به وحلله لكم إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ من الذنوب وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ

مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من النطف بالبذور فَأْتُوا حَرْثَكُمْ اى فأتوهن

كما تأتون المحارث فهو كالبيان لقوله فأتوهن من حيث امركم الله أَنّٰى شِئْتُمْ من اى جهة شئتم روى ان اليهود

كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزلت وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطئ وَاتَّقُوا اللّٰهَ بالاجتناب عن

معاصيه وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ فتزودوا ما لا تفتضحون به وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم

امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره منهم وَلَا تَجْعَلُوا اللّٰهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ

أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ نزلت فى الصديق رض لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة او فى عبد الله بن

رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق

لما يعرض دون الشئ وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير

فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا

منها فأت الذى هو خير وكفّر عن يمينك وأن مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض

ويجوز ان يكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى

الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان

تبروا علة النهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ على

الله لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين وَاللّٰهُ سَمِيعٌ لايمانكم عَلِيمٌ بنياتكم لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ

فِي أَيْمَانِكُمْ اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به

جاهلا بمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد بقوله وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ والمعنى لا

يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم

السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن

يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها وَاللّٰهُ غَفُورٌ حيث لم يؤاخذ باللغو حَلِيمٌ حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين

الجد تربصا للتوبة لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى

ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ مبتدأ ما قبله خبره او فاعل الظرف على

خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا

يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده

فَإِنْ فَاءُوا اى رجعوا فى اليمين بالحنث فَإِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار

المرأة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة وإن عزموا الطلاق وإن صمموا قصده فإن الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال أبو حنيفة الإيلاء في أربعة أشهر فما دونها وحكمه أن المولى إن فاء في المدة بالوطي إن قدر والوعد إن عجز صح الفيء ولزم الواطي أن يكفر وإلا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة بأحد الأمرين فإن أبى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الأقراء لما دلت الآيات والأخبار أن حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الأمر وتغيير العبارة للتأكيد والإشعار بأنه مما يجب أن يسارع إلى امتثاله وكأن المخاطب قصد أن يمتثل الأمر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بأنفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فإن نفوس النساء طوامح إلى الرجال فأمرن بأن يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف أو المفعول به أي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام دعي الصلاة أيام أقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الأعشى مورثة مالا وفي الحي رفعة * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * وأصله الانتقال من الطهر إلى الحيض وهو المراد به في الآية لأنه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن أي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض وأما قوله عليه السلام طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وكان القياس أن يذكر بصيغة القلة التي هي الأقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الأقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن أن ١١٠
يكتمن ما خلق الله في أرحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وإبطالا لحق الرجعة وفيه دليل على أن قولها مقبول في ذلك إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بإيمانهن بل التنبيه على أنه ينافي الإيمان وأن المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له أن يفعل وبعولتهن أي أزواج المطلقات أحق بردهن إلى النكاح والرجعة إليهن ولكن إذا كان الطلاق رجعيا للآية التي تتلوها فالضمير أخص من المرجوع إليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة أو مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به أو أقيم مقام المضاف المحذوف أي وأهل بعولتهن وأفعل ههنا بمعنى الفاعل في ذلك أي في زمان التربص إن أرادوا إصلاحا بالرجعة لا إضرار المرأة وليس المراد منه شرطية قصد الإصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لأن حقوقهم في أنفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها أو شرف وفضيلة لأنهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والإنفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الأحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان أي التطليق الرجعي اثنتان لما روي أنه عليه السلام سئل أين الثالثة فقال عليه السلام أو تسريح بإحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة

فإمساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول أو تسريح بإحسان بالطلقة الثالثة او بان لا
يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم
ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا اى من الصدقات روى ان جميلة بنت اخت عبد الله بن ابى سلول كانت تبغض
زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ والله ما اعيب عليه فى
دين ولا خلق ولكنى اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل فى عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ
والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب مع الازواج وما بعده خطاب الحكام وهو يشوش
النظم على القراءة المشهورة إلا أن يخافا اى الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ألا يقيما حدود الله
بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير
بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فإن خفتم ايها الحكام ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما
افتدت به على الرجل فى اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة فى اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما
حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون تعقيب للنهى
بالوعيد مبالغة فى التهديد اعلم ان ظاهر الآية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج
اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امرأة سالت زوجها طلاقا فى غير بأس فحرام عليها رائحة
الجنة وما روى انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد
فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف فى
انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فإن طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضى
ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض
وقوله فإن طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله او تسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة
على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد
ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من
اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روى ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة
طلقنى فبت طلاقى وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجنى وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين
ان ترجعى الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك فالآية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان
يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة فى هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق
والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فإن طلقها الزوج الثانى فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان يرجع كل من المرأة

والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله تعالى
وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم و
لانه لا يقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة
يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن والاجل يطلق للمدة
ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للدنو منه على الاتساع وهو المراد في الآية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف
اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض
الصور للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم
يراجعها ليطول العدة عليها فنهى عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا
لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بضرارا اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون في العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهى
عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلث
جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمت الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد عليه السلام
بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل
عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن
عن الشافعي رضي الله عنه دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء
لما روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا على ان المرأة
لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج
الذين يعضلون نساءهم بعد مضي العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم وقيل الاولياء والازواج
وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه
عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف
بما يعرفه الشرع ويستحسنه المروءة حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج
من غير كفء غير منهي عنه ذلك اشارة الى ما مضى ذكره والخطاب للجميع على تاويل القبيل او لكل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين
الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه
امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم
انفع واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر
للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرتضع الصبي الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستئجار

والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح
فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب
عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه
وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع
ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او
معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف ودليل على
انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب اى لا
يكلف كل منهما الاخر ما ليس فى وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف
واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته
اى لا تضر الوالدة بالولد فتفرط فى تعهده وتقصر فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف
على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق
فلا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن و
بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبى اى مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقى من الابوين من قوله عليه السلام
واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعى اذ لا نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابى ليلى وقيل
وارثه المحرم منه وهو مذهب ابى حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا
فصالا عن تراض منهما وتشاور فصالا صادرا عن التراضى منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة
والمشورة استخراج الراى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما فى ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح
الطفل وحذرا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة
الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتى واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل
على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلوة وقرا ابن كثير ما اتيتم من اتى
اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط
التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة فى المحافظة على ما شرع فى امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله
بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين
او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون
آجالهم وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير فى مثله قط ذهابا
الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضى لهذا التقدير ان
الجنين فى غالب الامر يتحرك لثلثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر

استظهارا اذ ربما يضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قال
الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص
الحامل عنه لقوله تع واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا
فاذا بلغن اجلهن انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض
للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن
فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء
التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على
الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك الطويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير
ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول
لها انك جميلة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم
تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن
وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن
نكاحا او جماعا عبر بالسر عن الوطي لانه يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في
السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اي لا تواعدوهن
مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن
الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل على حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة
الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهي عن العقد اي ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه
لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهي ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من
العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموه واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم
بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى
الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي تجامعوهن وقرا حمزة
والكسائي تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا
او وتفرضوا والفرض تسمية المهر فريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى
الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم
لها مهر اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق
الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اي فطلقوهن
ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى راي الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره

وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه
السلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها ولو بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على
حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى
لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى فى احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة
والكسائى وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروة حقا صفة
لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى
المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها فنصف ما فرضتم اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن
وهو دليل على ان الجناح المنفى ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا ياخذن
شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتانيث والفرق ان الواو فى الاول ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانى لام الفعل والنون ضمير
والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده
وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير للزوج غير مشطر فى
نفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول
قديم للشافعى وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على الوجه الاول والثانى ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة
عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس
استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل
لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون
بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها فى تضاعيف
احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها والصلوة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا
وهى صلوة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها
لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل
لقوله عليه السلام افضل العبادات احمزها وقيل الفجر لانها بين صلوتى الليل والنهار والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل
المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين فى طرفى الليل وعن عائشة انه عليه السلام كان يقرأ
والصلوة الوسطى وصلوة العصر فتكون صلوة من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب
على الاختصاص والمدح وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع
راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب الصلوة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة

لا تصلي حال المشي والمسايفة ما لم يمكن الوقوف فإذا أمنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلوة الأمن أو اشكروه على
الأمن كما علمكم ذكراً مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلوة حالتي الخوف والأمن أو شكراً يوازيه وما مصدرية أو موصولة
ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم قرأها بالنصب أبو عمرو
وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية أو ليوصوا وصية أو كتب الله عليهم
وصية أو ألزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب عليكم الوصية لأزواجكم متاعاً إلى الحول مكانه وقرأ
الباقون بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون أو وحكمهم وصية أو والذين يتوفون أهل وصية أو كتب
عليهم وصية أو عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعاً إلى الحول نصب بيوصون إن أضمرت وإلا فبالوصية وبمتاع على
قراءة من قرأ لأنه بمعنى التمتيع غير إخراج بدل منه أو مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول أو حال من أزواجهم غير
مخرجات والمعنى أنه يجب على الذين يتوفون أن يوصوا قبل أن يحتضروا لأزواجهم بأن تمتع بعدهم حولاً بالسكنى وكان
ذلك أول الإسلام ثم نسخت المدة بقوله أربعة أشهر وعشراً وهو وإن كان متقدماً في التلاوة فهو متأخر في النزول وسقطت
النفقة بتوريثها الربع أو الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافاً لأبي حنيفة فإن خرجن عن منزل الأزواج فلا جناح عليكم أيها
الأئمة فيما فعلن في أنفسهن كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على أنه لم يكن يجب عليها ملازمة
مسكن الزوج والحداد عليه وإنما كانت مخيرة بين الملازمة وأخذ النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه
منهم حكيم يراعي مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين أثبت المتعة للمطلقات جميعاً بعدما
أوجبها لواحدة منهن وإفراد بعض العام بالحكم لا يخصصه إلا إذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك أوجبها ابن جبير لكل
مطلقة وأول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز أن يكون اللام للعهد والتكرير
للتأكيد أو لتكرار القصة كذلك إشارة إلى ما سبق من أحكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بأنه سيبين لعباده
من الدلائل والأحكام ما يحتاجون إليه معاشاً ومعاداً لعلكم تعقلون لكي تفهموها فتستعملون العقل فيها ألم تر تعجيب وتقرير
لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأرباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع فإنه صار مثلاً في التعجيب إلى الذين خرجوا من
ديارهم يريد أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويتيقنوا أن لا
مفر من قضاء الله وقدره أو قوماً من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد ففروا حذر الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم
وهم ألوف أي ألوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع آلف أو إلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر
الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا أي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى أنهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بأمر الله ومشيئته وقيل ناداهم
به ملك وإنما أسند إلى الله تعالى تخويفاً وتهويلاً ثم أحياهم قيل مر حزقيل على أهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت أوصالهم فتعجب من ذلك فأوحى
الله إليه ناد فيهم أن قوموا بإذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم
على التوكل والاستسلام للقضاء إن الله لذو فضل على الناس حيث أحياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم لتستبصروا
ولكن أكثر الناس لا يشكرون أي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز أن يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا في سبيل

سبيل الله لما بين ان الفرار عن الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى
سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل
الذي يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة
والانفاق في سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب
الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن
عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعاف جمع ضعف ونصبه
على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر
وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسبما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
كيلا يبدل حالكم وقرا نافع والكسائي والبزي وابو بكر بالصاد ومثله في الاعراف في قوله تعالى في الخلق بسطة واليه ترجعون
فيجازيكم على ما قدمتم الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض
من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل
في سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى
ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما
عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرا نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اى اى غرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان
جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا
اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد
اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت
علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه روى ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا
يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا اى من اين يكون له ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت
سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لانه كان فقيرا راعيا او سقاء او
دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد لاوى بن يعقوب والملك في اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق كثير قال ان
الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط
نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة
الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم

عمّن يريد فيما كان أسنّ بانه مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ومن أمارات ﴿والله واسع﴾ الفضل يوسع على الفقير ويغنيه ﴿عليم﴾ بمن يليق

بالملك من النسيب وغيره ﴿وقال لهم نبيهم﴾ لما طلبوا منه حجة على انه تعالى اصطفى طالوت وملّكه عليهم ﴿إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾ فعلوت

من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قرأه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما

في الهمس والزيادة والمراد به صندوق التوراة وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين ﴿فيه سكينة من ربكم﴾ الضمير

للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التوراة وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدّمه

فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت

نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليه السلام وقيل التابوت هو القلب والسكينة

ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصيره مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ رضاض الالواح

وعصا موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما ﴿تحمله الملائكة﴾

قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه وكان

في ارض جالوت الى ان ملّك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى

طالوت ﴿إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى ﴿فلما فصل

طالوت بالجنود﴾ انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم

لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا

﴿قال إن الله مبتليكم بنهر﴾ معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ﴿فمن شرب منه فليس مني﴾ فليس من اشياعي او ليس بمتحد معي ﴿ومن لم يطعمه﴾

﴿فإنه مني﴾ اي من لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان نبيا

كما قيل او باخبار النبي عليه السلام ﴿إلا من اغترف غرفة بيده﴾ استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون

على الخبر في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين ﴿فشربوا

منه إلا قليلا منهم﴾ اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب

الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل الف

الاف وقيل الفا روي ان من اقتصر على الغرفة كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي

وهكذا الدنيا لقاصد الآخرة ﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ اي القليل الذين لم يخالفوه ﴿قالوا﴾ اي بعضهم

لبعض ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ لكثرتهم وقوتهم ﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله﴾

قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون

الله وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا للقليل

وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾

بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الخبر والاستفهام ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته

او من فئة اذا رجع فيها تغنا و قلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده اى ظهروا لهم ودنوا منهم
قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ
الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله
فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشى في عسكر طالوت مع ستة من بنيه و
كان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في الطريق بثلاثة
احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل
ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف
بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص
من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه
اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها
في السورة او المعلومة للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من
كلم الله تفضيل له وهو موسى وقيل موسى ومحمد عليهما السلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما
بون بعيد وقرئ كلم الله بالنصب وكالم الله فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان
فضله على غيره من وجوه متعددة وبمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات
المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كانه العلم المتعين لهذا الوصف المستغنى عن التعيين وقيل ابراهيم
خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات و
ايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يستجمعها
غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل
بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه التزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما
اقتتلوا كرره للتاكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء متفاوتة
الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان
او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبت عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة
من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب
ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في
حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو و
يعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون الزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على

الجزء الثالث

١١٥

فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكوة من صفات
الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل
يضمر للا خبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم
قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من
رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب
الوجود والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان مؤوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك
ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما
وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له السموات والارض وما فيهن من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا
او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور
الاخرة او عكسه او ما يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل
عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان
مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد
كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ولا كرسي في الحقيقة ولا قاعد وقيل
كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع
لقوله عليه السلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة
على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى
الكرسي وهو الملبد ولا يؤده ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف
المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الآية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم
لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول
والفروع ذو البطش الشديد الذي لا يشفع عنده الا من اذن له عالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما يصح ان يملك ويقدر
عليه لا يؤده شاق ولا يشغله شأن متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها
بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة مكتوبة لم يمنعه من دخول
الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله
لا اكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي

١٢٠

تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة فلم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اي
لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان
تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله فنزلت فمن يكفر بالطاغوت
بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد
وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعار لمتمسك الحق
من النظر الصحيح والرأي القويم لا انفصام لها لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على
النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات
ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن في الخبر
او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوى والشيطان وغيرهما
يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد او الانهماك في الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشك
والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار التسبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة
نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اي ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا له على طريقة العكس كقولك
عاداني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف
لحاج او بدل من آتاه على الوجه الثاني ربي الذي يحيي ويميت بخلق الحياة والموت في الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيي
واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم
عن الاعتراض على معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الى مثال
جلي من مقدوره الذي يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك
وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال من ربك الذي تدعو اليه وحاجه فيه
فبهت الذي كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن
قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذي مر على قرية تقديره او ارأيت مثل
الذي فحذف لدلالة ألم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعي الربوبية
وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام ألم تر الى الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل ألم تر كالذي حاج او كالذي مر وقيل انه
من كلام ابراهيم عليه السلام ذكره جوابا لمعارضته وتقديره او ان كنت تحيي فأحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده
نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهي خاوية
على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما

لقدرة المحيي إن كان القائل مؤمنا واستبعادا إن كان كافرا وأنى في موضع نصب على الظرف بمعنى متى أو على الحال بمعنى كيف فأماته الله مائة عام فألبثه ميتا مائة عام

أو أماته فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالإحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ أن يكلمه وإن كان كافرا لأنه آمن بعد البعث أو شارف الإيمان وقيل

ملك أو نبي قال لبثت يوما أو بعض يوم كقول الظان وقيل إنه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر إلى الشمس

يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال أو بعض يوم على الإضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور

الزمان واشتقاقه من السنة والهاء أصلية إن قدر لام السنة هاء وهاء السكت إن قدرت واوا وقيل أصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فأبدلت النون الثالثة

حرف علة كتقضي البازي وإنما أفرد الضمير لأن الطعام والشراب كالجنس الواحد قيل كان طعامه تينا أو عنبا وشرابه عصيرا أو لبنا وكان الكل على حاله وقرأ

حمزة والكسائي لم يتسن بغير الهاء في الوصل وانظر إلى حمارك كيف تفرقت عظامه أو انظر إليه سالما في مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما

حفظنا الطعام والشراب من التغير والأول أدل على الحال وأوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس أي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي أنه أتى قومه على

حماره وقال أنا عزير فكذبوه فقرأ التوراة من الحفظ ولم يحفظها أحد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع إلى منزله كان شابا وأولاده شيوخا

فإذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر إلى العظام يعني عظام الحمار أو الأموات الذين تعجب من إحيائهم كيف ننشزها كيف نحييها أو نرفع

بعضها على بعض ونركبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام أي انظر إليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب ننشرها

من أنشر الله الموتى وقرئ ننشرها من نشر بمعنى أنشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له أن الله على

كل شيء قدير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فحذف الأول لدلالة الثاني عليه أو ما قبله أي فلما تبين له ما أشكل عليه وقرأ حمزة والكسائي قال

اعلم على الأمر والآمر مخاطبه أو هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى إنما سأل ذلك ليصير علمه عيانا

وقيل لما قال نمرود أنا أحيي وأميت قال له إن إحياء الله برد الروح إلى البدن فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر أن يقول نعم وانتقل إلى تقرير آخر ثم

سأل ربه أن يريه ليطمئن قلبه على الجواب إن سئل عنه مرة أخرى قال أولم تؤمن بأني قادر على الإحياء بإعادة التركيب والحياة قال له ذلك وقد علم أنه أعرف

الناس بالإيمان ليجيب بما أجاب به فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي أي بلى آمنت ولكن سألت لأزيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان

إلى الوحي والاستدلال قال فخذ أربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحماما ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه إيماء إلى أن إحياء النفس

بالحياة الأبدية إنما يتأتى بإماتة حب الشهوات والزخارف الذي هو صفة الطاووس والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الأمل المتصف بهما الغراب

والترفع والمسارعة إلى الهوى الموسوم بهما الحمام وإنما خص الطير لأنه أقرب إلى الإنسان وأجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به أو جمع كصحب فصرهن

إليك فأملهن واضممهن إليك لتتأملها وتعرف شأنها لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء وقرأ حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان

قال ع ولكن أطراف الرماح تصورها وقال ع وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم

الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره إذا جمعه وفصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا أي

ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال التي بحضرتك قيل كانت أربعة وقيل سبعة وقرأ أبو بكر جزءا بضمتين حيث وقع ثم ادعهن قل لهن

تعالين بإذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا أو مشيا روي أنه أمر بأن يذبحها وينتف ريشها ويقطعها فيمسك رؤوسها ويخلط

سائر أجزائها ويوزعها على الجبال ثم يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير إلى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن إلى رؤوسهن وفيه إشارة إلى أن

من أراد إحياء نفسه بالحياة الأبدية فعليه أن يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات

... دعاهن بل اجابة العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابراهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد
ان يريه في الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما
يفعله ويذره مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة على حذف
المضاف انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء والمنبت على
الحقيقة هو الله تعالى والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضي
وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله وعلى حسب
حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوت الاعمال في مقادير الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة
عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه جهز
جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم صدقة والمن
ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم
عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك
وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل والحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله
غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر كابطال المنافق الذي يرائي بانفاقه ولا يريد به رضا الله ولا
ثواب الآخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او
المصدر اي انفاقا رئاء فمثله فمثل المرائي في انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه
صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي ينفق باعتبار المعنى
لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرئاء والمن
والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا
بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها
كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدئا من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية
النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في الزكاء كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون
احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر
فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل
كما اريد بالزوج الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل
فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير

الفطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احوالهم ويجوز
ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين في زلفاهم بالوابل
والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص أيود احدكم الهمزة
فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة
منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها
على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة
اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكأنه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء
صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار
ريح عاصفة تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما
يحبطها كرياء وايذاء في الحسرة والاسف فاذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شأنه
واشبههم به من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت
الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون اي تتفكرون فيها فتعتبرون بها
يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمار والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا الرديء منه اي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به
منه ويكون الضمير للخبيث والجملة حال منه ولستم بآخذيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه
الا بان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن
عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يأمركم به لانتفاعكم حميد بقبوله
واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين
وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة
منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة لذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الآخرة والله واسع اي واسع الفضل
لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني و
من يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير
كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر بما اودع الله في
قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى
وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او
معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات

ولا يفون بالنذور (ومن أنصار) من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه (إن تبدوا الصدقات فنعمّا هي) فنعم شيئا إبداؤها وقرأ ابن عامر

وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الأصل وقرأ أبو عمرو وأبو بكر وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر

النون وإخفاء حركة العين وهو أقيس (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) أي تعطوها مع الإخفاء (فهو خير لكم) فالإخفاء خير لكم

في التطوع ولمن لم يعرف بالمال فإن إبداء الفرض لغيره أفضل لنفي التهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا

وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا (ويكفر عنكم من سيئاتكم) قرأ ابن عامر وعاصم في رواية

حفص بالياء أي والله يكفر أو الإخفاء وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على أنه جملة فعلية مبتدأة أو

اسمية معطوفة على ما بعد الفاء أي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما

والفعل للصدقات (والله بما تعملون خبير) ترغيب في الإسرار (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك أن تجعل الناس مهديين وإنما

عليك الإرشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والأذى وإنفاق الخبيث (ولكن الله يهدي من يشاء) صريح بأن

الهداية من الله وبمشيئته وأنها تخص بقوم دون قوم (وما تنفقوا من خير) من نفقة معروفة (فلأنفسكم) فهو لأنفسكم لا ينتفع به غيركم

فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) حال وكأنه قال وما تنفقوا من خير فلأنفسكم غير منفقين إلا لابتغاء

وجه الله وطلب ثوابه أو عطف على ما قبله أي وليس نفقتكم إلا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي (وما

تنفقوا من خير يوف إليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة أو ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا

روي أن ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما أسلموا أن ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب أما الواجب فلا يجوز صرفه

إلى الكفار (وأنتم لا تظلمون) أي لا تنقصون ثواب نفقتكم (للفقراء) متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم

للفقراء (الذين أحصروا في سبيل الله) أحصرهم الجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الأرض) ذهابا فيها للكسب وقيل هم أهل الصفة كانوا

نحوا من أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم (يحسبهم الجاهل) بحالهم وقرأ

ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين (أغنياء من التعفف) من أجل تعففهم عن السؤال (تعرفهم بسيماهم) من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (لا يسألون

الناس إلحافا) إلحاحا وهو أن يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده والمعنى أنهم لا يسألون وإن سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي

للأمرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فإنه كنوع من السؤال أو على الحال (وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) ترغيب في الإنفاق وخصوصا على هؤلاء

(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية) أي يعمون الأوقات والأحوال بالخير نزلت في أبي بكر حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار

وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والإنفاق عليها (فلهم أجرهم عند

ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف أي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية (الذين يأكلون الربا)

أي الآخذون وإنما ذكر الأكل لأنه أعظم منافع المال ولأن الربا شائع في المطعومات وهو زيادة في الأجل بأن يباع مطعوم بمطعوم أو نقد بنقد إلى

أجل أو في العوض بأن يباع أحدهما بأكثر منه من جنسه وإنما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الألف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) إذا بعثوا من قبورهم (إلا كما

يقوم الذي يتخبطه الشيطان) إلا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون أن الشيطان يخبط الإنسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء (من المس) أي

الجنون وهذا أيضا من زعماتهم أن الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جنّ الرجل وهو متعلق بلا يقومون أي لا يقومون من المس الذي بهم بسبب أكل الربا

أو يقوموا [illegible] فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقولهم ولكن لأن الله أربى في بطونهم ما أكلوه من الربا فأثقلهم ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا
أي ذلك العقاب بسبب أنهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الأصل إنما الربا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كأنهم جعلوا الربا
أصلا وقاسوا به البيع والفرق بيّن فإن من أعطى درهمين بدرهم ضيّع درهما ومن اشترى سلعة تساوي درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة إليها أو توقع
رواجها يجبر هذا الغبن وأحل الله البيع وحرم الربا إنكار لتسويتهم وإبطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من
الله وزجر كالنهي عن الربا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم أخذه التحريم ولا يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف إن جعلت من موصولة وبالابتداء إن
جعلت شرطية على رأي سيبويه إذ الظرف غير معتمد على ما قبله وأمره إلى الله يجازيه على انتهائه إن كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم
عليه ومن عاد إلى تحليل الربا إذ الكلام فيه فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون لأنهم كفروا به يمحق الله الربا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه و
يربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما أخرجت منه وعنه عليه السلام إن الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي أحدكم مهره وعنه صلى الله عليه وسلم ما نقصت زكاة من مال قط
والله لا يحب لا يرتضي ولا يحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات أثيم منهمك في ارتكابه إن الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه
وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة عطفهما على ما يعمهما لإنافتهما على سائر الأعمال الصالحة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربا إن كنتم مؤمنين بقلوبكم فإن دليله امتثال
ما أمرتم به روي أنه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربا فنزلت فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فاعلموا بها
من أذن بالشيء إذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا أي فأعلموا بها غيركم من الأذن وهو الاستماع فإنه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضي
أن يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء إلى أمر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وإن تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس
أموالكم لا تظلمون بأخذ الزيادة عليها ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه أنهم إن لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ما قلنا إذ المصر على التحليل
مرتد وماله فيء وإن كان ذو عسرة وإن وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة أي وإن كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة أو فعليكم نظرة أو فليكن
نظرة وهي الإنظار وقرئ فناظره على الخبر أي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره أو صاحب نظرته على طريق النسب وعلى الأمر أي فسامحه بالنظرة إلى ميسرة يسار وقرأ
نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الإضافة كقوله وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا وأن تصدقوا بالإبراء
وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم أكثر ثوابا من الإنظار أو خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الإنظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم
فيؤخره إلا كان له بكل يوم صدقة إن كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والأجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله يوم القيامة أو يوم الموت فتأهبوا لمصيركم
إليه وقرأ أبو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير أو شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس
أنها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أحدا وعشرين يوما وقيل أحدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات
يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين أي إذا داين بعضكم بعضا تقول داينته إذا عاملته نسيئة معطيا أو آخذا وفائدة ذكر الدين أن لا يتوهم من التداين المجازاة و
يعلم تنوعه إلى المؤجل والحال وأنه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه إلى أجل مسمى معلوم بالأيام والأشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لأنه أوثق وأدفع
للنزاع والجمهور على أنه استحباب وعن ابن عباس أن المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لا يزيد ولا
ينقص وهو في الحقيقة أمر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولا يأب كاتب ولا يمتنع أحد من الكتاب أن يكتب
كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق أو لا يأب أن ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله وأحسن كما أحسن الله إليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة

امر بها بعدما نهى عن الاباء عنها تاكيداً ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس منه شيئاً ولا ينقص منه شيئاً اي من الحق او مما
املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيهاً ناقص العقل مبذراً او ضعيفاً صبياً او شيخاً مختلاً او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع
للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبياً او مختل عقل او وكيل او مترجم
ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد
على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط الاسلام في الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة
الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا
مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سبباً له نزل منزلته كقولهم اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكأنه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط
فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء تنزيلاً لما
يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه
صفة المنافق ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا يقول المؤمن كسلت صغيراً او كبيراً صغيراً كان الحق او كبيراً او مختصراً كان الكتاب او مشبعاً الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به
المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطاً واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام
على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره
واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة
تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يداً بيد اي الا ان تتبايعوا يداً بيد فلا بأس ان لا تكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم
تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوماً ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم
والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقاً لانه احوط والاوامر التي في هذه الآية للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل
انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك
الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان
تفعلوا الضرار وما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله
بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشأنه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية
وان كنتم على سفر اي مسافرين ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في
الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك لانه عليه السلام رهن درعه في المدينة من يهودي على عشرين صاعاً من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو
مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان
امن بعضكم بعضاً اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك

١٢٦

الارهان وترى الذي يقلب الهمزة ياء والذي يدغم الياء في التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة في حكمها فلا يدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه
مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المدينون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد الاثم
الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الاعمال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب
كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة
والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيمة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد
رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا منه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله
متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثلها والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع
كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائي وكتابه يعني القرآن او الجنس
والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق
بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين وأحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين
والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت
وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها كقوله يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها
وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا
بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا يمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطي
الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه
ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به
التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة
لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا
ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه
والتشديد هنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا و
تفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء او المراد به عامة الكفرة وعنه عليه السلام انه لما دعا
بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة
اجزأتاه من قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي تذكر فيها البقرة
كما قال عليه السلام السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وآيها مائتان

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال ان اسم الله الاعظم في ثلث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي آل عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائي التورية بالامالة في جميع القران وحمزة ونافع بين اللفظين الا قالون فانه يقرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة ليعم ما عداها فكانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القران وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق به بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بايات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جيء به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اي شيء كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء اي من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اي صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تاويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها

١٢٩

فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة اللفظ وأخر جمع أخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الآخر ولا يلزم منه
لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف لانه في معنى المضاف او عن آخر من فاما الذين في قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة
فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس
ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحد
منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني يلائم الجاهل وما يعلم تاويله الذي يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون في العلم اي الذين
ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد
كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد به يقولون آمنا به استيناف موضح لحال الراسخين
منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس واتصال الآية بما قبلها
من حيث انها في تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور
نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره في الرحم والمصور لا يكون ابا للمصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استيناف
والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال عليه السلام قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد
نصب على الظرف واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا
للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل فيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم
على عباده لا يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزاء يوم لا ريب فيه في وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء
نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه
وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل
منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام في الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب
لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اي من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه واولئك هم وقود النار
حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كدأب آل فرعون متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم
كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح
فيه فنقل الى معنى الشأن والذين من قبلهم عطف على آل فرعون وقيل استيناف كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار
قد او استيناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة
قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اي قل لمشركي مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام
جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم

بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت أنا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية
على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائي بالياء فيهما على أن الأمر بأن يحكي لهم ما أخبره به من وعيدهم بلفظه
وبئس المهاد تمام ما يقال لهم أو استئناف وتقديره بئس المهاد جهنم أو ما مهدوه لأنفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش أو لليهود
وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد
المشركين كانوا قريبا من ألف أو مثلي عدد المسلمين كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في أعينهم حتى اجترؤوا عليهم
وتوجهوا إليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين أو يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة أمثالهم
ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله به في قوله إن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب
بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول أي يريهم الله أو يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص
أو الحال من فاعل التقتا رأي العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما أيد أهل بدر إن في ذلك
أي في التقليل والتكثير أو غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة آية أيضا يحتملهما ويحتمل
وقوع الأمر على ما أخبر به الرسول لعبرة لأولي الأبصار لعظة لذوي البصائر وقيل لمن أبصرهم زين للناس حب الشهوات
أي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وإيماء على أنهم انهمكوا في محبتها حتى أحبوا شهوتها كقوله أحببت حب الخير والمزين هو الله تعالى
لأنه الخالق للأفعال والدواعي ولعله زينه ابتلاء أو لأنه يكون وسيلة إلى السعادة الأخروية إذا كان على وجه يرتضيه الله
أو لأنه من أسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فإن الآية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال
الكثير وقيل مائة ألف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في أنه فعلال أو فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتأكيد كقولهم
بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة أو المرعية من أسام الدابة وسومها أو المطهمة والأنعام الإبل والبقر
والغنم ذلك متاع الحياة الدنيا إشارة إلى ما ذكر والله عنده حسن المآب أي المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من
اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات المخدجة الفانية قل أؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير أن ثواب الله خير من
مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز
أن يتعلق اللام بخير وترتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وأزواج مطهرة مما يستقذر
من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم في رواية أبي بكر في جميع القرآن بضم الراء ما خلا الحرف الثاني في المائدة وهو قوله
رضوانه سبل السلام وهما لغتان والله بصير بالعباد أي بأعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء أو بأحوال الذين اتقوا فلذلك أعد لهم جنات وقد نبه
بهذه الآية على نعمه فأدناها متاع الدنيا وأعلاها رضوان الله لقوله ورضوان من الله أكبر وأوسطها الجنة ونعيمها الذين
يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين أو للعباد أو مدح منصوب أو مرفوع وفي ترتيب السؤال على
مجرد الإيمان دليل على أنه كاف في استحقاق المغفرة أو الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالأسحار حصر لمقامات السالك على أحسن ترتيب فإن معاملته مع الله تعالى إما توسل وإما طلب والتوسل إما

بالنفس هو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق واما فعلي وهو القنوت
الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبل الخير واما بالطلب وهو الاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع
لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحد منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار
لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى
السحر ثم يستغفرون ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الآيات الناطقة بها
والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط
مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله
ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفي
وفيه ضعف للفصل وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا عن الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل
من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبني عليه
قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او
الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله ان لعبدي هذا عندي عهدا و
انا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله الاسلام
جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به
محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائي بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل الاشتمال
ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم
اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف الذين اوتوا الكتب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه آخرون مطلقا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى الا من بعد ما جاءهم العلم اي بعد ما علموا حقيقة
الامر او تمكنوا من العلم بها بالآيات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر ومن يكفر بآيات الله فان
الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك في الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج فقل اسلمت وجهي لله اخلصت
نفسي وجملتي له لا اشرك فيها غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتب و
الاميين الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله
فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان
تولوا فانما عليك البلاغ اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين
يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم

هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله
عصمهم وقد سبق مثله في سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء في خبر ان كليت ولعل ولذلك
قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء
بخلافهما وما لهم من ناصرين . يدفع عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اي التوراة او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعي
محمد صلى الله عليه وسلم وكتاب الله القرآن او التوراة لما روي انه عليه السلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث
بن زيد على اي دين انت فقال على دين ابراهيم فقالا له ان ابراهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت
وقيل نزلت في الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة في الاصول
ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق و
انما ساغ للنكرة لتخصصها بالصفة ذلك اشارة الى التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب
على انفسهم لهذا الاعتقاد الزائغ والطمع الفارغ وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل وان
آباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم
ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم في الآخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيمة
من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت و
فيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون في النار ولا قبل دخولها فاذن
هي بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه في معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك
لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف
بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطي منه ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك
الاول عام والآخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من
تشاء في الدنيا او في الآخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شيء قدير ذكر
الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض اذ لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب في
الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا
يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء واخذ المعول منه
فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال
اضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة
فقال اضاءت لي قصور صنعاء واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم

ويعيّر الكفرة الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه

على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من

الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت

والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول

في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات

من موادها وامانتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر

الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا في

الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن

موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء فليس من الله في شئ من ولايته في شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة

المتعاديين لا يجتمعان قال شعر تود عدوي ثم تزعم انني + صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا

من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه في معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع عن موالاتهم ظاهرا و

باطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا و

يحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي

المنهي عنه في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما في صدوركم

او تبدوه يعلمه الله اي انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما في السموات وما في الارض فيعلم

سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم

الله نفسه فكأنه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها

فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا و

ما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اي تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها او جزاء اعمالها

من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما

عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية و

لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرره للتوكيد والتذكير والله رؤف

بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى

عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا

علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفي الله و

ذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته

والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم

يغفر لكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه
بطاعته واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا على عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارع بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل
لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر وانه من هذه الحيثية ينفي محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله
اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم
يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على
فضلهم على الملائكة وآل ابراهيم اسماعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهرون ابنا
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب او عيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يود بن عازر بن صادوق بن
عياقيم بن ايليقيم بن ابيود بن زريابيل بن سالتان بن يوحنا بن اوشيا بن آمون بن منشكن بن حازقا بن آحاز بن يوثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن ايشا بن ابيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن ايشي بن عوبد
بن سلمون بن باعز بن نحشون بن عميناذب بن رام بن حصروم بن فارض بن يهوذا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة
ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل
بعضها من بعض في الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها
ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول والعمل او سميع
بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأت عمران رب اني نذرت لك ما في بطني فينتصب به اذ وقيل باضمار اذكر وهذه
حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن ان المراد زوجته ويرده كفالة زكريا
فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيى وعيسى ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينما
هي في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا في عهدهم في الغلمان فلعلها بنت الامر
على التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء او مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل مني انك انت
السميع العليم لقولي ونيتي فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى الضمير لما في بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب انثى
حالا عنه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها
لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما
لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت على انه من كلامها تسلية لنفسها اي
ولعل لله فيه سرا او الانثى كانت خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي
طلبت كالانثى التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فيكون اللام للجنس
واني سميتها مريم عطف على ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان

ويعصمها ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقاً لاسمها فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة وفيه دليل على ان الاسم والمسمى
والتسمية امور متغايرة {وإني أعيذها بك} اجيرها بحفظك {وذريتها من الشيطان الرجيم} المطرود واصل الرجم
الرمي بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخاً
من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالى عصمهما
ببركة هذه الاستعاذة {فتقبلها ربها} فرضي بها في النذر مكان الذكر {بقبول حسن} بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها
مقام الذكر او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة وحملتها الى
المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت
رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي خالتها فأبوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم
فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدراً على تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى
استقبل كتقضى وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن {وأنبتها نباتاً حسناً} مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها
{وكفلها زكريا} شدد الفاء حمزة والكسائي وعاصم وقصروا زكريا غير عاصم في رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول
اي جعله كافلاً لها وضامناً لمصالحها وخفف الباقون ومدوا زكرياء مرفوعاً {كلما دخل عليها زكريا المحراب} اي الغرفة التي بنيت لها
او المسجد او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس {وجد عندها رزقاً} جواب
كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وبالعكس {قال يا مريم
أنى لك هذا} من اين لك هذا الرزق الآتي في غير اوانه والابواب مغلقة عليك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك
معجزة زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه {قالت هو من عند الله} فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى ولم ترضع ثدياً قط وكان رزقها
ينزل عليها من الجنة {إن الله يرزق من يشاء بغير حساب} بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق تفضلاً به وهو يحتمل ان يكون من
كلامها وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة رضي الله عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزاً ولحماً فقال لها انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع علياً والحسن والحسين وجميع اهل بيته فأكلوا وبقي
الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها {هنالك دعا زكريا ربه} في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم
ومنزلتها من الله {قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة} كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها انتبه على جواز
ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة {إنك سميع الدعاء} مجيبه
{فنادته الملائكة} اي من جنسهم كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرأ حمزة والكسائي فناداه
بالامالة والتذكير {وهو قائم يصلي في المحراب} اي قائم في الصلاة ويصلي صفة قائم او خبر او حال اخرى او حال عن
الضمير في قائم {أن الله يبشرك بيحيى} اي بان الله يبشرك وقرأ نافع وحمزة وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء
نوع منه وقرأ حمزة والكسائي يبشرك ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربياً فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل {مصدقاً بكلمة من الله} اي

بعيسى سمي بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البديعيات التي هي عالم الامر او بكتاب الله سمي كلمة كما قيل كلمة الحويدرة
لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية قط وحصورا مبالغا في حبس النفس عن
الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد
من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة او استعظاما وتعجبا او استفهاما عن
كيفية حدوثه وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتي عاقر لا تلد
من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل ما يشاء من العجائب مثل ذلك الفعل وهو انشاء
الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اي
الله على مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب
اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة
ايام ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة و
كانه قال آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بيد او راس واصله التحرك
ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا كخدم جمع رامز ورمزا كرسل
جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين كقوله: متى ما تلقني فردين ترجف * روانف أليتيك وتستطارا واذكر
ربك كثيرا في ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه لا يفيد التكرار وسبح بالعشي من
الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر كسحر و
اسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن
انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة لقوله وما ارسلنا قبلك
الا رجالا وقيل الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم يقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب
تطهيرها تطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد
من غير اب وتبرئتها عما قذفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها وابنها آية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي
مع الراكعين امرت بالصلاة في الجماعة بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود على الركوع اما لكونه
كذلك في شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم
ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة كقوله تعالى امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب
التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا بالاقلام التي كانوا
يكتبون بها التوراة تبركا والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة والسماع
وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا يظن به عاقل ايهم يكفل مريم

متعلق بمحذوف دل عليه يلقون أقلامهم أي يلقونها ليعلموا أو يقولوا أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون
تنافساً في كفالتها إذ قالت الملائكة بدل من إذ قالت الأولى وما بينهما اعتراض أو من إذ يختصمون على أن وقوع الاختصام
والبشارة في زمان متسع كقولك لقيته سنة كذا يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقبه
وهو من الألقاب المشرفة كالصديق وأصله بالعبرية مشيحاً ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لأنه مسح
بالبركة أو بما طهره من الذنوب أو مسح الأرض ولم يقم في موضع أو مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طائل
تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الأسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر إفراد المبتدأ فإنه اسم جنس مضاف
ويحتمل أن يراد أن الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فإن الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز أن يكون عيسى
خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وإنما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيهاً على أنه يولد من غير أب إذ الأولاد تنسب إلى الآباء
ولا تنسب إلى الأم إلا إذا فقد الأب وجيهاً في الدنيا والآخرة حال مقدرة من كلمة وهي وإن كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيره
للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الآخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل إشارة إلى علو درجته في الجنة أو رفعه إلى السماء
وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلاً أي يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً كلام الأنبياء من غير تفاوت والمهد مصدر
سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل إنه رفع شاباً والمراد وكهلاً بعد نزوله وذكر أحواله المختلفة المتنافية إرشاداً إلى أنه بمعزل
عن الألوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة أو ضميرها الذي في يكلم قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر
تعجب أو استبعاد عادي أو استفهام عن أنه يكون بتزوج أو غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل أو الله تعالى وجبريل
حكى لها قول الله تعالى إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون إشارة إلى أنه تعالى كما يقدر أن يخلق الأشياء مدرجاً
بأسباب ومواد يقدر أن يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل كلام مبتدأ ذكر تطييباً
لقلبها وإزاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت أنها تلد من غير زوج أو عطف على يبشرك أو وجيهاً والكتاب
الكتبة أو جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم
بآية من ربكم منصوب بمضمر على إرادة القول تقديره ويقول أرسلت رسولاً بأني قد جئتكم أو بالعطف على الأحوال المتقدمة
مضمناً معنى النطق فكأنه قال وناطقاً بأني قد جئتكم وتخصيص بني إسرائيل لخصوص بعثته إليهم أو للرد على من زعم أنه مبعوث إلى غيرهم
أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم والمعنى أقدر لكم وأصور
شيئاً مثل صورة الطير وقرأ نافع إني بالكسر فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك المماثل فيكون طيراً بإذن الله فيصير
حياً طياراً بأمر الله نبه به على أن إحياءه من الله لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائراً بالألف والهمزة وأبرئ الأكمه
والأبرص الأكمه الذي ولد أعمى أو الممسوح العين روي أنه ربما كان يجتمع عليه ألوف من المرضى من أطاق منهم أتاه ومن لم يطق
أتاه عيسى وما يداوي إلا بالدعاء وأحيي الموتى بإذن الله كرر بإذن الله دفعاً لتوهم الألوهية فإن الإحياء ليس من جنس
الأفعال البشرية وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها إن في ذلك لآية لكم
إن كنتم مؤمنين موفقين للإيمان فإن غيرهم لا ينتفع بالمعجزات ومصدقاً لما بين يدي من التوراة عطف على رسولاً

١٣٨

عنه الالاهوت عبرانی يقولون لله تعالى
لاهوت وللانسان ناسوت

من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم
مقدر باضمار او مردود على قوله قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي
حرم عليكم اي في شريعة موسى كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع
موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان
وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين
النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم
باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه
بالفاء قوله فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات القاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم
شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد
وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعات التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين
ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر
تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري
مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصرتي وقيل الى ههنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته
من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم
وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارين يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله
اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين تشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل
حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم
مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا
عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي
او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات
ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من
سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر
ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الان لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم

الصادق بأسمي من تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فأما
الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين • وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
أجورهم تفسير للحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين • تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الآيات حال من الهاء ويجوز ان يكون خبرا ونتلوه حالا على ان
العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم • المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق
الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب جملة مفسرة
للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلق بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما
للخصم وقطعا لمواد الشبهة والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن أي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من
التراب ثم كونه ويجوز ان تكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن
ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين • خطاب للنبي على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأي والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا
ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم
على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصله
الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين • عطف فيه بيان روي انهم لما دعوا الى المباهلة
قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله
ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن
وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو سألوا الله ان
يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله وبذلوا له الجزية كل عام الفي حلة حمراء وثلاثين درعا
من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل
الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى ومريم
لهو القصص الحق بجملته خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه
لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على
النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم • لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية
فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين • وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن
التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي الى فساد النفس بل والى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل
يريد وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيه الرسل والكتب وتفسرها ما بعدها
ان لا نعبد الا الله اي ان نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة

ولا نراه اهلا لان يعبد وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار

فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روي انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون

الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو

ذاك فَإِنْ تَوَلَّوْا عن التوحيد فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ اي لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا

بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعي في هذه القصة من المبالغة في

الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم

ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد

عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم

يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض عن ذلك وقال اشهدوا بانا مسلمون يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ

فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم وزعم كل فريق انه منهم

فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثت بنزول التورية والانجيل

على موسى وعيسى وكان ابراهيم قبل موسى بالف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليهما أَفَلَا تَعْقِلُونَ فتدعون المحال

هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها

وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما

لكم به علم مما وجدتموه في التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر له في

كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أانتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم

فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف بعد

الهاء والباقون بالمد والهمز والبزي بقصر المد على اصله وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما حاججتم فيه وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وانتم جاهلون به مَا

كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مائلا عن العقائد الزائغة مُسْلِمًا

منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ تعريض بانهم

مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ان

اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ من امته وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع

لهم على الاصالة وقرئ النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ينصرهم و

يجازيهم الحسنى لايمانهم وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى

اليهودية ولو بمعنى ان وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم

او ما يضلون الا امثالهم وَمَا يَشْعُرُونَ وزره واختصاص ضرره بهم يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ بما نطقت به من

التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ انها آيات الله او بالقرآن وانتم تشهدون نعته في الكتابين

او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التميز
بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبَسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبي زور
وتكتمون الحق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتب امنوا
بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار اى اظهروا الايمان بالقران اول النهار واكفروا اخره واكفروا به اخره لعلهم يرجعون
لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما
حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم يقولون هم اعلم منا
وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا
علمائنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا
عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان
الهدى هدى الله يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اى دبرتم ذلك وقلتم
لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم على ذلك او بلا تؤمنوا اى ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم و
لا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض
يدل على ان كيدهم لا يجدى بطائل او خبر ان على ان هدى الله بدل عن الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على
الاستفهام للتقريع يؤيد الوجه الاول اى ألان يؤتى احد دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام
الطائفة اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على
ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه
فى معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك
كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
بن عازوراء استودعه قرشى اخر دينارا فجحده وقيل المامونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون
فى القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة وقرا حمزة وابو بكر وابو عمرو يؤدهْ اليك ولا يؤده اليك باسكان الهاء وقالون
باختلاس كسرة الهاء وكذا روى عن هشام والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك على راسه
مبالغا فى مطالبته بالتقاضى والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بانهم قالوا
بسبب قولهم ليس علينا فى الاميين سبيل اى ليس علينا فى شان من ليسوا اهل الكتب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل
لهم فى التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم
دينكم وزعموا انه كذلك فى كتابهم وعن النبى عليه السلام انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ فى الجاهلية

١٤٢

الا هو بحت فليس الا الامانة فانها موداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل من اوفى بعهده و
اتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله وعموم المتقين ناب مناب
الراجع من الجزاء الى من واشعر بان التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين
يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من
قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم
او بشيء اصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيمة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم
لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة فان من سخط على غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما
ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في
احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد وحكم الامانات وغيرهما واخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة
في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين اشعث بن قيس ويهودي في بئر او ارض وتوجه الحلف
على اليهودي وان منهم يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته فيميلونها
عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها
على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء و
الضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان
لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عند الله وهذا لا يقتضي ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون على
الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني
قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك
امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون
الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الى الرب
بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم
معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير و
نافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم
ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين
اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول ويكون لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان اي ما كان لبشر ان
يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته
ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرا ابو عمرو

على اصله في الاختلاس والسكون ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب
للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من
النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ
الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنو اسرائيل او سماهم نبيين تهكما
لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ
الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على
ان ما مصدرية اي لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم مجيء رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي
آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين آتيتكم او لمن اجل ما آتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات
الثلاث استثقالا وقرأ نافع آتيناكم بالنون والالف جميعا قال أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه
يؤصر اي يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا اي فليشهد
بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد
وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة
افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله
يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند
الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف
ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا
يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه يرجعون وقرأ حفص بالياء على ان الضمير لمن قل آمنا بالله وما انزل علينا
وما انزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول
صلى الله عليه بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه عليهم ايضا
المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى
الرسول يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا
نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون في عبادته ومن يبتغ غير الاسلام
دينا اي غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين الواقعين في الخسران والمعنى
ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد النفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها واستدل
به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره لا قبول كل
ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق

١٤٧

وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى و
انكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال
باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملئكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون
على الكفر ممنوعون عن الهدى آيسون عن الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن
منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام
عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا
ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح فان الله غفور رحيم يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها
نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية
فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى
والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن
فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او
نرجع اليه وننافقه باظهاره لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم
بعدم قبولها تغليظا فى شانهم وابرازا لحالهم فى صورة حال الآيسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة
كفرهم ولذلك لم يدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية ادخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملاه و
ذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل
من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو
تقرب به فى الدنيا ولو افتدى به من العذاب فى الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما
فى الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين فى حكم شئ واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة
فى التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين فى دفع العذاب ومن مزيدة
للاستغراق لن تنالوا البر اى لن تبلغوا حقيقة البر الذى هو كمال الخير او لن تنالوا بر الله الذى هو الرحمة والرضى
والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اى من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه فى معاونة الناس والبدن فى طاعة الله والمهجة فى
سبيله روى انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالى الى بيرحاء فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ
ذاك مال رابح او رائح وانى ارى ان تجعلها فى الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه فى سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام

١٤٥

الجزء الرابع

ان الله تعالى قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الاية تعم الانفاق
الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من
اي شيء محبوب او غيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا
لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم يأكل احب
الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان
يقول ذلك باذن من الله فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التوراة اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم
لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة عما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا
حرمنا عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه
وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ
والطعن في دعوى الرسول موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قاله
لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله
بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمتهم الحجة
فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح قل صدق الله تعريض
بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا اي ملة الاسلام
التي هي في الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة
لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها الله لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى
ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود
ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ
على البناء للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة وهي لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب و
لازم وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي
انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون
سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه آدم فانطمس
في الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح يطوف به الملائكة فلما اهبط آدم
امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل
المراد انه اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال

من السكك في الطرق وهدى للعالمين لأنه قبلتهم ومتعبدهم ولأن فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات
كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الأعصار وأن ضواري السباع تخالط الصيود في الحرم ولا تتعرض لها وأن
كل جبار قصده بسوء قهر كأصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى أو حال أخرى مقام إبراهيم مبتدأ محذوف
خبره أي منها مقام إبراهيم أو بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على أن المراد بالآيات أثر القدم
في الصخرة الصماء وغوصها فيها إلى الكعبين وتخصيصها بهذه الإلانة من بين الصخار وإبقاؤه دون سائر آثار الأنبياء
وحفظه مع كثرة أعدائه ألوف سنة ويؤيده أنه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الأثر أنه لما ارتفع بنيان
الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان آمنا جملة ابتدائية أو شرطية معطوفة
من حيث المعنى على مقام إبراهيم لأنه في معنى أمن من دخله أي ومنها أمن من دخله أو فيه آيات بينات مقام
إبراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب إلي من
دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة لأن فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء الأثر مدى الدهر و
الأمن من العذاب يوم القيامة قال عليه السلام من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعند أبي حنيفة من
لزمه القتل بردة أو قصاص أو غيرهما لم يتعرض له ولكن ألجئ إلى الخروج ولله على الناس حج البيت قصد للزيارة
على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر وهو لغة أهل نجد من استطاع إليه
سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو
يؤيد قول الشافعي أنها بالمال ولذلك أوجب الاستنابة على الزمن إذا وجد أجرة من ينوب عنه وقال مالك إنها بالبدن
فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال أبو حنيفة إنها بمجموع الأمرين والضمير في إليه للبيت أو الحج وكل ما أدى
إلى الشيء فهو سبيله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وضع كفر موضع لم يحج تأكيدا لوجوبه وتغليظا على
تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا وقد أكد أمر الحج في هذه الآية من
وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وإبرازه في صورة الاسمية وإيراده على وجه يفيد أنه حق واجب لله في رقاب الناس وتعميم
الحكم أولا وتخصيصه ثانيا فإنه كإيضاح بعد إبهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث إنه فعل الكفرة وذكر
الاستغناء فإنه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة
عنه بالبرهان والإشعار بعظم السخط لأنه تكليف شاق جامع بين كسر النفس وإتعاب البدن وصرف
المال والتجرد عن الشهوات والإقبال على الله روي أنه لما نزل صدر الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
أرباب الملل فخطبهم وقال إن الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا أهل الكتاب لم
تكفرون بآيات الله أي بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص أهل الكتاب بالخطاب
دليل على أن كفرهم أقبح وأنهم وإن زعموا أنهم مؤمنون بالتوراة والإنجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال أنه شهيد مطلع على أعمالكم
فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في

في التقريع ونفي العذر لهم واشعاراً بان كل واحد من الامرين مستقبح في نفسه مستقل باستجلاب العذاب في سبيل الله دينه
الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المومنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم
ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجاً حال من الواو اي
باغين طالبين لها اعوجاجاً بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجاً عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين ليختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها
ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم
ولما كان المنكر في الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد ولما كان في هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام
وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب
يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوساً يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي
فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شاباً من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في
ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم
فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام
وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا
وعانق بعضهم بعضاً وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعدما امر الرسول بان ١٢٨
يخاطب اهل الكتاب اظهاراً لجلالة قدرهم واشعاراً بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله انكار وتعجيب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه او يلتجئ اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات
اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد النهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما
في تؤدة وتخمة والياء الفاً ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت
فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك
النفي واعتصموا بحبل الله بدينه الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث
ان التمسك به سبب للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحاً
للمجاز جميعاً مجتمعين عليه ولا تفرقوا اي ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم في الجاهلية
يحارب بعضكم بعضاً او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية
والتوفيق للاسلام المؤدي الى التالف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم

بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين
اولادهم العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأها الله بالاسلام والف بينهم برسوله
عليه السلام وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك
الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه
بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو الفا في المذكر وحذفت في المؤنث
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من
فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب
وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن
يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف و
الدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان
بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه السلام سئل من خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله
لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما
وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت
من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في
الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد
واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم او
من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه و
الصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم على ارادة القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا
من الايمان بالنظر في الدلائل والآيات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن و
ان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم ولكن قصد ان
يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستئناف للتاكيد كانه قيل كيف
يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسا بالحق لا شبهة فيها

وما الله يريد ظلماً للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله
لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلاً بما وعد له
واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله وكان الله غفوراً رحيماً وقيل كنتم في
علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف
بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد
به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف و
نهوا عن المنكر ايماناً بالله وتصديقاً به واظهاراً لدينه واستدل بهذه الاية على ان الاجماع حجة لانها تقتضي كونهم امرين
بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو امن اهل الكتاب
ايماناً كما ينبغي لكان خيراً لهم لكان الايمان خيراً لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضرراً يسيراً كطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع باسكم
عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز
والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفاً على يولوا على ان ثم للتراخي في المرتبة فيكون عدم النصر مقيداً بقتالهم وهذه الاية من المغيبات التي وافقها
الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك ١٥٠
بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم
الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل
المؤمنين وباؤا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم احاطة البيت المضروب
على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا
يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء عليهم السلام ذلك اي الكفر والقتل
بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر
والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الاخرة كما هو معلل بكفرهم و
قتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضاً ليسوا سواء في المساوي والضمير لاهل الكتاب
من اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم
يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يتلون القران في تهجدهم عبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون
ابين وابلغ في المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا
الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم
الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود

فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالليل مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته
مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات {وأولئك من الصالحين} اي الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت
احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه {وما يفعلوا من خير فلن يكفروه} فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة
سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائي
وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء {والله عليم بالمتقين} بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير
وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى {ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا} من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا {واولئك اصحاب النار} ملازموها {هم فيها خالدون} {مثل ما
ينفقون} ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا {في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر} برد شديد
والشائع اطلاقه في الريح الباردة كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد
{اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم} بالكفر والمعاصي {فاهلكته} عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه
ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب
ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث {وما ظلمهم
الله} {ولكن انفسهم يظلمون} اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد
بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد
ه ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر كقوله ولكن من يبصر جفونك
يعشق {يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة} وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب
كما شبه بالشعار قال عليه الصلوة والسلام الانصار شعار والناس دثار {من دونكم} من دون المسلمين وهو متعلق
بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اي بطانة كائنة من دونكم {لا يألونكم خبالا} اي لا يقصرون لكم في الفساد
والألو التقصير واصله ان يعدى بالحرف ثم عدي الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او
النقص {ودوا ما عنتم} تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية {قد بدت البغضاء من افواههم} اي في كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم {وما تخفي صدورهم اكبر} مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار {قد
بينا لكم الآيات} الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين {ان كنتم تعقلون} ما بين لكم
والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلث الاول صفات لبطانة {ها انتم اولاء تحبونهم ولا
يحبونكم} اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطائكم في موالاتهم او هو خبر ثان او
خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء
بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا {وتؤمنون بالكتاب كله} بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم
والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم

اصلب منكم في دينكم واذا لقوكم قالوا آمنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تاسفا و
تحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام
واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من
المقول اى قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس
مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم
كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل
الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مدّ وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره
يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في
عداوتكم عليم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين
تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى
المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم
بنياتكم روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر من شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول
الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف
وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال صلعم رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا
ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كأني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان
رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى
اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما
رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت
ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا ياتونا من ورائنا اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة
من الاوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه صلى الله عليه وسلم خرج في زهاء الف رجل و
وعد لهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان

١٥٣

باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما
اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون
اي فليتوكلوا عليه لا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم
التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم
يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به
عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قوله لهم يوم احد كان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة
فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة
منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو و
كثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر
منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى
حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه
وهو في الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التي لا ريث فيها ولا تراخي و
ان يأتوكم في الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين
معلمين من التسويم الذي هو اظهار سيما الشيء لقوله صلعم لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم
بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله
لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا
على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب في اقضيته الحكيم
الذي ينصر ويخذل بوسط وغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق
بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل
سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون
الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الآمال ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم
عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او
يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون
معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شيء او ليس لك
من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك من امرهم شيء الا

ان يتوب الله عليهم فتسربه او يعذبهم فتشفى منهم وروى ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته
فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله
لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر
كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله
غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا
زيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى
يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم
تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على
ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد
بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا
له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن
عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة
على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ١٥٣
ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين
ينفقون صفة مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة ومضرة اي لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل وكثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملاتها وشددت
راسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله قلبه امنا وايمانا
والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل
تحته هؤلاء والعهد فيكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا
انفسهم بان اذنبوا اي ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم
والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به وصفه تعالى
بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على
ذنوبهم غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين
اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر الذين ان ابتدئ به وجملة مستانفة مبينة لما قبلها ان عطفت على

المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من
اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك
الصفات المذكورة في الآية المتقدمة وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون
لمحبة الله تعالى وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع وتخطوا الى التخصص بمكارمه وفصل آية هؤلاء
بقوله وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن و
المتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره
ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ وقائع سنها الله في الامم المكذبة
كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل
كفضلكم ولا ارى مثله في سالف الناس فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ لتعتبروا
بما ترون من آثار هلاكهم هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ اشارة الى قوله قد خلت
او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر
المتقين والتائبين وقوله قد خلت اعتراض للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا
تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل
منكم وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم
على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم
الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه
يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ قرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضَّعف والضُّعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان
اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم
ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول
صلى الله عليه وسلم وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوما
علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر والمداولة كالمعاورة يقال داولت الشيء بينهم فتداولوه والايام يحتمل
الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا عطف على علة
محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن
فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على
حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه
على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشيء موجودا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ

ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على
الشدائد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين هو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى
لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم
ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشيء قليلا
قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا
بعضكم وفيه دليل على انه فرض على الكفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم
بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال
كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت والموت بالشهادة
والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال
شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته
فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على
انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا
به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روي انه لما رمى
عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب
بن عمير وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قميئة وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا
وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول يدعو الي عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه
وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي يأخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال
ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل
محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقولون
وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا بارتداده بل يضر نفسه
وسيجزي الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كانس واضرابه وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله
الا بمشيئة الله تعالى او باذنه لملك الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضائه
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد
للرسول بالحفظ وتاخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اي مؤقتا لا يتقدم
ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم

١٥٧

واختفوا وانتهبوا فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اي من ثوابها وسنجزي الشاكرين الذين شكروا نعمة الله تعالى فلم يشغلهم شيء عن
الجهاد وكأين اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت في الخط على غير القياس وقرأ
ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيأن ثم حذفت الياء
الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائي من نبي بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون
علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل
وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله فما فتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل
النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون
لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به ما يريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من
نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم والله يحب
الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا
وانصرنا على القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو
اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب
التثبيت في مواطن الحرب والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا
لان ان قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة
والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا
والجنة والنعيم في الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى
دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا لابي سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم
وقيل عام في مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ
بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في
قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى
ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى وقيل لما رجعوا وكانوا
ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فالقى الله الرعب في قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائي
ويعقوب بالضم على الاصل في كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به سلطانا اي آلهة
ليس على اشراكها حجة ولم ينزل به عليهم سلطانا وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة

ومنه التسليط لقوة استعماله والسلاطة لحدة اللسان ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اي مثواهم فوضع
الظاهر موضع الضمير للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اي وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر
وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتى
انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف
رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حين انهزم المشركون
فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال الآخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر
الباقون للنهب وهو المعني بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا
محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على
امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان
عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو
او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او ليبتليكم او
بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد لا
يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله من يكر فله
الجنة في اخراكم في ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف ١٥٨
على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين و
الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا
على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول
اي فآساكم في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا على
ما فاتكم من النصر وعلى ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتى كان
السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها
او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوي امنة او على انه
جمع آمن كبار وبررة وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرأ
حمزة والكسائي بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم انفسهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اي يظنون

بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون
اى لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء اى هل لنا اما امر الله ووعده من النصر والظفر نصيب
قطّ وقيل لخبر ابن ابيّ بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا التدبير انفسنا وشرعنا باختيارنا الم يكن لنا من الامر
شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقة لله واوليائه فان
حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ ابو عمرو ويعقوب كله
بالرفع على الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون
طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى في انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل
من يخفون او استيناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد محمد او زعم ان الامر كله
لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير ولم نبرح كما كان رأى ابن ابيّ وغيره ما قتلنا ههنا اى لما غلبنا ولما قتل من
قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدّر الله
عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفع الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدّر الامور ودبّرها
في سابق قضائه لا معقّب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم يختبر ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص
والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلي او عطف على محذوف اى لابراز نفاذ القضاء
او المصالح جزئ وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحّص ما في قلوبكم ويكشفه ويميزه او يخلّصه من الوساوس والله
عليم بذات الصدور بخفاياها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين
المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا
يعني ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا
لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان
توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا
القتل قبل اخلاص التوبة والخروج عن المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم
لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم
ومعنى اخوتهم اتفاقهم في النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه
اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزّى جمع غاز كعافٍ وعفّى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا
مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام
لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا اي لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله حسرة
في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل
الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو

الموثر في الحيوة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد والله بما
تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من
الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب الموت و
يقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا
ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لإلى الله تحشرون لإلى
معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاءكم ويعظم ثوابكم وقرأ نافع و
حمزة والكسائي متم بالكسر فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والدلالة على ان لينه لهم
ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا
سيء الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا
برايهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى
فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت على التكلم اي
فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم
ويهديهم الى الصلاح ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم
يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم
وهذا تنبيه على المقتضى للتوكل وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به وما كان لنبي ان يغل وما صح
لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه
في خفية والمراد منه اما براءة الرسول صلى الله عليه وسلم عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول
صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم
للطلائع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى وما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة يات بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم
توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم

الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك
اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء
بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير والفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان
يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في
الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم
على حسبها لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة
البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من
انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه صلى الله عليه وسلم كان من اشرف قبائل العرب ويتلو
عليهم آياته اي القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان هي المخففة واللام هي
الفارقة والمعنى وان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في ضلال ظاهر أولما أصابتكم مصيبة
قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف
مثل افعلتم كذا وقلتم كذا ولما ظرفه المنصوب بقلتم والمعنى أقلتم حين اصابتكم مصيبة وهي قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم
نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر قل هو من عند
أنفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج
من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شيء قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وما أصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين يريد يوم احد فبإذن الله
فهو كائن بقضائه او تخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون
والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل في الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا في
سبيل الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه
قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم
وانما قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما اول امارات
ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم
تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ
قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول الى الافواه تاكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وبما يخلو به

بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات الذين قالوا رفع بدلا من واو يكتمون او نصب
على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم
اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا حال مقدرة بقد اى قالوا قاعدين عن القتال لو
اطاعونا فى القعود ما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم
تقدرون دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان
اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين
قتلوا فى سبيل الله امواتا نزلت فى شهداء احد وقيل فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول
الاول محذوف لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتّلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل
احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء عند ربهم ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تاكيد
لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحيوة الابدية والقرب من الله تعالى والتمتع
بنعيم الجنة ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم
من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا او رتبة الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم
يستبشرون بما تبين لهم من الامر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حيوة
لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر
مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى فى آل فرعون
النار يعرضون عليها الآية وما روى ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال ارواح الشهداء
فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوى الى قناديل معلقة فى ظل العرش ومن انكر ذلك
ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيمة وانما وصفوا به فى الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان
وفيها حث على الجهاد وترغيب فى الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم
عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتوكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف ويجوز ان يكون
الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا
الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ
الكسائى بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة
واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدأ
خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا
التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روى ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ... ندموا وهموا

١٦٢

بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا
بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة
وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت
الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس
لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من
احد يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج في اهل مكة
حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة
فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا
من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد افترون ان
تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في
سبعين راكبا يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم
وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا
حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما
قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا
ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا
الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل
حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة
فيه وفضل وربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو
واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل ما يسوءهم
واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطية رايه حيث حرم نفسه
ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او ابا سفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته
او صفته وما بعده خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس
يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه
فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي
ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله تعالى على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر

يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك
ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اى لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم
شيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء حيث وقع الا فى قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه
فتح الياء وضم الزاء فيه والباقون كذلك فى الكل يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة نصيبا من الثواب فى الآخرة و
هو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين
ان لا يكون لهم حظ فى رحمته وانه مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة ولهم
عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
تكرير للتاكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا
انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه
وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون
او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن
حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى
الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول
وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى
لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملى لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة
واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن
الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان
املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو
اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب
الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز
المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها
الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة
والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء
وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على
ما فى القلوب من كفر وايمان ولكنه يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل
عليه فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم
الله ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا فليخبرنا من يؤمن منا

من يكفر فنزلت وعن السدي انه صلى الله عليه وسلم قال عرضت على امتي واعلمت من يؤمن بي ومن يكفر فقال
المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا
النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراء
فيه ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليطابق مفعولاه اي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ
بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا
لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب
عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه
السلام ما من رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيمة ولله ميراث السموات والارض
وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه
في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيهم وقرأ نافع وابن
عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير
ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وروي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى
يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص
بن عازوراء ان الله فقير حين يسأل القرض فلطمه ابو بكر رضي وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب
عليه سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في علمنا لا نهمله
لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم ولذلك نظمه مع قتل الانبياء
وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة
سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي وننتقم منهم بان نقول
لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك
سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشي عن البخل والتهالك على المال
وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك
اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس
لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان
نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك
وفنحاص ووهب بن يهوذا ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا
بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل وهو ان يقرب بقربان

فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل
النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينت
وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صدقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبلى كزكريا ويحيى عليهما السلام
بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم و
امتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب
رسل من قبلك جاءو بالبينت والزبر والكتب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود
والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشىء اذا حسنته والكتاب فى عرف القران ما يتضمن الشرائع
والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته
وقرء ابن عامر وبالزبر وهشام وبالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت
وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيمة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية
يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن
زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل
والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الاخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها
بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهى له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الافات
وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا
الكتب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول والطعن فى الدين واغراء الكفرة على
اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا
على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التى يجب
العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشىء نحو امضائه واذ اخذ الله
اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم
الذى دل عليه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا
اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه
واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم

وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله ألجم بلجام من نار وعن علي كرم الله وجهه ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين
والمفعول الاول الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا
من التدليس وكتمان الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة
من العذاب اي فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الذين
فاعل ومفعولا يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا مؤكده وهو فلا يحسبنهم الثاني وكانه قيل ولا يحسبن الذين
يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله
الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فاخبروه
بخلاف ما كان فيه وأروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا
عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم
ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله
على كل شيء قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي
العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة في
الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه الثلاثة متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء
كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اي يذكرونه
دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه السلام من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر
ذكر الله تعالى وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين
صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فهو حجة الشافعي رحمه الله تعالى في
ان المريض يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب
والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء و
النجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول
وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه
او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى

ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك
تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء
هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد
اخزيته فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم
وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع
المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة
نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع
لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به
الرسول عليه السلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص
ان آمنوا بربكم فآمنا اي آمنوا او بان آمنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات
تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم
معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب
وارباب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهروا امتثاله لما
امر به سالوا ما وعدوا عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكونوا من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال
او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف وتقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك
ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا مما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال
المطالب وعلو شانها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى
طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر
على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل
واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال
فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا الخ تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا
الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا
الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا يوجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل
منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولاد

١٦٩

جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثابهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد
والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل
للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من
تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب
متاع قليل لقصر مدته وفي جنب ما اعد الله للمؤمنين قال صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم
اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال
ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات
والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما
يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل
في اربعين من نجران واثنين وثلثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي
لما نعاه جبرئيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني
لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين
خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله
سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه كل عامل من الجزاء او استغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر
الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين آمنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم
من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحرب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى
وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم
على الطاعة كما قال عليه الصلوة والسلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه صلى الله عليه وسلم من رابط
يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا
الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلث
المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد
الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على
جسر جهنم وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها
عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حواء من ضلع من اضلاعها او محذوف تقديره من نفس
واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم
منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء
اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على
القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة مولاها او لأن المراد به تمهيد الامر بالتقوى
فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات التي بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ
تقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به اي يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله
تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على
الضمير المجرور وهو ضعيف لأنه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي
مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم
معلقة بالعرش تقول الا من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا
مطلعا وآتوا اليتامى اموالهم اي اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه
الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على
يتمى كأسرى لأنه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كأسرى واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه على الصغار
والكبار ولكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر
حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم
صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد فكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه
مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من
الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث
وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذي هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها
وهذا تبديل وليس بتبدل ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اي لا تنفقوهما
معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف انه الضمير
للأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب

١٧٥

من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر

على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء فانكحوا

مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم

امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من

ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم

وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت

ايمانكم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث ورباع معدولة

عن اعداد مكررة ثنتين ثنتين وثلث ثلث واربع اربع وهي غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت

وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من

فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقوله

اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت

باو لذهب تجويز الاختلاف في العدد فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة اي فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا

وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج

والعدد من السراري لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى

الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام

المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة

المؤن على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد

فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء

صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد

وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها

بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات

اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة

من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل

للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى

اسم الاشارة كقول رؤبة في قوله * كانه في الجلد توليع البهق * اي كان ذلك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد

والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمين معنى التجافي والتجاوز وقال

منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام

وهو إذا ساغ من غير غصص أقيمتا مقام مصدريهما أو وصف بهما المصدر أو جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الإنسان
والمريء ما تحمد عاقبته روي أن ناسا كانوا يتأثمون أن يقبل أحدهم من زوجته شيئا مما ساق إليها فنزلت ولا تؤتوا
السفهاء أموالكم نهي الأولياء عن أن يؤتوا الذين لا رشد لهم أموالهم فيضيعوها وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنها في
تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل أحد أن يعمد إلى ما خوله الله من المال فيعطي
امرأته وأولاده ثم ينظر إلى أيديهم وإنما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على أنفسهم وهو أوفق لقوله
التي جعل الله لكم قياما أي تقومون بها وتنتعشون وعلى الأول يؤول بأنها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام
قياما للمبالغة وقرأ نافع وابن عامر قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقرئ قواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم
واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بأن تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون إليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة
تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع أو العقل بالحسن والمنكر ما أنكره أحدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل
البلوغ بتتبع أحوالهم في صلاح الدين والتهدي إلى ضبط المال وحسن التصرف وبأن يكل إليه مقدمات العقد وعند
أبي حنيفة رحمه الله تعالى بأن يدفع إليه ما يتصرف فيه حتى إذا بلغوا النكاح حتى إذا بلغوا حد البلوغ بأن يحتلم أو يستكمل
خمس عشرة سنة عندنا لقوله صلى الله عليه وسلم إذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ما له وما عليه وأقيمت عليه
الحدود وثماني عشرة عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لأنه يصلح للنكاح عنده فإن آنستم
منهم رشدا فإن أبصرتم منهم رشدا وقرئ أحستم بمعنى أحسستم فادفعوا إليهم أموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ
ونظم الآية أن الشرطية جواب إذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى إلى وقت بلوغهم
واستحقاقهم دفع أموالهم بشرط إيناس الرشد منهم وهو دليل على أنه لا يدفع إليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال
أبو حنيفة رحمه الله تعالى إذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الأحوال إذ الطفل يميز بعدها ويؤمر
بالعبادة دفع إليه المال وإن لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم أو لإسرافكم
ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من أكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته وأجرة سعيه ولفظ الاستعفاف
والأكل بالمعروف مشعر بأن الولي له حق في مال الصبي وعنه صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له إن في حجري يتيما أفآكل من ماله قال
بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وإيراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على أنه نهي للأولياء أن يأخذوا
وينفقوا على أنفسهم أموال اليتامى فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم بأنهم قبضوها فإنه أنفى للتهمة وأبعد من الخصومة
ووجوب الضمان وظاهره يدل على أن القيم لا يصدق في دعواه إلا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك
خلافا لأبي حنيفة رحمه الله تعالى وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما أمرتم ولا تجاوزوا ما حد لكم للرجال نصيب
مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه أو كثر
بدل مما ترك بإعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على أنه مصدر مؤكد كقوله فريضة من الله أو حال إذ المعنى ثبت لهم
مفروضا نصيبا أو على الاختصاص بمعنى أعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على أن الوارث لو أعرض عن

١٧٣

نصيبه او يسقط روي ان اوس بن صامت الانصاري خلف زوجته ام كجة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد
او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب
عن الحوزة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال لها ارجعي حتى انظر ما يحدث
الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزل يوصيكم
الله في اولادكم فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي لبني العم وهو دليل على جواز تأخير البيان عن الخطاب وإذا
حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم
وتصدقا عليهم وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة
وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية
ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف
بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم
فلا يتركوه ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين
متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
في الوصية ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد
غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي هي غاية
الخشية بعدما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون المنتهى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون
لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة
الشهادة او لحاضري القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون في بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر
الى النار ويؤول اليها وعن ابي بردة انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم
فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
سيدخلون نارا واي نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا تقول صلي النار
قاسى حرها وصليته شويته واصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا
الهبتها يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم في اولادكم في شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان
فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر
منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر

او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة للنساء اي نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى
منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اي وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة
واختلف في البنتين فقال ابن عباس رضي الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال
الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان
اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق
اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس بدل منه بتكرير
العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا مما ترك ان كان له ولد للميت
ولد ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفرضية وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن
له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكانه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين
ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل الانثى على الذكر المساوي لها
في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من
الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم يأخذون السدس الذي
حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كان من الاخوة او
الاخوات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات الخلص اخذا بالظاهر
وقرأ حمزة والكسائي فلإمه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها من بعد وصية يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه
من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو
للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة
في الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير و
ابو بكر وابن عامر بفتح الصاد آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون من انفع لكم
ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روي
ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثيكم منهم امن اوصى
منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته ام من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية
فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما بالمصالح
والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن
اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من

بعد وصية توصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين فرض للرجل بحق الزوج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة
اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه إلا أولاد الأم والمعتق والمعتقة وتستوي الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وإن كان
رجل أي الميت يورث أي يورث منه من ورث صفة رجل كلالة خبر كان أو يورث خبره وكلالة حال من الضمير
فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا أو مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز أن يكون
الرجل الوارث ويورث من أورث وكلالة من ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة
يحتمل المعاني الثلاثة وعلى الأول خبر أو حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهي في الأصل مصدر بمعنى
الكلال قال الأعشى: فآليت لا أرثي لها من كلالة + ولا من حفى حتى تلاقي محمدا × فاستعيرت لقرابة ليست
بالبعضية لأنها كالة بالإضافة إليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي
أو امرأة عطف على رجل وله أي وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه أخ أو أخت أي
من الأم ويدل عليه قراءة أبي وسعد بن مالك وله أخ أو أخت من الأم وأنه ذكر في آخر السورة أن للأختين الثلثين
وللإخوة الكل وهو لا يليق بأولاد الأم وأن ما قدر ههنا فرض الأم فيناسب أن يكون لأولادها فلكل
واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث سوى بين الذكر والأنثى في القسمة لأن
الإدلاء بمحض الأنوثة ومفهوم الآية أنهم لا يرثون ذلك مع الأم والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن
فخصت فيه بالإجماع من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار أي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث أو قصد
المضارة بالوصية دون القربة والإقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول
عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول في قراءة ابن عامر وابن كثير وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد
أو منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده أنه قرئ غير مضار وصية بالإضافة أي لا يضار وصية من
الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة أو وصية منه بالأولاد بالإسراف في الوصية والإقرار الكاذب والله عليم بالمضار
وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك إشارة إلى الأحكام التي تقدمت في أمر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه
التي هي كالحدود المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين
فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون وخالدين حال
مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا وإلا لوجب
إبراز الضمير لأنهما جرتا على غير من هما له واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم أي يفعلنها يقال أتى الفاحشة
وجاءها وغشيها ورهقها إذا فعلها والفاحشة الزنا لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن أربعة
منكم فاطلبوا ممن قذفهن أربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت فاحبسوهن

في البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل
كان ذلك عقوبتهن في اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن
كيلا يجري عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزاني او يجعل الله
لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح واللذان ياتيانها منكم يعني الزانية والزاني وقرأ ابن
كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع
وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض
والستر وترك المذمة فتكون هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم
الجلد وقيل الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة انما التوبة على الله اي ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب
اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل
من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت لقوله تعالى
حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحيوة قريب لقوله
قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون
في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او يزين السوء فاولئك يتوب الله
عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم
في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة
والكفار وبين من مات على الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هؤلاء
وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم قبول توبتهم
وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا
فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات
وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ
صداقها وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان
تاخذوهن على سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات وقرأ حمزة والكسائي كرها بالضم في
مواضعه وهو لغة وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي اي ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب

مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف
والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة او لا
لعلة الا لان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر بفاحشة مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء
والباقون بكسرها وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب
ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح الدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن
فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى وآتيتم احداهن
اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اريد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيئا اى من القنطار
أتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى أتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة
كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المآثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد جديدة
بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان
الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض انكار لاسترداده والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا
غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان
او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر
من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم
الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف ان امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه
لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا تعليل للنهي اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة
من الامم ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله
حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذواتهن
بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده
في النكاح وامهاتكم تعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم تتناول من ولدتها او ولدت من ولدها
وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك
والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى

بالعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة
اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة والد الطفل الذي در عليه اللبن قال صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما
يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما في النسب بالمصاهرة
دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاع
لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من
آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقته التاء لانه صار اسما واللاتي بصلتها صفة
لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء
اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فاني لست منك ولست مني على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات
بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج
ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روي عن علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما
ولا يجوز ان يكون الموصول الثاني صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها
والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن في احتضانكم او بصدده قوي الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجرى اولادكم
لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روي عن علي كرم الله تعالى وجهه انه جعله شرطا والامهات والربائب يتناول
القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اي دخلتم معهن الستر وهي كناية عن الجماع ويؤثر في الحرمة ما ليس بزنا كالوطي بشبهة او الملك
وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار
دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز
عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة
على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلي رضي الله تعالى
عنهما احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله تعالى او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل
رضي الله تعالى عنهما وقول علي رضي الله تعالى عنه اظهر لان آية التحليل مخصوصة في غير ذلك ولقوله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع
الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله
كان غفورا رحيما **والمحصنات من النساء** ذوات الازواج احصنهن التزويج او الازواج
وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانكم
من اللاتي سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبي لقول ابي سعيد رضي الله تعالى عنه
اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن
واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا ... حلال لمن يبني بها لم تطلق وقال ابو حنيفة رحمه الله

تعالى وليس الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل لغيره والطلاق أي تحريم والحلال ثبت عليهم كتاب الله عليكم مصدر
مؤكد أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ
الفعل وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء
للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات
كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى
أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير
مسافحين ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن تصرفوا أموالكم محصنين غير مسافحين أو بدل من ما وراء ذلكم بدل
الاشتمال واحتج به الحنفية على أن المهر لابد أن يكون مالا ولا حجة فيه محصنين متعففين غير مسافحين غير زانين فإنها تضيع المال وتذهب النفس عن اللوم والعقاب
والسفاح الزنا من السفح وهو صب المني فإنه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات أو فما استمتعتم به منهن
من جماع أو عقد عليهن فآتوهن أجورهن مهورهن فإن المهر في مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الأجور بمعنى مفروضة
أو صفة مصدر محذوف أي إيتاء مفروضا أو مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما
يزاد على المسمى أو يحط عنه بالتراضي أو فيما تراضيا به من نفقة أو مقام أو فراق وقيل نزلت الآية في المتعة التي كانت
ثلاثة أيام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روي أنه صلى الله عليه وسلم أباحها ثم أصبح يقول يا أيها الناس إني كنت أمرتكم بالاستمتاع
من هذه النساء ألا إن الله تعالى حرم ذلك إلى يوم القيامة وهي النكاح الموقت بوقت معلوم سمي بها إذ الغرض منه مجرد
الاستمتاع بالمرأة وتمتيعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثم رجع عنه إن الله كان عليما بالمصالح
حكيما فيما شرع من الأحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء وأصله الفضل والزيادة أن ينكح المحصنات
المؤمنات في موضع النصب بطولا أو بفعل مقدر صفة له أي ومن لم يستطع منكم أن يعتلي نكاح المحصنات أو من لم يستطع
غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعني الحرائر لقوله فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات يعني الإماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعي رحمه الله
في تحريم نكاح الأمة على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الأمة الكتابية مطلقا وأول أبو حنيفة رحمه الله تعالى
طول المحصنات بأن يملك فراشهن على أن النكاح هو الوطء وحمل قوله تعالى من فتياتكم المؤمنات على الأفضل كما حمل
عليه في قوله تعالى المحصنات المؤمنات ومن أصحابنا من حمله أيضا على التقييد وجوز نكاح الأمة لمن قدر على
الحرة الكتابية دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الأمة رق الولد وما فيه
من المهانة ونقصان حق الزوج والله أعلم بإيمانكم فاكتفوا بظاهر الإيمان فإنه العالم بالسرائر وبتفاضل ما بينكم
في الإيمان فرب أمة تفضل الحرة فيه ومن حقكم أن تعتبروا فضل الإيمان لا فضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الإماء ومنعهم
عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض أنتم وأرقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم على نبينا وعليه الصلاة والسلام
ودينكم الإسلام فانكحوهن بإذن أهلهن يريد أربابهن واعتبار إذنهم مطلقا لا إشعار له على أن لهن أن يباشرن
العقد بأنفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن أجورهن أي أدوا إليهن مهورهن بإذن أهلهن فحذف ذلك لتقدم

ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدى اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا
الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
اخدان اخلاء في السر فاذا احصن بالتزويج وقرا ابو بكر وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والصاد والباقون بضم الهمزة
وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب من الحد لقوله و
ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا ينتصف ذلك اى نكاح الاماء
لمن خشي العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر
اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم
عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان
رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفي عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد و
اللام مزيدة لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد * اردت لكيما يعلم الناس انه * سراويل قيس
والوفود شهود * وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الخلق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج
من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طرقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم
على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد و
المبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون غيره
فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن
الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات ميلا عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها
يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضائق كاحلال نكاح الامة
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ثمان آيات في
سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر
ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا
اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او اقصدوا كون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراضي المتعاقدين
وتخصيص التجارة من الوجوه التي بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل
المقصود بالنهي المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله تعالى وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة
واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى
التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدي الى
قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان

المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء
لهم ريثما يستكمل النفوس وتستوفي فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر ما امر ونهى عما
نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد صلى الله عليه وسلم رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك
اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان
التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح
النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي وكان ذلك
على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر
والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزحف وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى السبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها
وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران
ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على
اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى لعظم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم
في كثير من خطراته التي لم تعد على غيره خطيئة فضلا ان يواخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد
من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل
الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادي
معربة عن عدم الرضا بما قسم الله تعالى له وانه تشه لحصول الشيء له من غير طلب وهو مذموم لان تمني ما لم يقدر له معارضة
لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما
اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الايمان بالتمني وقيل المراد
نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة
والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التي لا تنفد وهو يدل
على ان المنهي هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله
وسلهم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همزة وحمزة في الوقف على اصله والباقون بالهمز
ان الله كان بكل شيء عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله

يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا النصف من الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ﴿ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون﴾
اي ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من
صلة موالي لانه في معنى الوراث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه خروج الاولاد فان الاقربون
لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي
صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر ﴿والذين عاقدت ايمانكم﴾ موالي الموالاة كان الحليف
يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله ﴿واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض﴾ وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى لو اسلم رجل على
يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره
﴿فآتوهم نصيبهم﴾ او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدان وقوله فآتوهم جملة
مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود
واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ﴿ان الله كان على كل شيء شهيدا﴾ تهديد على منع نصيبهم
﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال ﴿بما فضل الله
بعضهم على بعض﴾ بسبب تفضيله الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك
خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب
وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق ﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد
بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فشكى فقال صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ﴿فالصالحات
قانتات﴾ مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج ﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه في
النفوس والاموال وعنه صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها
ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم ﴿بما حفظ الله﴾ بحفظ الله تعالى اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد
والتوفيق له او بالذي حفظه الله تعالى لهن من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب
على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف
والشفقة على الرجال ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز ﴿فعظوهن واهجروهن
في المضاجع﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت
اي لا تبايتوهن ﴿واضربوهن﴾ يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها ﴿فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن
سبيلا﴾ بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿ان
الله كان عليا كبيرا﴾ فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شأنه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم
فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه ﴿وان خفتم شقاق بينهما﴾ خلافا بين المرأة

زوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق
الليلة او الفاعل كقولهم نهاره صائم فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين
الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن
الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به
على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك رحمه الله تعالى لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله تعالى بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل
كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله تعالى بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح
وزوال الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله تعالى مبتغاه إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا صنما
او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا واحسنوا بهما احسانا وَبِذِي الْقُرْبَى وبصاحب القرابة وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب
على الاختصاص اي الجار ذا القربى تعظيما لحقه وَالْجَارِ الْجُنُبِ اي البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة
فجار له ثلثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد
حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل
بجنبك وقيل المرأة وَابْنِ السَّبِيلِ المسافر او الضيف وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ العبيد والاماء إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
مُخْتَالًا متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم فَخُورًا يتفاخر عليهم الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا
ويأمرون الناس بالبخل به احقاء بكل ملامة وقرأ حمزة والكسائي بالبَخَل بفتح الحرفين ههنا وفي الحديد وهي لغة
وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ الغنى والعلم وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وضع الظاهر فيه موضع المضمر
اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله تعالى ومن كان كافرا لنعمة فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والآية
نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصيحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة
محمد صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا افراط وتفريط سواء في القبح
واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ليتحروا
بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركو مكة وقيل المنافقون وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك
وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان

بكونه وعيد لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما
الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد
في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة
وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا
واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثم وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم
مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء
الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم اجره وان تك حسنة وان يكن
مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف
العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها
وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فكيف حال هؤلاء الكفرة
من اليهود وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف
مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم الشان وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء
لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل
الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا
الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان امر الرسول او الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله
حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم
لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله تعالى على افواههم
فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرا نافع وابن عامر تسوى على ان اصله
تتسوى فادغم التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين امنوا
لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا
وتعلموا ما تقولون في صلوتكم روي ان عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين
كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت
وقيل اراد بالصلوة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد منه النهي عن الافراط
في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى او مفرد بمعنى وانتم قوم سكرى و
سكرى كحبلى على انها صفة للجماعة ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال

والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر الا عابري سبيل متعلق
بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء
وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا غير عابري سبيل وفيه دليل على ان التيمم
لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي
تعالى وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهي
عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه على ان المصلي ينبغي ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها
عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر
لا تجدونه فيه او جاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط المطمئن من الارض
او لامستم النساء او ماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعي رحمه الله تعالى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل
او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا
ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية
له في غالب الامر مرض او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه ما يحدث بالذات وما
يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احوالهما بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر
او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اي فتعمدوا
شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح اجزأه وقال اصحابنا لا بد من ان
يعلق باليد شيء من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية
تعسف اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم العضو الى المنكب وما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه
والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم
ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالى لتضمين معنى الانتهاء نصيبا
من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى
او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشى ويحرفون
التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة
هؤلاء وما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلي امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء
تزاد في فاعل كفى لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا
فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم
او خبر مبتدأ محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونه عن
مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل

١٨٥

الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا أمرك واسمع
غير مسمع أي مدعوا عليك بلا سمعت لصمم أو موت أو اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه أو اسمع
كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به أو اسمع غير مسمع مكروها من قولهم أسمعه فلان إذا سبه
وإنما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك وكانوا يسبونه بالكلمة ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام إلى ما يشبه السب حيث وضعوا
راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا أسمعت مكروها أو فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء
والتوقير إلى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو أنهم قالوا سمعنا و
أطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان خيرا لهم وأقوم لكان قولهم ذلك خيرا لهم
وأعدل وإنما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة أن عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم
ولكن خذلهم وأبعدهم عن الهدى بسبب كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا إلا إيمانا قليلا لا يعبأ به وهو الإيمان
ببعض الآيات والرسل ويجوز أن يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه أو إلا قليلا منهم آمنوا أو سيؤمنون
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها من قبل
أن نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة أدبارها يعني الأقفاء أو ننكسها إلى ورائها في الدنيا أو في الآخرة وأصل
الطمس إزالة الأعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس في إزالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه
من قبل أن نغير وجوها فنسلب وجاهتها وإقبالها ونكسوها الصغار والإدبار أو نردها إلى حيث جاءت منه
وهي أذرعات الشام يعني إجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال إن المراد بالوجوه الرؤساء أو من قبل أن نطمس وجوها
بأن نعمي الأبصار عن الاعتبار ونصم الأسماع عن الإصغاء إلى الحق بالطبع ونردها عن الهداية إلى الضلالة أو نلعنهم كما لعنا
أصحاب السبت أو نخزيهم بالمسخ كما أخزينا به أصحاب السبت أو نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود عليه السلام
والضمير لأصحاب الوجوه أو للذين على طريق الالتفات أو للوجوه إن أريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الأول
يدل على أن المراد به ليس مسخ الصورة في الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال إنه بعد مترقب أو كان
وقوعه مشروطا بعدم إيمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان أمر الله بإيقاع شيء أو وعيده أو ما حكم به وقضاه
مفعولا نافذا وكائنا فيقع لا محالة ما أوعدتم به إن لم تؤمنوا إن الله لا يغفر أن يشرك به لأنه بت الحكم على خلود عذابه
ولأن ذنبه لا ينمحي عنه أثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك أي ما دون الشرك صغيرا كان
أو كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه وإحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى إن الله لا يغفر الشرك لمن يشاء
وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل إذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة
أولى منه ونقض لمذهبهم فإن تعليق الأمر بالمشيئة ينافي وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هي حجة عليهم
فهي حجة على الخوارج الذين زعموا أن كل ذنب شرك وأن صاحبه خالد في النار ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما
ارتكب ما يستحقر دونه الآثام وهو إشارة إلى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول

١٨٧

وكذلك لا اعتداد ف ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم يعني أهل الكتاب قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل ناس
من اليهود جاؤوا بأطفالهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال صلى الله عليه وسلم لا قالوا والله ما نحن
إلا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه وأثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على أن تزكيته هو المعتد به دون تزكية غيره فإنه العالم بما ينطوي عليه الإنسان من حسن
وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين وأصل التزكية نفي ما يستقبح فعلا أو قولا ولا يظلمون
بالذم والعقاب على تزكيتهم أنفسهم بغير حق فتيلا أدنى ظلم وأصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به
المثل في الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم أنهم أبناء الله وأزكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا
أو بالافتراء إثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت نزلت في يهود كانوا يقولون إن عبادة الأصنام أرضى عند الله مما يدعو إليه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
في حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف في جمع من اليهود خرجوا إلى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالوا أنتم أهل الكتاب وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم
ففعلوا والجبت في الأصل اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل أصله الجبس وهو الذي لا خير فيه
فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود أو غيره ويقولون للذين كفروا لأجلهم وفيهم هؤلاء
إشارة إليهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا أقوم دينا وأرشد طريقا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا يمنع العذاب عنه بشفاعة أو غيرها أم لهم نصيب من الملك أم منقطعة ومعنى الهمزة إنكار أن
يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من أن الملك سيصير إليهم فإذا لا يؤتون الناس نقيرا أي لو كان
لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون أحدا ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر النواة وهذا هو الإغراق في بيان شحهم
فإنهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم إذا كانوا أذلاء متفاقرين ويجوز أن يكون المعنى إنكار أنهم أوتوا نصيبا من الملك
على الكناية وأنهم لا يؤتون الناس شيئا وإذن إذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الإلغاء والإعمال
ولذلك قرئ فإذا لا يؤتوا على النصب أم يحسدون الناس بل أيحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه أو العرب أو الناس جميعا لأن من حسد على النبوة فكأنما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم
وأنكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل وكأن بينهما تلازما وتجاذبا على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة
والكتاب والنصرة والإعزاز وجعل النبي الموعود منهم فقد آتينا آل إبراهيم الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم
وأبناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد أن يؤتيه الله مثل ما آتاهم فمنهم من اليهود
من آمن به بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بما ذكر من حديث آل إبراهيم ومنهم من صد عنه أعرض عنه ولم يؤمن
به وقيل معناه فمن آل إبراهيم من آمن به ومنهم من كفر به ولم يكن في ذلك توهين أمره فكذلك لا يوهن
كفر هؤلاء أمرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها أي إن لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما أعد لهم

١٨٨

ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان

يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال

ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة

لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا

الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم

لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه

الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتأكيده كقولهم شمس شامس وليل أليل ويوم ايوم

ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن

طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على رضى الله تعالى

عنه يده واخذ منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله تعالى

عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره صلى الله عليه وسلم ان يرده اليه فامر عليا رضى الله تعالى

عنه بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا واذا حكمتم بين

الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان

الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشىء الذى يعظكم به فما منصوبة

موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المأمور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات

ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون بالامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى

الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية

امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله

ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولو الامر منكم فى شىء من امور الدين

وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات

فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا

القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما

يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم

فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم

تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا

من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق

الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر رضي
الله عنه فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال
نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال جبريل عليه السلام ان عمر رضي الله تعالى عنه فرق بين الحق والباطل فسمي
الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه
او لتشبيهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا
به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا
ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق
بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل
عمر المنافق او النقمة من الله بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك ثم جاؤك حين يصابون
للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا
ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مرافعتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه
وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في
قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في
استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او
خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة
فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها
ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم على الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما
ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه كانه احتج
بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن
الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم
اذ ظلموا انفسهم بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت جاؤك تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا
الله بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما
لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع
في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف
كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا

قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم
واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا
من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان
اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى
امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على
اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل بينكم وقرأ عاصم وحمزة بكسرهما
على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون
لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه
كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به
من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم
لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والآية ايضا مما نزلت
في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا
يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام
اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب
لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم
صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم
ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد
عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه
او من ضميره قسمهم الله تعالى اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا عنهم
وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت
نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والآيات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء
واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم
في اعلاء كلمة الله تعالى ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم
هم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان
والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فيكونون كمن يرى الشيء
من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم
شهداء الله تعالى في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا

١٩٠

في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال لم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم
رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي
من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك
هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذلك حين لا اراك
ابدا فنزلت ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم
الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبره ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه
او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر
كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت
على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين
كوكبة واحدة والآية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم
لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطؤن منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد
من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او ثبطوا غيرهم كما ثبط ابن ابي ناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام
الاولى للابتداء دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن
في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط
تحسرهم وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني
كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد
ان يكون معكم لجمع المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المسلمين
وحسدا كان لم تكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة
الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو
محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي
يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت
او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها والمعنى ان بطأ
هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة
وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكى عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعد له الاجر
العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها
على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات

الى القتال بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف
من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم عن الاسر وصونهم
عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله
يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما
الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء
حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا
من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله تعالى دعاءهم
بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم
ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها
وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على
ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله تعالى والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت
فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان
ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله تعالى للكافرين ضعيف
لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اي واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس
كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله تعالى ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ
منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون
على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله تعالى منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل
التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم
الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله تعالى او خشية
اشد خشية من خشية الله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن
القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله تعالى عنهم قل متاع الدنيا قليل سريع
التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم
المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ بالرفع على حذف
الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج
مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ

مشيدة وصفها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة
يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اى وان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية كقحط اضافوها
اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند
الله يبسط ويقبض حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القران فانهم
لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من الله تعالى او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا
فيها فيعلموا ان الباسط والقابض هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله تفضلا منه فان
كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافى نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما احد يدخل
الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها
بالمعاصي وهو لا ينافي قوله كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان و
السيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها
وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا
حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اى رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من فيّ زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع
الرسول فقد اطاع الله لانه في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله تعالى روى انه صلى الله عليه وسلم قال من احبني فقد احب الله تعالى
ومن اطاعني فقد اطاع الله تعالى فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا
كما اتخذت النصارى عيسى عليه السلام فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم
وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اى امرنا طاعة او منا
طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيتت طائفة منهم غير الذي
تقول اى زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة
لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا حمزة وابو عمرو بيت طائفة بالادغام
لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم
فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شانهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم
وينتقم لك منهم افلا يتدبرون القران يتاملون في معانيه ويتبصرون ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء
ولو كان من عند غير الله ولو كان كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان
بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه تصعب معارضته وبعضه تسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة
العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف

ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف مما
يوجب الأمن والخوف أذاعوا به أفشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى
الله عليه وسلم او أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم وكانت
اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمين الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى أولي الامر منهم
الى رأيه ورأي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكر الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره
بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه
الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم حتى يسمعوه منهم وتعرفوا انه هل يذاع لعلمه ذلك من هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول
صلى الله عليه وسلم واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول
ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول صلى الله عليه وسلم وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال
الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله تعالى عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن
نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا
نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي
انه صلى الله عليه وسلم دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو على
احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا
نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل
بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه
من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء لمسلم قال صلى الله
عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة و
التسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر
وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من أقات على الشيء اذا قدر قال ٭ وذي ضغن كففت الضغن عنه ٭ وكنت على
مساءته مقيتا ٭ او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها
او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية
واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر
السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته
فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال عليه الصلاة والسلام انك لم تترك لي
فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد
بين المسلم بحسن التحية وبين الجحيم بتمامها وهي الجواب على الكفاية وتحية السلام مشروع ولا ترد في الخطبة وقراءة

القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم و
الدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول
الشافعي رحمه الله تعالى ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله
والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة اي الله تعالى والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيمة او مفضين اليه او في يوم القيمة
ولا اله الا هو اعتراض والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه في اليوم
او في الجمع فهو حال عن اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه
لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله تعالى محال فما لكم في المنفقين فئتين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين
فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو
لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت
في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او في قوم اظهروا
الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم او عاملها ما لكم كقولك ما لك قائما وفي المنافقين حال من فئتين
اي متفرقين فيهم او من الضمير اي فما لكم تفترقون فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين وقرأ حمزة والكسائي بالاشمام
الصاد الزاي والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشيء مقلوبا
أتريدون أن تهدوا من أضل الله ان تجعلوه من المهتدين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون
كما كفروا تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في ضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب على
جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة
هي لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان المظاهر
بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله
فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة و
قيل الاسلميون فانه عليه السلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه
ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ما له وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي الذين جاؤكم كافين
من قتالكم وقتال قومهم استثنى عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول صلى الله عليه وسلم وكف
عن قتال الفريقين او على صفة قوم وكانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم وعليكم والاول
اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل
عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اي جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل
بدل اشتمال من جاؤكم ... والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان او

او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر او الى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له وليس من شأنه ان يقتل مؤمنا بغير حق الا خطأ فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله في شيء من الاحوال الا حال الخطأ او لا يقتله لعلة الا للخطأ او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد الى الفعل او الشخص او لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم تكن فعلى بيت المال فان لم تكن ففي ماله الا ان يصدقوا يتصدقوا عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية عليه او تسليمها الى اهله الا حال تصدقهم عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او على الظرف فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اي ان كان المقتول مؤمنا من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة وان كان من قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول له اي شرع ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما امر في شأنه

ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما لما فيه من

١٩٧

التهديد والتغليظ وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تقبل توبة قاتل المؤمن عمداً ولعله اراد به التشديد
اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى واني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا اما مخصوص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن ضبابة وجد اخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار ولم
يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتداً او المراد
بالخلود المكث الطويل فان الدلائل متظاهرة على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم
في سبيل الله سافرتم وذهبتم للغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا
من التثبت في الموضعين هنا وفي الحجرات ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرا نافع وابن
عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضاً لست مؤمناً وانما فعلت ذلك متعوذاً وقرئ
مؤمَناً بالفتح اي مبذولاً له الامان تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال
من الضمير في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله
كذلك كنتم من قبل اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت بها دماؤكم واموالكم من غير
ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة في الدين فتبينوا وافعلوا بالداخل
في الاسلام كما فعل الله تعالى بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظناً بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفاً فان ابقاء الف كافر اهون
عند الله تعالى من قتل امرئ مسلم وتكريره تاكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون
خبيراً عالماً به وبالغرض منه فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت
اهل فدك فهربوا وبقي مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا
كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد
مر برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطاه مغتفر لا يستوي القاعدون عن الحرب من المؤمنين في موضع الحال من
القاعدين او من الضمير الذي فيه غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل
منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه
وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي رسول الله صلى
الله عليه وسلم الوحي في مجلسه فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي
القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم اي لا مساواة
بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد في الجهاد
رفعاً لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة
موضحة لما نفي الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او

على المصدر لأنه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه أو الحال بمعنى ذوي درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وإنما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما نصب على المصدر لأن فضل بمعنى أجر أو المفعول الثاني له لتضمنه معنى الإعطاء كأنه قيل وأعطاهم زيادة على القاعدين أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته أسواطا وأجرا على الحال عنها تقدمت عليها لأنها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر بإضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه إجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الأول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الآخرة وقيل المراد بالدرجة الأولى ارتفاع منزلتهم عند الله تعالى وبالدرجات منازلهم في الجنة وقيل القاعدون الأول هم الأضراء والقاعدون الثاني هم الذين أذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الأولون من جاهد الكفار والآخرون من جاهد نفسه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وكان الله غفورا رحيما لما عسى أن يفرط منهم إن الذين توفاهم الملائكة يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع وفيت بمعنى أن الله تعالى يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي أنفسهم في حال ظلمهم أنفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فإنها نزلت في ناس من مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا أي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم في أي شيء كنتم من أمر دينكم قالوا كنا مستضعفين في الأرض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة أو عن إظهار الدين وإعلاء كلمته قالوا أي الملائكة تكذيبا لهم أو تبكيتا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها إلى قطر آخر كما فعل المهاجرون إلى المدينة والحبشة فأولئك مأواهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر إن والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة بإضمار قد أو الخبر قالوا والعائد محذوف أي قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم أو جهنم وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من إقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد عليهما السلام إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والإشارة إليه وذكر الولدان إن أريد به المماليك فظاهر وإن أريد به الصبيان فللمبالغة في الأمر والإشعار بأنهم على صدد وجوب الهجرة فإنهم إذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وأن قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم متى أمكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين إذ لا توقيت فيه أو حال منه أو من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان أسباب الهجرة وما يتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه أو بدليل فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ذكر بكلمة الإطماع ولفظ العفو إيذانا بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى إن المضطر من حقه أن لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه أي يفارقهم على رغم أنوفهم

١٩٨

١٩٩

وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه

بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله ٭ والحق بالحجاز فاستريحا ٭ فقد وقع اجره على الله

وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى ثبوت الامر الواجب والآية نزلت في جندب بن ضمرة

حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على

ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج

فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم اتم في السفر وان عائشة رضي الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت

يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة رحمه الله تعالى لقول عمر رضي الله تعالى عنه صلوة

السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضي الله تعالى عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين ركعتين

فاقرت في السفر وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الآية فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز

الزيادة فلا حاجة الى تاويل الآية بانهم الفوا الاربع فكان مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا

على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب به انفسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ تقصروا من

اقصر بمعنى قصر ومن الصلوة صفة محذوف اى شيئا من الصلوة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان

يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم

يعتبر في قوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا في حال الامن

وقرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت

لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلوة الخوف بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم

الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم

طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة

الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعني المصلين فليكونوا اى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعني

النبي صلى الله عليه وسلم ومن يصلي معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا

معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان

اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان يصلي بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلوتهم

منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلوتهم ويسلم بهم

كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب

هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي معه ركعة ويتم صلوته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي

الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تعود وتاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها وليأخذوا حذرهم

واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين

…الدار فالايمان ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلوتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح
عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض
وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر
بالحزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا
فاذا قضيتم الصلوة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال او
اذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم
مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلوة فعدلوا واحفظوا اركانها وشرائطها واتوا بها تامة
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا مؤقتا محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها في شيء من الاحوال فهذا دليل على
ان المراد بالذكر الصلوة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب في المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن
وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى لا يصلي المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التواني فيه بان
ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله تعالى بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا
يرجو عدوهم فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا ألمين
ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى وكان الله عليما باعمالكم
حكيما فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا
من جار له قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها
فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه
ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
بما اراك الله بما عرفك واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين
اي لاجلهم والذب عنهم خصيما للبرآء واستغفر الله مما هممت به من عقاب اليهودي ان الله كان غفورا رحيما
لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها بالمعصية جعلت المعصية
خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على برائته
وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خوانا مبالغا في الخيانة مصرا عليها اثيما منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى
مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا ولا يستخفون

٢٠١

من الله ولا يستحيون منه وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك

ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة

الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا

جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا او صلة عند من يجعله موصولا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا محاميا

يحميهم من عذاب الله تعالى ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك

وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفورا لذنوبه رحيما متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة

والاستغفار ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله تعالى وان اسأتم فلها وكان الله عليما حكيما فهو عالم بفعله حكيم

في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير

لمكان او فقد احتمل بهتانا واثما مبينا بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف

احدهما دون مقترف الآخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هموا به وتنبيهك على الحق لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان

يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه وما يضلون

الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شئ فان الله تعالى عصمك وما خطر ببالك كان

اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اي شيئا من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة

وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة

لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف

على حذف مضاف اي الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه

الشرع ولا ينكره العقل ويندرج فيه القرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح

ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل

ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة

اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضاة الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا رياء وسمعة لم يستحق بها

من الله تعالى اجرا ووصف الاجر بالعظم تنبيها على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه

ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الآخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له

الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى

من الضلال ونخل بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم

والآية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما

او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم

اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن

عن سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ
منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله تعالى شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جرأة وما توهمت
طرفة عين اني اعجز الله تعالى هربا واني لنادم تائب فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا
عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الآية الاولى فقد افترى
لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبني على الله تعالى وتعالى ان يدعون من دونه
الا اناثا يعني اللات والعزى ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثى بني فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها
كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم لنبيرله ضرس وذلك فانه على المراد وما كان صغيرا سمي قرادا فاذا كبر سمي
حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها
على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهي
جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد
وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها
همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته
في ذلك عبادة له والمارد والمريد الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة
مرداء التي تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اي
شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك
ضلال في الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاة فان
الاله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثة اوجه
الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشيء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثاني
انه ملعون لضلاله فلا يستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم
وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في
العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الاماني الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ولآمرنهم فليبتكن
آذان الانعام يشقونها لتحريم ما احل الله تعالى وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل
ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقء عين
الحامي وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التي هي الاسلام
واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله تعالى زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء
رخصوا في خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره

ما يدعوه اليه على ما امر الله تعالى به وتجاوزه عن طاعة الله تعالى الطاعة فقد خسر خسرانا مبينا اذ ضيع رأس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم ما لا ينجز ويمنيهم ما لا ينالون وما يعدهم الشيطان الا غرورا
وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اي
وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبلها وعد والثاني
لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه
حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة
لقرنائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني
اهل الكتاب اي ليس ما وعد الله تعالى من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل
الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال
اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله تعالى منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني
المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا
يجز به عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اما تحزن
اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذاك ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ولا
يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله تعالى ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات
بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن
في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كائنة من ذكر او انثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل
بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به دونه فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا بنقص شيء
من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب
الثواب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون الجنة هنا وفي مريم وغافر بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم
الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله تعالى لا يعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه لله في السجود
وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ما تبلغه القوة البشرية وهو محسن ات بالحسنات تارك للسيئات
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان وهو حال
من المتبع او الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه

كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيماً له وتنصيصاً على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس ويخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او من الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريق او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استيناف جيئ بها للترغيب في اتباع ملته عليه السلام والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية في كمال البشر روي ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريده للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياءً من الناس فلما اخبروا ابراهيم الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت به فاستيقظ ابراهيم على نبينا وعليه الصلوة والسلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله تعالى خليلاً ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ﴾ خلقاً وملكاً يختار منها ما يشاء ومن يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال ﴿وَكَانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيْطًا﴾ احاطة وقدرة فكان عالماً باعمالهم فيجازيهم على خيرها وشرها ﴿وَيَسْتَفْتُوْنَكَ فِي النِّسَآءِ﴾ في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت ﴿قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيْكُمْ فِيْهِنَّ﴾ يبين لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم ﴿وَمَا يُتْلٰى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتٰبِ﴾ عطف على اسم الله تعالى او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسنداً الى الله تعالى والى ما في القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه والفعل الواحد ينسب الى فاعلين باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره والمراد اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم في الكتاب او يخفض على القسم كانه قيل اقسم بما يتلى عليكم ولا يجوز عطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظاً ومعنى ﴿فِيْ يَتٰمَى النِّسَآءِ﴾ صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اي يتلى عليكم في شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم في زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ بيامى على انه ايامى فقلبت همزته ياء ﴿الّٰتِيْ لَا تُؤْتُوْنَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ اي فرض لهن من الميراث ﴿وَتَرْغَبُوْنَ اَنْ تَنْكِحُوْهُنَّ﴾ في ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلة ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعاً في ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة في نكاحها جريان العقد في صغرها ﴿وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء ﴿وَاَنْ تَقُوْمُوْا لِلْيَتٰمٰى بِالْقِسْطِ﴾ ايضاً عطف عليه اي ويفتيكم او ما يتلى عليكم في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلاً فالوجه نصبهما عطفاً على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم ﴿وَمَا تَفْعَلُوْا مِنْ خَيْرٍ فَاِنَّ﴾

الله كان به عليماً وعد لمن آثر الخير فى ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخائل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزاً تجافياً عنها وترفعاً عن صحبتها كراهة لها ومنعاً لحقوقها او اعراضاً بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحاً ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيئاً تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحاً على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصّلحا من اصّلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب فى المصالحة والثانى لتمهيد العذر فى المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير فى حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغى اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا فى العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيراً عليماً به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالماً باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذى هو فى الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتى فيما املك فلا تؤاخذنى فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحرى ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التى ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفوراً رحيماً يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفاركا اى ان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن الله كلاً منهما عن الآخر ببدل او سلوة من سعته من غناه وقدرته وكان الله واسعاً حكيماً مقتدراً متقناً فى افعاله واحكامه ولله ما فى السموات وما فى الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعنى اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الآية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية فى معنى القول وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض على ارادة القول اى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنياً عن الخلق وعبادتهم حميداً فى ذاته حمد او لم يحمد ولله ما فى السموات وما فى الارض كرره ثالثاً للدلالة على كونه غنياً حميداً فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميداً وكفى بالله وكيلاً راجع الى قوله يغن الله كلاً من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف

دائم البقاء ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم أو خلقا آخرين مكان الإنس وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجاد قديرا بليغ
القدرة لا يعجزه مراد وهذا أيضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف أمره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من العرب ومعناه معنى قوله وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي أنه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان رضي الله عنه
وقال إنهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب أخسهما فليطلبهما
كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أو ليطلب الأشرف منهما فإن من جاهد خالصا لله تعالى لم تخطئه الغنيمة وله في
الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء أو فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له
وكان الله سميعا بصيرا عالما بالأغراض فيجازي كلا بحسب قصده يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين
على العدل مجتهدين في إقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان أو حال ولو على أنفسكم
ولو كانت الشهادة على أنفسكم بأن تقروا عليها لأن الشهادة بيان للحق سواء كان عليه أو على غيره أو الوالدين والأقربين
ولو على والديكم وأقاربكم إن يكن أي المشهود عليه أو كل واحد منه ومن المشهود له غنيا أو فقيرا فلا تمتنعوا عن إقامة
الشهادة أو لا تجوروا فيها ميلا وترحما فالله أولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما
أو لهما صلاحا لما شرعها وهو علة الجواب أقيمت مقامه والضمير في بهما راجع إلى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير
لا إليه وإلا لوحد ويشهد عليه أنه قرئ فالله أولى بهم فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا لأن تعدلوا عن الحق أو كراهة أن تعدلوا
من العدل وإن تلووا ألسنتكم عن شهادة الحق أو حكومة العدل وقرأ حمزة وابن عامر وإن تلوا بمعنى وإن وليتم إقامة
الشهادة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم والكسائي بإسكان اللام بعدها واوان الأولى مضمومة والثانية ساكنة
أو تعرضوا عن أدائها فإن الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا أيها الذين آمنوا خطاب للمسلمين أو المنافقين
أو لمؤمني أهل الكتاب إذ روي أن ابن سلام وأصحابه رضي الله عنهم قالوا يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى
والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل
اثبتوا على الإيمان بذلك وداوموا عليه أو آمنوا به بقلوبكم كما آمنتم بألسنتكم أو آمنوا إيمانا عاما يعم الكتب والرسل
فإن الإيمان بالبعض كلا إيمان والكتاب الأول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي
أنزل بفتح النون والهمزة والزاي والباقون بضم النون والهمزة وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
أي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود إلى طريقه إن الذين آمنوا يعني اليهود
آمنوا بموسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم آمنوا بعد عوده إليهم ثم كفروا بعيسى
عليه السلام ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله عليه أو قوما تكرر منهم الارتداد ثم أصروا على الكفر وازدادوا تماديا
في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا إذ يستبعد منهم أن يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الإيمان فإن
قلوبهم ضريت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا أنهم لو أخلصوا الإيمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في أمثال
ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما يدل على أن الآية

في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد أخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين
ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على
الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين أيبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم فإن العزة لله جميعا
لا يتعزز الا من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة
اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرآن وقرأ غير عاصم نُزِّل والقائم مقام فاعله أن إذا سمعتم آيات الله
وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الآيات جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة
في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا
معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
الآية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها إنكم إذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على
الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار كانوا
منافقين ويدل عليه إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة
لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ
بالفتح على البناء لاضافته الى مبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو
بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فإن كان لكم فتح من الله
قالوا ألم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وإن كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا ألم
نستحوذ عليكم اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس
ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم
وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور
على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا
والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون
اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة وإذا قاموا إلى
الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين
والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون
الله إلا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة
الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك
حال من واو يراءون كقوله ولا يذكرون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى
مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهو جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال

بمعنى يكون بين يدين قابلهم او يثنيهم او يثنين بانثنين كفقو اصم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا
تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين او لا صائرين
الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له
نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين ودينهم
فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق او سلطانا
يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم
اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان ونحوه فمن باب
التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون
بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين
تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به وتمسكوا بدينه
واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين وسوف يؤت الله
المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضرا او يستجلب به
نفعا وهو الغني المتعالي عن النفع والضر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الى مرض فاذا زال
بالايمان والشكر ونقى عنه نفسه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف
المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل القليل ويعطي الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم او التظلم منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم
فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله
وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا
عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له ولذلك رتب عليه قوله
فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث
للمظلوم على العفو بعدما رخص له في الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله تعالى ويكفروا برسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر
ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف
فان الايمان بالله تعالى انما يتم بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر
بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم
هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا

الكافرين عذاباً مهيناً والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أضدادهم ومقابلوهم وإنما دخل بين
على أحد وهو يقتضي متعدداً لعمومه من حيث إنه وقع في سياق النفي أولئك سوف نؤتيهم أجورهم الموعودة لهم وتصديره
بسوف لتوكيد الوعد والدلالة على أنه كائن لا محالة وإن تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على
تلوين الخطاب وكان الله غفوراً لما فرط منهم رحيماً عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك أهل الكتاب أن تنزل
عليهم كتاباً من السماء نزلت في أحبار اليهود قالوا إن كنت صادقاً فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى عليه السلام وقيل
كتاباً محرراً بخط سماوي على ألواح كما كانت التوراة أو كتاباً نعاينه حين ينزل أو كتاباً إلينا بأعياننا بأنك رسول الله
فقد سألوا موسى أكبر من ذلك جواب شرط مقدر أي إن استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى أكبر منه و
هذا السؤال وإن كان من آبائهم أسند إليهم لأنهم كانوا آخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى أن عرقهم راسخ
في ذلك وأن ما اقترحوا عليك ليس بأول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا أرنا الله جهرة عياناً أي أرناه نره جهرة
أو مجاهرين معاينين له فأخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فأهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم
وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحالة التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقاً ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم
البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها أيضاً أوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التوراة إذ لم
تأتهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وآتينا موسى سلطاناً مبيناً تسلطاً ظاهراً عليهم حين أمرهم بأن يقتلوا أنفسهم توبة عن اتخاذهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً على لسان موسى عليه السلام والطور
مظل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود عليه السلام ويحتمل أن يراد على لسان موسى عليه السلام
حين ظلل الجبل عليهم فإنه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود عليه السلام وقرأ ورش
عن نافع لا تعدّوا على أن أصله لا تعتدوا فأدغمت التاء في الدال وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد
الدال والنص عنه بالإسكان وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً على ذلك وهو قولهم سمعنا وأطعنا فبما نقضهم
ميثاقهم أي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف
ويجوز أن تتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه إلى قوله فبظلم لا بما دل عليه
قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لأنه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور
فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن أو بما في كتابهم وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف
أوعية للعلوم أو في أكنة مما تدعونا إليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم أو خذلها ومنعها التوفيق
للتدبر في الآيات والتذكر بالمواعظ فلا يؤمنون إلا قليلاً منهم كعبد الله بن سلام أو إيماناً قليلاً لا عبرة به لنقصانه
وبكفرهم بعيسى عليه السلام وهو معطوف على بكفرهم لأنه من أسباب الطبع أو على قوله فبما نقضهم ويجوز أن يعطف مجموع
هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر إيذاناً بتكرر كفرهم فإنهم كفروا بموسى عليه السلام ثم بعيسى عليه
السلام ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً يعني نسبتها إلى الزنا وقولهم

انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله اى بزعمه ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون وان يكون
استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى
ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله
تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى
الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله تعالى عليه شبهه فاخذ
وصلب وقتل وقيل دخل ططيانوس اليهودى بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى عليه السلام
فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التى لا تستبعد فى زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام
من جراءتهم على الله تعالى وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا على حسب
حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى عليه السلام والمقتول
او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا
على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه فى شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة
الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله تعالى يرفعنى الى السماء انه رفع
الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفى شك منه لفى تردد والشك كما يطلق على ما لا
يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى تسكن اليه النفس جزما
كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه
يقينا كقوله كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشىء علما ونحرته علما اذا
تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريد حكيما فيما دبر
لعيسى عليه السلام وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن
به جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثانى والاول لعيسى عليه السلام والمعنى ما من اليهود والنصارى
احد الا ليؤمنن بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد
ذلك ان قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا فى معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة
الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى عليه السلام والمعنى انه اذا نزل من السماء
آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب
الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهى ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر
والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث فى الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلى عليه المسلمون ويدفنونه

ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى
فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وبصدهم عن سبيل
الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل
على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما
دون من تاب وامن لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار
يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون
الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على
الراسخون او الضمير في يؤمنون او على انه مبتدا والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاجل الاوصاف
المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالاية
اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره
في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون
وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقون
اشراف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا وقرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه
اوحينا اليك كارسلنا او فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك
وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله تعالى محمدا صلوات الله تعالى عليه بان
اعطاه الله تعالى مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا
او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور
الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم
كان وخبره للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب
فيما يريده حكيما فيما دبره من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم
ما قبله وكانهم لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم
لا يشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القران المعجز الدال
على نبوتك روي انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه
على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في
معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها

والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى
عن التامل والنظر وهذا النوع من خواص الملك ولا سبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر
الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى كفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك
عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم
بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك وعليه تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد
الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا
لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله
يسيرا لا يصعب عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم
اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف
مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض يعني وان تكفروا
فهو غنى عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه
وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى عليه
السلام حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله و
لا تقولوا على الله الا الحق يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم
اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا
لانه كان يحيى الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه
قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن
وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحيوة انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه كما سبق انما الله
اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه
يكون لمن يتصور له مثل ويتطرق اليه فناء له ما في السموات وما في الارض ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه
ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء
كاف في ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كيلا يرى اثره
عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا لله فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف في عبودية
غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى
شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح

٢١٣

اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد قول النصارى
فى رفع المسيح عليه السلام عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم
استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح عليه السلام والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم
اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس
وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة
على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
ويترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون
باستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما
الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة
العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان
اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات
وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله صلى الله عليه وسلم او القرآن
فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب عليه
وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله تعالى وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق
الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه كان
مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل فى الاحكام
قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها فى اوائل السورة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك
ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة له او حال من المستكن فى هلك والواو فى وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت
من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت
عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف وهو يرثها اى والمرء يرث اختها ان كان الامر بالعكس ان لم يكن
لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والآية كما لم تدل على سقوط
الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله تعالى الله
يفتيكم فى الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته
محمولة على المعنى وفائدة الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر يبين الله لكم ان تضلوا اى يبين لكم ضلالكم
الذى من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف
لا وهو قول الكوفيين والله بكل شئ عليم فهو عالم بمصالح العباد فى المحيا والممات عن النبى صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا وأعطي من الأجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم إذا عقدوا عقدا لجارهم
شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وأصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود ما يعم العقود التي عقدها الله
على عباده وألزمها إياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء
به أو يحسن إن حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب أحلت لكم بهيمة الأنعام تفصيل للعقود والبهيمة كل حي لا يميز
وقيل كل ذات أربع وإضافتها إلى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الأزواج الثمانية
وألحق بها الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب وإضافتها
إلى الانعام لملابسة الشبه إلا ما يتلى عليكم إلا محرم ما يتلى عليكم كقوله حرمت عليكم الميتة أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي
الصيد حال من الضمير في لكم وقيل من واو أوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وأنتم حرم حال
مما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم إن الله يحكم ما يريد من تحليل وتحريم يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يعني مناسك
الحج جمع شعيرة وهي اسم ما أشعر أي جعل شعارا سمي به أعمال الحج ومواقفه لأنها علامات الحاج وأعلام النسك وقيل دين الله لقوله تعالى ومن
يعظم شعائر الله أي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه أو بالنسيء ولا الهدي ما أهدي إلى الكعبة
جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج ولا القلائد أي ذوات القلائد من الهدي وعطفها على الهدي للاختصاص فإنها أشرف
الهدي أو القلائد أنفسها والنهي عن إحلالها مبالغة في النهي عن التعرض للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلائد
جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل أو لحاء شجر أو غيرهما ليعلم به أنه هدي فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام
قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا أن يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن
في آمين وليست صفة له لأنه عامل والمختار أن اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شأنه والتنبيه
على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله تعالى رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم إذ روي أن الآية نزلت عام القضية في
حجاج اليمامة لما هم المسلمون أن يتعرضوا لهم بسبب أنه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا
فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين وإذا حللتم فاصطادوا إذن في الاصطياد بعد زوال الإحرام ولا يلزم من
إرادة الإباحة ههنا من الأمر دلالة الأمر الآتي بعد الحظر على الإباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على إلقاء حركة همزة الوصل عليها
وهو ضعيف جدا وقرئ أحللتم يقال حل المحرم وأحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم أو لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم
وهو مصدر أضيف إلى المفعول أو الفاعل وقرأ ابن عامر وإسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو أيضا
مصدر كليان أو نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت أكثر أن صدوكم عن المسجد الحرام لأن صدوكم
عنه عام الحديبية وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسر الهمزة على أنه شرط معترض أغنى عن جوابه لا يجرمنكم

ان تعتدوا بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم اليا جعله
منقولا من المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر
ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفي والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه
اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اي الدم المسفوح لقوله
او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله
به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب
او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى
فماتت والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اي وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت
مما اصطادته لم تحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما
اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمريء بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهي احجار
كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام
او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اي
وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الاخر نهاني ربي والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهي تجنبوا
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم بالازلام وقيل هو استقسام
الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في
الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله تعالى ان اريد بربي الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم
والميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل
اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة في حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم
عنه بتحليل هذه الخبائث وغيره او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية
لي اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع
وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت
لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله تعالى لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات و
ما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام
المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف
اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا
احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية

٢١٥

لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسئول ما أحل لهم من المطاعم كأنهم لما تلي عليهم ما
حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم
مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على
تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع
ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب
لان التاديب يكون اكثر فيه وآثر او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه
على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من الحيل
وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل
منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه افضل الصلوات واجل التسليمات لعدي بن
حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم
المعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكوته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب
فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول
الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي كرم الله تعالى وجهه نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على
الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا عليكم
ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث
على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما لا يحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد باتيانها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان مسرين به
والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان
شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة اي اردتم القيام كقوله فاذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة
ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلوة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد
له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه صلى الله عليه
وسلم صلى الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق

اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلوة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم
نسخ وهو ضعيف لقوله عليه الصلوة والسلام المائدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها
فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك رحمه الله تعالى وايديكم الى المرافق
الجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف
تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق معنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق
اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم وخروجها منه فلا دلالة لها
عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من
حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل
لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض
فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق
فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله
فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رحمه الله تعالى اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين
وابو حنيفة رحمه الله تعالى مسح ربع الراس لانه صلى الله عليه وسلم مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك
رحمه الله تعالى مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي
ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح
لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر
في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان
يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء على وجوب الترتيب
وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم
من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل
تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او الامر بالتيمم
تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب
اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله تعالى
ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة
وليتم نعمته عليكم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه
انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل
وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل

محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل
مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم
وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين
حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة
او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها
فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم
شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على
ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد
تشفيا مما في قلوبكم اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى
بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع
المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل
ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ وعد
الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثاني مفعوليه استغناء بقوله لهم
مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة في موقع المفعول فان الوعد ضرب من القول فكانه قال وعدهم هذا
القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين
حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم
روي ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا
الا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة الخوف
والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روي انه صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الخلفاء الاربعة رضي الله
تعالى عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري رضي الله تعالى عنه يحسبهما مشركين فقالوا
نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة
يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق
سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابي فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فاسقطه
جبريل من يده واخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا
الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه
يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافي لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بني

٢١٨

اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل
عليهم بالوفاء بما امروا به روي ان بني اسرائيل لما فرغوا عن فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير
الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق
واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم
فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع
بن نون من سبط افرائيم بن يوسف عليهم السلام وقال الله اني معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلوة
وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله
قرضا حسنا بالانفاق في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول
عليه باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لا شبهة فيه ولا عذر معه
بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم
من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الآيات والنذر وقرا حمزة
والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا
من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه بيانا
لقسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم
لا من القلوب اذ لا ضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التورية او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء
منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية
ولا تزال تطلع على خائنة منهم خيانة منهم او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة
والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين آمنوا منهم
وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على
ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا
من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما
قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا
بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بين فرق النصارى

٢٨٩

النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين
لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم في التورية
وبشارة عيسى عليه السلام باحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لا يخبر
اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله
عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد من اتبع رضوانه من
اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه ويهديهم الى صراط مستقيم طريق
هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم
هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد
لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن
يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر ٢٢٠
الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما
يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق
من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير
من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحواء او من انثى وحدها كعيسى عليه السلام او منهما كسائر
الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح عليهما السلام كما قيل
لاشياع ابن الزبير رضي الله تعالى عنهما الخبيبيون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك
مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان
بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والمسخ والاسر واعترفتم انه سيعذبكم بالنار
اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من آمن منكم به وبرسله ويعذب
من يشاء وهم من كفر والمعنى انه تعالى يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليهم ولله ملك السموات والارض
وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب
قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول
على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل

٢٢١

متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فترة من الارسال لانقطاع من الوحى ويبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم
والله على كل شىء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة
سنة والف نبى وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام اذ كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة
انبياء ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى وفى الاية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين
انطمست آثار الوحى وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث فى امة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى جعل منكم او فيكم
وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى عليه السلام وهموا بقتل عيسى عليه السلام وقيل كانوا مملوكين
فى ايدى القبط فانقذهم الله تعالى وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم وسماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمى زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق و
فلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التى كتب الله لكم قسمها لكم او كتب فى اللوح المحفوظ انها تكون مسكنا لكم ولكن
ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل
لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا رأسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا فى دينكم بالعصيان
وعدم الوثوق على الله تعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز فى فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان
فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى لنا مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذى يجبر الناس
على ما يريد وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب
ويوشع من الذين يخافون اى يخافون الله تعالى ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فعلى هذا
الواو لبنى اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون
بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير
او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض ادخلوا
عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم وضيقوا عليهم فى المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون
لتعسر الكر عليهم فى المضائق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى
عليه السلام وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام فى قهر
اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها
ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا
انا هاهنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله تعالى ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب

انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وايس
منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق عليهما لما كابد
من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يؤاخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه
عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين
القوم الفسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقون او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم
قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض
عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله تعالى التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما
روي ان موسى عليه السلام سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيه ما شاء الله تعالى ثم قبض وقيل انه
قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع عليه السلام وقتل
الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض
المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها بل هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا
اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس
وعمود من نور يطلع بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى
وهرون عليهما السلام كانا معهم في التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم
وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى عليهما السلام بعده بسنة ثم دخل يوشع عليه السلام اريحا بعد ثلثة
اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفسقين خاطب به موسى عليه السلام
لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابني ادم قابيل وهابيل اوحى
الله تعالى الى ادم عليه السلام ان يزوج كل واحد منهما توأمة الاخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل
فقال لهما ادم عليه السلام قربا قربانا فمن ايهما تقبل تزوجها فتقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد
قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابني ادم لصلبه وانهما رجلان من بني اسرائيل ولذلك قال
كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير في اتل او من نبا
اي ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف لنبا او حال منه او بدل على حذف
مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان
الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما
قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الاخر لانه سخط حكم الله تعالى ولم يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال
لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين

في جوابه اي انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي
ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره
ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مومن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من
الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلوة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن
عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع راسا والتحرز
من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك
ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسطك يدك الي ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادي
ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمي باثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل من اجله قربانك وكلاهما في موضع
الحال اي ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام
الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لي فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان
يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه
فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل وعلى ان قتل اخيه
كانه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من
الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه
روي انه لما قتله تحير في امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله تعالى غرابين فاقتتلا
فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله تعالى او للغراب وكيف حال
في يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوءة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى قال يا ويلتى كلمة
جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة
اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوءة اخي لا اهتدي الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري
عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على
تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود
جسده فساله آدم عليه السلام عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود
جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله

٢٢٣

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل
في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته اي جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تعليل ومن
ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب ونشأه من اجل ذلك انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس
يوجب الاقتصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث
انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد والجميع سواء في استجلاب
غضب الله تعالى والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حيوتها بعفو او منع
عن قتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل
النفس واحياءها في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك
الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض
بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب
السلب والمراد به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا اي
مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون في الارض فسادا ان يقتلوا اي
من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في
انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي تقطع
ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض اي ينفوا من بلد
الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة رحمه الله تعالى النفي بالحبس واو
في الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي
في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم
استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى
الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لا تسقط
الحد وان اسقطت العذاب وان الآية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة
وبعدها يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل
الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة
اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم
ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من

عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح فمن شاء فليطلب منه والمراد بالايدي الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه صلى الله عليه وسلم اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الآخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب على المغفرة اتباعا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم على المغفرة او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اي في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في للكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمن السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم آخرين لم ياتوك اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك

لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان يتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون ليكذبوا
لقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها اما لفظا
باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون
او حال من الضمير فيه او استيناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم يحرفون وكذلك يقولون
ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه
فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا
رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم
بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له
انشدك الله الذي لا اله الا هو والذي فلق البحر لموسى عليه السلام ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون
والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت
ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله تعالى
شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول
المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود
في النار والضمير للذين هادوا ان استانفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد
اكالون للسحت اي الحرام كالرشا من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب
بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم
بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض
ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعي رحمه الله تعالى والاصح وجوبه اذا كان
المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والآية ليست في اهل الذمة وعند
ابي حنيفة رحمه الله تعالى يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم
فان الله تعالى يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امر الله تعالى به ان الله
يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم
من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا
بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم
الله تعالى في زعمهم وفيها حكم الله حال من التوراة ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها
المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك

ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وما اولئك
بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي
الى الحق ونور يكشف ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبياء بني اسرائيل او موسى عليه السلام
ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت على
النبيين مدحا لهم وتنويها بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين
هادوا متعلق بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل على ان النبيين انبياؤهم والربانيون
والاحبار زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله تعالى اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا
عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا تخشوا الناس
واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا
بآياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا
به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون
والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم على خلافه وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من
الصفات الثلث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة لها او لطائفة كما قيل هذه في المسلمين
لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا على اليهود فيها في التورية
ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن
بالسن رفعها الكسائي على انها جمل معطوفة على ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكأنه قيل وكتبنا عليهم النفس
بالنفس والعين بالعين فان الكتابة والقراءة تقعان على الجمل كالقول او جمل مستأنفة ومعناها وكذلك العين
بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او على ان المرفوع منها معطوف
على المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة
للمعنى والجروح قصاص اي ذات قصاص وقرأه الكسائي ايضا بالرفع ووافقه ابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه
اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق
كفارة له للمتصدق يكفر الله تعالى به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اي فالمتصدق كفارته التي يستحقها
بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم الظالمون وقفينا على
آثارهم اي واتبعناهم على آثارهم فحذف المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيين بعيسى ابن مريم مفعول ثان
عدي اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التورية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في
موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين

ويجوز نصبهما على المفعول لهما عطفا على معه وفيه وتعليلا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
عليه في قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اي وآتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر
كقولك امرتك بان قم اي وامرنا بان ليحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن الايمان
ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه
السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف
الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام
الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة
والثبات وقرئ على بنية المفعول اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحفاظ في كل عصر
فاحكم بينهم بما انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى ما يشتهونه
فعن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تتزحزح او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم
ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ
بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع
المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل
ومفعول لو شاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله تعالى اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما
آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها
مقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة
وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد
للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان
احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اي انزلناه بالحق وبان
احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله
اليك اي يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل من هم بدل الاشتمال اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم
مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت
انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم
ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره
فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان
لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما في التنكير ونظيره قول
لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه

أفحكم الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى
وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من
التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف وحذفه في الصلة في قوله تعالى اهذا
الذي بعث الله رسولا واستضعف في غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اي يبغون حاكما كحكام الجاهلية
يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما
لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله تعالى هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم
الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين
واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اي ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد في
وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلوة والسلام لا تترآى ناراهما او لان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله
لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين في
قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه يسارعون فيهم اي في موالاتهم ومعاونتهم يقولون نخشى ان تصيبنا
دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من الدوائر بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار
روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم واني
ابرأ الى الله تعالى ورسوله من ولايتهم واوالي الله تعالى ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من
ولاية موالي فنزلت فعسى الله ان يأتي بالفتح لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من
عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اي
هؤلاء المنافقون على ما اسروا في انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول فضلا
عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين آمنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه كلام مبتدأ
ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ
وبالنصب قراءة ابي عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتي باعتبار المعنى وكأنه قال عسى ان يأتي الله بالفتح ويقول
الذين آمنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى
عسى الله ان يأتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد
ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله تعالى عليهم
من الاخلاص او يقولونه لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم
لننصرنكم [illegible] واقسموا بالله

يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة المقول او من قول الله تعا شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب
كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه قراه على الاصل نافع وابن عامر
وهو كذلك في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله تعا عنها قبل وقوعها وقد ارتد من
العرب في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي تنبأ
باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول
صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة
تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها
لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله تعا عنه بجند المسلمين وقتله وحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا رضي الله تعا عنه فهرب بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر رضي الله تعا عنه سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن
سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت
المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى
الله امرهم على يده وفي امرة عمر رضي الله تعا عنه غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف
ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اليمن لما روي انه صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى رضي الله تعا عنه
وقال قوم هذا او قيل الفرس لانه صلى الله عليه وسلم سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان رضي الله تعا عنه وقال
هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة الاف
من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعا للعباد ارادة
الهدى والتوفيق لهم في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة
على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمين معنى
العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة
على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى
لقوم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين
المجاهدة في سبيل الله تعا والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم
يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم
واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء

يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة
الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله تعالى على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل
منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلوتهم وزكوتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي
يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في صلوتهم حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وانها نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله
سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي
للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه
نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل
في الصلوة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم
اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه
وكأنه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله تعالى هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا
لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء
نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي
عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شأنه بعيد عن الموالاة جدير
بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان
عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي
عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن
كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده
ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلوة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلوة
روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات
ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى
الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه
كذا اذا انكره وانتقم اذا كافأه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الا ايمانا بالكتب المنزلة
وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم
حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون
منا الا الايمان بالله تعالى وبما انزل وبان اكثركم فاسقون او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا

لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر
محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سألوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اؤمن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا
ذكر عيسى عليه السلام لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اى من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا
عند الله تعالى والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها
على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف المضاف اى بشر من
اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله تعالى او خبر محذوف اى هو من لعنه الله تعالى وهم اليهود ابعدهم
الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الايات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة
ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت وعبد
بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة
او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد
الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله تعالى وقرأ حمزة
وعبد الطاغوت بضم الباء وجر التاء والباقون بفتح الباء ونصب التاء اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم
شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى
وقدح اليهود والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم
قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا
به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان
من فاعلى دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع
ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه
وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم و
العدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت
اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضى افاد التوبيخ واذا دخل المستقبل
افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب
فيه وتروّ وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها و
تميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق

وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك تستعمل حيث لا يتصور ذلك
كقوله * جاد الحمى بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده * ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل
وقيل معناه انه فقير لقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما
قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في
الاخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة
في الرد ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا
والاخرة وعلى ما يعطي للاستدراج وما يعطي للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخرى على حسب مشيته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز جعله
حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولا لانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والاية
نزلت في فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله تعالى عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشوم تكذيبهم محمدا
صلى الله عليه وسلم واشترك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء
الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه صلى الله تعالى عليه ردهم الله تعالى بان اوقع
بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تعالى عليهم
بخت نصر ثم افسدوا فسلط فطلوس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين
وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب
والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم
وما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نواخذهم بها ولادخلناهم
جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب
ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما و
القيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها
كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات
السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من راس الشجر ويلتقطون
ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشوم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا
او اقاموا ما امروا به لوسع الله تعالى عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية
ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون

اى بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط فى العداوة

يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ
جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادى منها كترك بعض اركان
الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان
البعض والكل سواء فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك
من الناس عدة وضمان من الله تعالى بعصمة روحه صلى الله عليه وسلم من تعرض الاعادى وازاحة لمعاذيره صلى الله عليه وسلم
ان الله لا يهدى القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبى صلى الله عليه وسلم بعثنى الله تعالى برسالاته
فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فتقويت وعن انس رضى الله تعالى
عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمنى
الله تعالى من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله
اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شىء اى دين يعتد به ويصح ان
يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله
عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له
والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس
على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفى
المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره فى سورة
البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان والتقدير ان الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله * فانى وقيار بها لغريب * وقوله * والا فاعلموا
انا وانتم * بغاة ما بقينا فى شقاق * وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم
عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون
والنصارى معطوفا عليه ومن آمن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله * نحن بما عندنا وانت بما
عندك راض والرأى مختلف * ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف
عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد و
الفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها فى موضع الرفع بالابتداء و
قيل والصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
فى محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف
اى من آمن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابيين وهو الظاهر والصابيون

بقلب الهمزة ياء، والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفاً او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا
شرعاً ولا عقلاً لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلاً ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون جواب الشرط والجملة
صفة رسلاً والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جيء بيقتلون
موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضاراً لها واستفظاعاً للقتل وتنبيهاً على ان ذلك ديدنهم ماضياً
مستقبلاً ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب
بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة
واصله انه لا تكون وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان
بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا
العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله تعالى عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله تعالى
عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل
والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله
خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا
٢٣٥ ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة
يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين وما
للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً على انهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى صلوات الله تعالى على نبينا وعليه وان يكون
من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيماً لعيسى على نبينا وعليه الصلوة والسلام وتقرباً اليه وهو معاديهم
بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة اي احد ثلثة وهو حكاية عما قاله
النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من
اله الا اله واحد وما في الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله
موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى
وضعه موضع ليمسنهم تكريراً للشهادة على كفرهم وتنبيهاً على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه
ولذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة
ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم

يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله تعالى بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى
العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم عليه السلام من غير اب
وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا يأكلان الطعام
ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين اولا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الالوهية لان كثيرا
من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكونا من عداد المركبات الكائنة
الفاسدة ثم عجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات
ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات
عجب واعراضهم عنها اعجب قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى عليه السلام
وهو وان ملك ذلك بتمليك الله تعالى اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا
والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي القدرة عنه راسا
وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم
الضر لان التحرز عنه اهم من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيرا فخيرا
وان شرا فشرا قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى عليه السلام الى ان
تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل يعني اسلافهم وائمتهم الذين ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن
شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه
صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم اي لعنهم الله تعالى في الزبور
والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب
المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن
منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله
وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء
فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموه ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله تعالى والخلود

في العذاب وعلة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله
والنبي يعني نبيهم وان كانت الاية في المنافقين فالمراد نبينا وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن
كثيرا منهم فاسقون خارجون عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا
لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة
قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم
لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على
العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق
وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها
تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى
انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا امنا بذلك او بمحمد صلى الله عليه وسلم فاكتبنا مع الشاهدين
من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو
الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم او جواب سائل قال لم امنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل
ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله تعالى اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه
ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف
والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك
هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا
النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان
يقرأ عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب
الجحيم عطف التكذيب بايات الله تعالى على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه
النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله تعالى بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل الله تعالى لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل
ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم
فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنهم واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض
ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء والطيب فمن رغب عن سنتي
فليس مني ونزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله تعالى فيكون حلالا
مفعول كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون
مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة المصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام
لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما
يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى وقيل الحلف على
ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب الامام الاعظم ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه
مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرا حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف
وابن عامر برواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه
وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله صلى الله عليه وسلم
من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط
ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله
النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من
اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلث كالالف وهو جمع اهل كالليالي
في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل اسم جمع لاهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهو ثوب
يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وكاسوتهم
او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره
او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل
ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلثة ايام
فكفارته صيام ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه التتابع لانه قرئ ثلثة ايام متتابعات والشواذ ليست
بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان

تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اى

مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل

هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة

والازلام سبق تفسيرها فى اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف

او لمضاف محذوف كانه قال انما تعاطى الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه

الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطى لعلكم تفلحون لكى تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر فى هذه

الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان

الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك

بان بين ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة

والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها

على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم

شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن

الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا

على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار

قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا

انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم

انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا

الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم

استمروا او ثبتوا على اتقاء المعاصى واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روى انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة

رضى الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرير

باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه

وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان فى الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه الصلاة

والسلام فى تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث المبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات

توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع فى الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس

الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشىء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله

محبوبا يا ايها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشىء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله

بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون

والتقليل والتحقير في شيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن
لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو
غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق
العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك
جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله تعالى فيه فكيف به فيما يكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين آمنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكوة للتعميم واراد
بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب
والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف
في ان هذا النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله والاكثر على ان
ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه
ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله
فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة الكوفيين ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء
يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له
فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام مثل كما في قولهم
مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه
ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي
رحمهما الله تعالى والقيمة عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن هدي تخير بين
ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين
ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم يبلغ تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل
منكم صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر
وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا
وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصيصه بالصفة
او بدل عن مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته لفظية ومعنى
بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يذبح بالحرم ويتصدق به حيث يشاء
او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر
محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عنده

الشافعي رحمه الله تعالى وان يكفر باطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا
او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول
وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل
ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الاطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء
عاقبة هتكه لحرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله تعالى واصل الوبل الثقل ومنه الطعام
الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم
الله منه فهو ينتقم الله تعالى منه وليس فيه ما يمنع الكفارة على العائد كما حكي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
وشريح رحمه الله تعالى والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش
الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه والحل ميتته وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل الضمير
للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اي لسيارتكم يتزودونه قديدا و
حرم عليكم صيد البر اي ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن
له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما
اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي
البيت الكعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم
اي سببا لانتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه
اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه
كما اعل في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر
الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من
الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع
المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شيء عليم
تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد
ووعد لمن هتك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في
ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله
تعالى بين الرديء من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال
ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود

القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اي فاتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة
لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين تنتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمهم
والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشيء على
ان اصله شيء كهين او شيء كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه
عفا الله عنها صفة اخرى اي عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس حج البيت
قال سراقة بن مالك أكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو
وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئناف اي عفا الله تعالى عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها
والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه
السلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شيء الا اجبت فقال
رجل اين انا فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسئلة
التي دل عليها لا تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم
فان ظرف الزمان لا يكون صفة الجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اي بسببها حيث لم ياتمروا بما سألوا
جحودا ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت
فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وان
ولدتهما وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوا
من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد وهو البحيرة
ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم لا يعقلون اي الحلال
من الحرام والمبيح من المحرم او الآمر ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعه حب
الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين
والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع

على الابتداء لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء ان ينكر
المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا
له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهي
لكنه ضمت الراء اتباعا للضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد
بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر احدكم الموت
اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان
لا يتهاون فيه او ظرف حضر اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم اى
من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة
جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة
الموت اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول
عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض فائدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما في السفر
فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلوة العصر لانه وقت
اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل والنهار وقيل اى صلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ارتاب الوارث منكم
لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم
عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبا لطمع ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف
اى لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التي امرنا الله باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف
حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمنا وقرئ
لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما
اى فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين
جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما
وهو خبر محذوف اى هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة
ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اى من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على
التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق
منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين

اقسمهم ان اعتديناوَمعنى الاثنين ان المحتضراذا اراد الوصية ينبغى ان يُشهد عدلين من ذوى نسبه او دينه على وصيته او يوصى اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان فى سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ فى الوقت فان اطّلع على انهما كذبا بامارة ومظنّة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيّين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيّين فان تصديق الوصى باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روى ان تميما الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيّين ومعهما بديل مولى عمرو ابن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدوّن ما معه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبر بها واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتّشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيّباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الآية فحلّفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلّى سبيلهما ثم وجد الاناء فى ايديهما فاتاهما بنو سهم فى ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بيّنة فكرهنا ان نقرّ به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطّلب بن ابى وداعة السهميّان وحلفا وتعليل تخصيص العدد بخصوص الواقعة ذلك اى الحكم الذى تقدّم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحمّلوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان تردّ ايمان بعد ايمانهم ان تردّ اليمين على المدّعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدى القوم الفاسقين اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين اى لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اى واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اى للرسل ماذا اجبتم اى اجابة اجبتم على ان ما فى موضع المصدر او باى شىء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوأد ولذلك قالوا لا علم لنا اى لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا ومالم نعلم مما اضمروا فى قلوبهم وفيه التشكى عنهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اى انك انت الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ حمزة وابو بكر الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك وهو

ظرف لنعمتي بحال منه وقرئ ايدتك بروح القدس بجبريل او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس حيوة ابدية
وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اي كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة
والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه
سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك الكتب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة
الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره
في سورة ال عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسراءيل عنك يعني اليهود
حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينت ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي
ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت
الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة
قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يعيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا
نبه بها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن
تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة
وقيل المعنى هل يطيع ربك اي هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع
ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من
ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليه ونظيرها قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان
كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان قالوا نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان
لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال
قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشهدين لله اذا استشهدتنا
او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا
في ذلك او انهم لا يقلعون عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون
لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن
جواب الامر لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد
فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة والطائفة
واية عطف على عيدا منك صفة لها اي اية كائنة منك على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة
او الشكر عليها وانت خير الرزقين اي خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها
عليكم اجابة الى سؤالكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه
الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العلمين اي من عالمي

٢٤٥

زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين
غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم
اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير
الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من
الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن
وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه اخترعه
الله تعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله تعالى ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو
اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء و
الاغنياء والضعفاء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم يأكل منها فقير الا
الاغني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض بعد ابدا ثم اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتي في الفقراء
والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلثمائة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله تعالى
انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله تعالى لمقترحي المعجزات
وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن
وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم
الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السوال والحوا فيه فسال لاجل اقتراحهم
فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى
من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ
لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او
صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة
فمن عبده مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة
وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوسلين بنا الى الله تعالى ﴿قَالَ
سُبْحَانَكَ﴾ اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ ما ينبغي لي ان اقول
قولا لا يحق لي ان اقوله ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ تعلم ما اخفيه في نفسي
كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات
﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ تقرير للجملتين باعتبار مفهومه ومنطوقه ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾
تصريح بنفي المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ عطف بيان للضمير في به او بدل منه وليس

من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يأول القول بالامر فكان قيل ما امرتهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله تعالى اني متوفيك ورافعك والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فمنعت من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الايات وانت على كل شيء شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اي ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي مر من كلام عيسى عليه السلام واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا لان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا على انه غير اولي العقل في غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث من قوله تعالى قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول

ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها
على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد
بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات
ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى
لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله تعالى حقيق
بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه
الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه
احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذه البينات والباء على
الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى
الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين
اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث
فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن
ياتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى
اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله تعالى لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم
تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد
وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل
التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله
الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية
كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى
انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم
ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اراد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس
وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تاتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها
معرضين تاركين للنظر فيه ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا
عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات

فكيف لا يعرضون عنه ولذلك رتّب عليه بالفاء فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون اي سيظهر لهم ما
كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره ألم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثلثون وقيل
اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلّت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكّنّاهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا
وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكّن لكم ما لم نجعل لكم
من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء
عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا
في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من
بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين
يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزّلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم
فمسّوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكّرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار
لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص لقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلّا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل
اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه
والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله تعالى جرت بذلك فيمن قبلهم
ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب
ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة
يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثّلناه رجلا كما
مثّل جبريل في صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته وانما رآهم كذلك الافراد
من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم
فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم وقرئ ولبسنا بلام واحد وللبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم
الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله تعالى بعذاب الاستيصال كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا
في الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك هاهنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب
النظر في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب
بحيث لا يمكنهم ان ينكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن

٣٣٩

ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة
استئنافا وقسم للوعيد على اشراككم واغفالكم النظر اى ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم
او في يوم القيمة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه
في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب
على الذم او رفع على الخبر اى انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب
عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على
الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اى ما سكن فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين
عن الاخر وهو السميع لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم
وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد
بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة لله
فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام
لشدة الحاجة اليه وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله تعالى والمعنى كيف اشرك بمن هو فاطر
السموات والارض وهو متعال عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى
انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين
ولا تكونن من المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم مبالغة
اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه
محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم
عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر
على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر
غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره
الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شيء اكبر شهادة نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق
القول فيه في سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اى هو شهيد بيني وبينكم ويجوز ان يكون
الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان شهيدا بينهم كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن

بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من
الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القران
تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم يبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع
انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون
يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التوراة
والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله تعالى وهؤلاء شفعاؤنا عند
الله او كذب بآياته كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان
كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه
ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله تعالى وقرا يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان و
المراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها
ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته
وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او
لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو
وابو بكر بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله
ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا
اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا
على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكسائي ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون
من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القران والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم
اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا
انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر
الشيء ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان يروا كل
آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاءوك يجادلونك اي بلغ تكذيبهم الآيات الى
انهم يجيئونك ويجادلونك وحتى هي التي يقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا
ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال

اطفيه ام ويجوز ان تكون الجارة وما اجاؤك في موضع الجر ويجادلونك حال ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع
اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول
والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون
به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى
اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها
فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد
تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم
دعني ولا اعود اى انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمنى
وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو
اجراءها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من
قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح
اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون
وعلى نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى
اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف
قال أليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث
وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم
ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة
فجأة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجيء قالوا يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا
في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شأنها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصارها الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
اى ما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا
وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس
من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا تعقلون اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشأن فانهم

لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون آيات الله تعالى ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم
ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمين الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك
وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم
وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده
من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبأ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي
نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء
فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو
ان يأتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لأتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي ولو شاء
الله تعالى جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم يتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه
بانه لو شاء لجمعهم على الهدى بان يأتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين
يسمعون بفهم وتأمل كقوله تعالى او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حين
لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل
من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم
الى الايمان كنتق الجبل او آية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله تعالى قادر على انزالها وان انزالها
يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرأ ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من
دابة في الارض يدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع
على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال
قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم حملا على
المعنى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه
امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول
به فان فرط لا يعدى بنفسه وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حشرها موتها والذين

٢٥٣

كذبوا بآياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعاً تتأثر به نفوسهم وبكم
لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث أي خابطون في ظلمات الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز
أن يكون حالاً من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله إضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على
المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بأن يرشده إلى الهدى ويحمله عليه قل أرأيتكم استفهام تعجيب والكاف
حرف خطاب أكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولاً
كما قاله الكوفيون لعديت الفعل إلى ثلاثة مفاعيل وللزم في الآية أن يقال أرأيتموكم بل الفعل معلق أو المفعول
محذوف وتقديره أرأيتكم آلهتكم تنفعكم أو تدعونها وقرأ نافع أرأيتكم وأرأيت وأرأيتم وأفرأيتم وأشباهها إذا كان قبل
الراء همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الراء والكسائي يحذفها أصلاً والباقون يحققونها وحمزة إذا وقف وافق نافعاً إن أتاكم
عذاب الله كما أتى من قبلكم أو أتتكم الساعة وهولها ويدل عليه أغير الله تدعون وهو تبكيت لهم إن كنتم صادقين
أن الأصنام آلهة وجوابه محذوف أي فادعوه بل إياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول
لإفادة التخصيص فيكشف ما تدعون إليه أي ما تدعونه إلى كشفه إن شاء أن يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وتنسون
ما تشركون وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول أنه القادر على كشف الضر دون غيره أو وتنسونه
من شدة الأمر وهوله ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك أي قبلك ومن زائدة فأخذناهم أي فكفروا وكذبوا المرسلين
فأخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون
لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وأنه لا مانع
إلا قساوة قلوبهم وإعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم
أبواب كل شيء من أنواع النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء إلزاماً
للحجة وإزاحة للعلة أو مكراً بهم لما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر فتّحنا بالتشديد
في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الأعراف حتى إذا فرحوا بما أوتوا من النعم ولم يزيدوا
على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دبره دبراً ودبوراً إذا تبعه والحمد لله رب العالمين
على إهلاكهم فإن هلاك الكفار والعصاة من حيث إنه تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة
جليلة يحق أن يحمد عليها قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم أصمكم وأعماكم وختم على قلوبكم بأن يغطي عليها ما يزول
به عقلكم وفهمكم من إله غير الله يأتيكم به أي بذلك أو بما أخذ وختم عليه أو بأحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف
الآيات نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين ثم هم
يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الإعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب

الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمة امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل
يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ
بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح
عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوات
الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه
عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله
مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم
اني ملك اي من جنس الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوي
الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية او الملكية ومدعي المستقيم كالنبوة
افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان
او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي
ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم
ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك
وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال له لو فعلت حتى
ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي كرم الله تعالى وجهه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاتا
الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هاهنا وفي الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين
فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي
ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل
ايمانهم عند الله تعالى اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم
لما اتسموا بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب
النفي فتكون من الظالمين جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبيب وفيه نظر وكذلك فتنا
بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض

في امر الدين فقلنا منا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا
اى اهؤلاء من انعم الله تعالى عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء
وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل
على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله
واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون
ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ
سلام الله تعالى اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله بعد النهى عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتى
العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله تعالى بالسلامة فى الدنيا والآخرة
فى الاخرة وقيل ان قوما جاؤوا الى النبى صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل
منها بجهالة فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله تعالى
عنه فيما اشار اليه او متلبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل
ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه
من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات
آيات القران فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأ نافع بالتاء ونصب
السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر
وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل
فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين قل انى نهيت صرفت
وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن
عبادة ما تعبدون من دون الله تعالى او ما تدعونها آلهة اى تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم
واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى
وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وما انا من المهتدين اى فى شىء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة تنبيه على
ما يجب اتباعه بعدما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحى او الحجج
العقلية او ما يعمها من ربى من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربى اى كذبتم
به حيث اشركتم به غيره او لبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتاخيره يقص الحق اى القضاء الحق او يصنع

٢٥٦

الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل
الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين
قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي
ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله تعالى وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ و
بمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار
من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها
الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه
دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار
عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه تعالى بالجزئيات ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل
الكل على ان الكتاب المبين علم الله تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة
او الابتداء والخبر في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ينيمكم ويراقبكم فيه استعير التوفي من الموت للنوم لما
بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص
الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل
مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل
الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم
من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث
الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم
حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على
الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من
خدمه المطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه بالامالة
وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان ثم ردوا
الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم
يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب
قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال
الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب ينجيكم
بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرا ابو بكر هنا وفي الاعراف خفية
بالكسر

بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن
انجانا ليوافق قوله يدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل
كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على
ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم
نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم
ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم
قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا
انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع
لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبا
خبر يريد به اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا
رايت الذين يخوضون في آياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى
يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين معهم فوضع
الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون
عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل
النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لان
من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين
يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا
بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على
التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي
كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال
بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله
على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس
بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته
لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها
العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي وههنا الفداء

٢٥٨

وكل نصب على المصدر كانه قيل وان تفد كل فداء والفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلافه فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه
المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم
وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء سخين يتجرجر فى بطونهم ونار تشتعل بابدانهم
بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا
نرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذى استهوته الشياطين كالذى ذهبت به
مردة الجن فى المهامه استفعال من هوى يهوى هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب
على الحال من فاعل نرد اى مشبهين الذى استهوته او على المصدر اى ردا مثل رد الذى استهوته فى الارض
حيران متحيرا تائها ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم
او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله
الذى هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على
ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هى بمعنى الباء وقيل هى زائدة وان اقيموا الصلوة
واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موضع لنسلم كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روى ان
عبد الرحمن بن ابى بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق رضى الله
٢٥٩ عنه تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد الذى كان بينهما وهو الذى اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذى خلق السموات
والارض بالحق قائما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله
الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه خالق السموات والارضين وقوله الحق نافذ فى
الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات والهاء فى واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق
مبتدأ خبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها او حين يقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ فى الصور كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالعلة لكله للآية واذ قال ابراهيم
لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفى كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل
العلم تارخ وآزر وصف له معناه الشيخ او المعوج وقيل هو غير منصرف لانه اعجمى او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمى على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او
اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى اتعبد آزر ثم قال اتتخذ اصناما
آلهة تفسيرا وتقريرا وبدل عليه وقرئ آزر تتخذ اصناما بفتح همزة آزر وكسرها وقرأ يعقوب بالضم
على النداء وهو يدل على انه علم انى اريك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابراهيم
نعرفه ونبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية

ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي
تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري ابراهيم اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب
كان الزهرة وقيل المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر
عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب
الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما رأى القمر
بازغا مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان
بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح
للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب
عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة
المحتاجة الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات عليه
فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه
ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه و
خاصموه في التوحيد قال أتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى التوحيد
ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه
من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله تعالى وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به
علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه كل
الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الصانع الضار النافع ما لم ينزل به عليكم
سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين احق بالامن اي الموحدون او المشركون
وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئنافا منه او من الله تعالى بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك لما روي
ان الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ليس ما تظنون
انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط
بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن
الى قوله وهم مهتدون او من قوله أتحاجوني في الله اليه حجتنا آتيناها ابراهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها

٢٦١

على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء
في العلم والحكمة وقرأه الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده
له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلوة
والسلام عدّ هداه نعمة على ابراهيم عليه السلام من حيث انه كان اباه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير
لابراهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا عليهما وعلى نبينا السلام ليسا من
ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان لابراهيم عليه السلام اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي بعدها
والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب ايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابراهيم برفع درجاته
وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت
والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى عليهما وعلى
نبينا الصلوة والسلام كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع
هو اليسع بن اخطوب عليه السلام وقرأ حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
في قوله : رايت الوليد بن اليزيد مباركا : شديدا باعباء الخلافة كاهله : ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن
هاران اخي ابراهيم عليهما السلام وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق
ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم
تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية
ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم
بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة
والرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي وكل من آمن به صلى الله تعالى عليه وسلم او الفرس وقيل
الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد
بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل
ولا يمكن التاسي بهم جميعا فليس فيه دليل على انه صلى الله تعالى عليه وسلم متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف
ومن اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف وحذف الهاء في الوصل خاصة حمزة
والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام قل لا اسألكم
عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة

بالامر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكير وعظة لهم وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شىء حين انكروا الوحى
وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على
المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم بقوله قل من انزل
الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء
وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزئتها
بابداء بعض انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه وروى ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله تعالى يبغض الحبر السمين فانت الحبر
السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون
لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة
على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل
اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله الله تعالى والله تعالى انزله امره بان
يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى
خوضهم فى باطلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من
مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذى بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة
محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم و
اعظم القرى شأنا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم
بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل الشرق والغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما
ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه
نبيا كمسيلمة والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه او قال اوحى الى ولم يوح اليه شىء كعبد الله
بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
فلما بلغ قوله ثم انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال صلى الله
تعالى عليه وسلم اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا
لقد قلت كما قال ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة

باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم
تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا
نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم
تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تتاملون فيها ولا تومنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا
او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد
كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد
فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا
لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم
تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله تعالى فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد
تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل
على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله
عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم
او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة يخرج
الحى يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحى ومخرج ذلك
من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب والنوى فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم
المحيى والمميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل
او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصبح
سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه
جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق
بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس
والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان علمى الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح
كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك
التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير
الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر

والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الآيات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذي انشأكم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذي انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شيء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما في قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اي واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شيء من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها من مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة والقدر واللون والطعم انظروا الى ثمره اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر

على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله تعالى خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق
وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه
اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا
ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا
او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير
فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون
له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله
او ضمير الشان وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا تخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال
على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضين وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها
لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد الشئ نظيره ولا نظير له فلا ولد والثاني ان المعقول من
الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفؤ الوالد ولا كفؤ له لوجهين
الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم
اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل
شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم
عليها لا تدركه الابصار لا تحيط به جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على
امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات
ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها
وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار
لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا
ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق
وتبصرها به فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ
وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك
نصرف الآيات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال
وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل
الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى تقدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين

وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست
او دارست اليهود محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد
صلى الله عليه وسلم ودارسات اي قديمات او ذوات درس كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود
التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون
به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى
منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف
حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان
مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
اي ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة
بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم
كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا
يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك
زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة
بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة
والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتأكيد فيه التحكم على الرسول صلى الله
عليه وسلم في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله
هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الآية المقترحة اذا جاءت
لا يؤمنون اي لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه
بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم
ويعقوب انها بالكسر كأنه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الآية طمعا في ايمانهم
فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما
يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم
عطف على لا يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم
يؤمنوا به اي بما انزل من الآيات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ
ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة **ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة**
وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله تعالى
والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات

٢٦٧

او مصدر بمعنى مقابلة كهيئة وهو قراءة نافع وابن عامر وقصره على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا
لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون فى حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم
وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم
على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الآية طمعا فى ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبى سبقك عدوا وهو دليل
على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله تعالى وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا
او اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثانى ولكل متعلق به او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن
الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا
مفعول له او مصدر فى موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء وايحاء
الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم
ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون
ذلك جعلنا لكل نبى عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل
بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير فى فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا
ما هم مقترفون من الآثام افغير الله ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بينى وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير
العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس
وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن عن سائر الآيات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك
بالحق تأييد لدلالة الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله تعالى بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه صلى الله تعالى
عليه وسلم لم يمارس كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه
بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين
فى انهم يعلمون ذلك او فى انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب
الرسول لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد بمعنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمة
ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا فى الاخبار والمواعيد وعدلا فى الاقضية والاحكام و
نصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد
يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ كقوله
وانا له لحافظون او لا نبى ولا كتاب بعدها ينسخها او يبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القرآن
وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من فى الارض اى اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او اتباع

يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه لان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه الهوى وقيل الارض مكة
ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم واراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم
وان هم الا يخرصون يكذبون على الله تعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة
وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم
بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب
الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله
تعالى فيكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من
اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر
اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احل الله تعالى
واجتناب ما حرمه وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم
ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب
وحفص حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام
وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بتشهيهم بغير علم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان
ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح
وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا
مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهره في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعي
رحمهم الله تعالى بخلافه لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله تعالى عليه وفرق ابو حنيفة رضي الله
تعالى عنه بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر اسم غير الله تعالى عليه لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله
به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من
الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله تعالى وهو يؤيد التاويل بالميتة وان
اطعتموهم في استحلال ما حرم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله تعالى الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما
حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله و
انقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب
ميتا على الاصل كمن مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا من
الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانهم زين للكافرين ما كانوا
يعملون والآية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي

كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني أو في كل قرية أكابر ومجرميها بدل ويجوز أن يكون مضافا إليه إن فسر الجعل بالتمكين وأفعل التفضيل
إذا أضيف جاز فيه الإفراد والمطابقة ولذلك قرئ أكبر مجرميها وتخصيص الأكابر لأنهم أقوى على استتباع الناس والمكر بهم ليمكروا فيها وما
يمكرون إلا بأنفسهم لأن وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي
رسل الله روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى
إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت الله أعلم حيث يجعل رسالته استئناف للرد عليهم بأن النبوة
ليست بالنسب والمال وإنما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم
بالمكان الذي يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله
يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم أو جزاء على مكرهم فمن يرد الله أن يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للإيمان يشرح صدره للإسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة
للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سئل عنه فقال نور يقذفه
الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك أمارة يعرف بها فقال نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله
الإيمان وقرأ ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وأبو بكر عن عاصم حرجا بالكسر أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كأنما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فإن صعود السماء مثل فيما
يبعد عن الاستطاعة ونبه به على أن الإيمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود وقيل معناه كأنما يتصاعد إلى السماء
نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه وأصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وأبو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
أو الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا إشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن أو إلى الإسلام أو إلى
ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه أو عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه أو عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا أو مقيدة والعامل فيها معنى الإشارة قد فصلنا
الآيات لقوم يذكرون فيعلمون أن القادر هو الله تعالى وأن كل ما يحدث من خير أو شر فهو بقضائه وخلقه وأنه عالم بأحوال
العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله تعالى الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من المكاره أو دار تحيتهم
فيها سلام عند ربهم في ضمانه أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم أو ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزائها فيتولى إيصاله إليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب بإضمار اذكر أو نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الإنس أي من إغوائهم وإضلالهم أو
منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الأمير من الجنود وقال أولياؤهم من الإنس الذين أطاعوهم ربنا استمتع

بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر
على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى
الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه
قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل
بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون
من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب
صح ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل
من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب
العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطأ رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيا
واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام
للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال الرسل وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك او
لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او متلبسين بظلم او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من
ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما عملوا من اعمالهم او من اجلها او من جزائها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه علمه
او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة
يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد
وتاسيس لما بعده وهو قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشأ يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء
من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله
لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن عاصم على مكاناتكم
بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام
والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي به اليه وتسجيل بان
المهدد لا يأتي منه الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى
اية تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب

٢٧١

بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر

بانه محق وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى القصص يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع

الظلمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام

نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم

روى انهم كانوا يعينون شيئا من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون

على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان راوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا

لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بان

جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله تعالى به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين

وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات زين لكثير

من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء

للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية

معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزادة وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم

باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او

ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء

الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم

او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى

فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال

دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله

عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه

تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف

سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا

ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث

فيه سواء وتانيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر بن عامر فى تكن بالتاء

وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهما والتاء فيه للمبالغة كما فى رواية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع

موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى هو فى الظرف لا من الذى فى

لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى وعلى صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة

بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فى فيه لان المراد بالميتة

ما فيهم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى في التحريم والتحليل من قوله وتصف ألسنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر
وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير سفهاً بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى رازق اولادهم
ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد
ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات
ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال
والنخل والزرع مختلفاً اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع
داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفاً حال مقدرة لانه لم يكن
كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها
كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه
قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت
بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت
الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حِصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه
ولا تسرفوا في التصدق كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشاً
عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره
وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم
منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج
بدل من حمولة وفرشاً او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة و
الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل
من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ
بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع
ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما
ونصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكراً كان او انثى
نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيئاً من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار
ان الله تعالى حرم من الاجناس الاربعة ذكراً كان او انثى وما تحمل اناثها رداً عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام
تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله تعالى حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين شاهدين

وصّاكم الله بهذا حين وصّاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة
والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي
ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه
تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام
ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا
عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه
رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل
اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من
اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء
من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه
صلى الله عليه وسلم لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها
على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع
كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت
بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف
على شحومهما و او بمعنى الواو او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب
فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس
شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن
رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا
آباؤنا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء لقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن
ولا آباؤنا والمراد وانهم على الحق المشروع المرضي عند الله تعالى لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله
تعالى اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا
التكذيب لك في ان الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير
في اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون
تكذبون على الله تعالى وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية

فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من
الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء
هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني
تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام فانه الاصل وعند
الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية
ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر
بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم
فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا
تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة
لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا
امر من التعالي واصله ان يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل ما حرم ربكم منصوب باتل
وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعنى اتل اي شيء حرم
ربكم عليكم متعلق بحرم او اتل ان لا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم
فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من
عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا
يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اي واحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة
والدلالة على ان ترك الاساءة في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب
او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود
وقتل المرتد ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل
هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده
حتى يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية
لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم و
وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوي
قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
تتعظون به وقرا حمزة وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان
هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما ذكر في السورة فانها باسرها في بيان التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرا

٢٤٨

حمزة والكسائي إن بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام على
أنه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا
تتبعوا السبل الأديان المختلفة والطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف
الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم
به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الأخبار أو للتفاوت
في الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك أنا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي
أحسن على من أحسن القيام به ويؤيده أن قرئ على الذين أحسنوا أو على الذي أحسن تبليغه وهو موسى عليه السلام أو تماما
على ما أحسنه أي أجاده من العلم والشرائع أي زيادة على علمه إتماما له وقرئ بالرفع على أنه خبر
مبتدأ محذوف أي على الذي هو أحسن أو على الوجه الذي هو أحسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا
مفصلا لكل ما يحتاج إليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم
لعل بني إسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون أي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن أنزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه و
اتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه أن تقولوا كراهة أن تقولوا علة لأنزلناه إنما أنزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص في إنما لأن الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وإن
كنا إن هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة على خبرها والأصل وإنه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري
ما هي ولا نعرف مثلها أو تقولوا عطف على الأول لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم لحدة أذهاننا وثقابة
أفهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والأشعار والخطب على أنا أميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة
واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن أظلم ممن كذب بآيات الله بعد أن عرف صحتها أو تمكن من
معرفتها وصدف أعرض أو صد عنها فضل وأضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما
كانوا يصدفون بإعراضهم أو صدهم هل ينظرون أي ما ينتظرون يعني أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن
لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين إلا أن تأتيهم الملائكة ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي
بالياء أو يأتي ربك أي أمره بالعذاب أو كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لقوله أو يأتي بعض آيات ربك يعني أشراط
الساعة وعن حذيفة والبراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما
تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الأرض وخسفا بالمشرق
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا
تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها كالمحتضر إذ صار الأمر عيانا والإيمان برهاني
وقرئ تنفع بالتاء لإضافة الإيمان إلى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا أو كسبت في إيمانها خيرا عطف
على آمنت والمعنى أنه لا ينفع الإيمان حينئذ نفسا غير مقدمة إيمانها أو مقدمة إيمانها غير كاسبة في إيمانها خيرا وهو دليل

لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتزلي تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع باحد الامرين على معنى
لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه
خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل
ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال صلى الله عليه وسلم افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي
على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الروم فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا
فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل
هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب
من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع
على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر
الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني
صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من
المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان
قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من
المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حيوتي و
اموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة
والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها
غيره وبذلك القول او الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا
فاشركه في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه
مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر
وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم
بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم
بعضا او خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم
فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او
لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة
واتى ببناء المبالغة واللام الموكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة

مسالح فيها عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح
والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف مكية الا ثماني آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا محكمة كلها
وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن
في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه
النهي اليه للمبالغة كقولك لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف والجواب كانه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق
بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله تعالى جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل ان تنذر والرفع عطفا على كتاب
او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا
تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله تعالى دين اولياء
وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا حيث تتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد
القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء
وابن عامر يتذكرون بالياء على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا
اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع
موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب عليه السلام وانما حذفت واو الحال استثقالا
لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبير عنهما مبالغة في غفلتهم
وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم
او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه
وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من
هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل
اليهم ما كانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم والوزن
اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه
الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل
يؤتى به الى الميزان فتنشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمة الشهادة

فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه
صلى الله عليه وسلم انه ليأتي العظيم السمين يوم القيمة لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ
الذي هو الوزن والحق صفته او خبر مبتدأ محذوف ومعناه العدل السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما توزن
به حسناته جمع موزون او ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن فاولئك هم المفلحون
الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت
عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه
تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم
ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم
عليه السلام قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة
على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على
ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا
بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال
بالحسن والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان راى الفضل
كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة
وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر
الملائكة بالسجود له لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين
اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من
السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره
قال عليه السلام من تواضع لله تعالى رفعه الله تعالى ومن تكبر وضعه الله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون امهلني الى يوم القيمة فلا تمتني و
لا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت
المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله تعالى انتهاء اجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته
قال فبما اغويتني اي بعد ان امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية
او حملا على الغي او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه وقيل
الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف

كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اي وجه يمكنه باتيان
العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من
تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل
الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز
عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن
لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف
المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين
وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
قال اخرج منها مذؤوما مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما
مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم منكم اجمعين وهو ساد
مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن
جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اي وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا
انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اي فعل الوسوسة لاجلهما وهي في الاصل الصوت
الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد سبق في البقرة كيفية وسوسته ليبدي لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة
او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنها بالسوأة وفيه دليل على ان
كشف العورة في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما وري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما من عوراتهما
وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما قلبت في اويصل تصغير واصل
لان الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة
واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم السلام وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت
رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل
على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة
وقيل اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة
نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سو

اي فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف

في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نوراً او حلة او ظفراً وطفقا يخصفان اخذا

يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يُخصِفان من اخصف اي يخصفان

انفسهما ويُخصِّفان من خصّف ويَخِصّفان واصله يختصفان وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان

الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي

للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعرض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك

قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب

لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر له تبعاً ليعلم انهم قرناء ابداً او اخبر عما قال لهم مفرقاً بعضكم لبعض

عدو في موقع الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى ان

تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان ومنها تَخرجون وفي

الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباساً اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسبا

ب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها

ويغنيكم عن خصف الورق روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله تعالى

فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول

سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشاً ولباساً تتجملون به والريش الجمال وقيل

مالاً ومنه تريّش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشاً وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله تعالى وقيل

الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس

التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائي ولباسَ بالنصب عطفاً على لباساً ذلك اي انزال اللباس من آيات

الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا يفتننكم

الشيطان لا يمتحننكم بان يمنعكم من دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما

منها والنهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من

ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتأكيد للتحذير

من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين

اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا

لهم واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف

قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الآباء والافتراء على الله تعالى فاعرض

عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته جرت على الامر بمحاسن الافعال
والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه
الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا والله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه
لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء على الله تعالى قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط
من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها
واقيموها نحو القبلة عند كل مسجد في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة
ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم
كما انشاكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم
من التراب تعودون اليه وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم
للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا
الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطي و
المعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني ادم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد
۳۸۱ لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا
ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به
فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه كل ما شئت
والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله تعالى الطب في نصف اية فقال
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج
لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع والطيبات من الرزق
المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة
لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي
كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق
بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان
وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت
لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة

لا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت ولا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول يا بني آدم اما يأتينكم
رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم
وضمت اليها ما لتأكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم
والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب بآياته ممن تقوّل على الله تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون ارواحهم
وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله اي اين
الآلهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا و
شهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله تعالى لهم يوم القيامة او
احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين
في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اي دخولا او منزلة وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله
تعالى لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا
واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او
لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
تعالى لاخراهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا
العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله تعالى للفريقين ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اي
عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة
والتاء في تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي به وبالياء لان التأنيث غير حقيقي
والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله تعالى ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو
ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا ما توقف عليه وقرئ الجُمّل كالقُمّل والجُمَل كالنُّغَر والجُمْل كالقُفْل والجُمُل كالنُّصُب والجَمْل
كالحَبْل وهي الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو الابرة والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين
فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواشُ على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبّر عنهم بالمجرمين
تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة

والظاهر التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصلحت لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك
اصحب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا
وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله تعالى عنه اني لارجو ان
اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهر زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا
لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تعالى وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف
دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عيانا عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة
اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال
من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة
والتاذين من القول ونادى اصحب الجنة اصحب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود
لم يكن باسره مخصوصا وعدهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن
قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين ان لعنة الله على الظلمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول واجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله
صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا او ميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان
ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين
لقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره اعرف من
غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة
والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او
من الوسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحب الجنة ان سلم عليكم
اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجه الآخر واذا صرفت
ابصرهم تلقاء اصحب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظلمين اي في النار ونادى اصحب الاعراف
رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق
او على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء

اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا ويحلفون ان الله تعالى لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم
ولا انتم تحزنون اي التفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوها وهو اوفق للوجوه الآخرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
بفضل الله تعالى بعد ان حبسهم حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او بعض الملائكة هؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا
لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا اي صبوا وهو دليل على ان الجنة فوق النار من الماء او مما
رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على
الكافرين منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم
بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين
فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا كما لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى
جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين
بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حالان من الهاء هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من
تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت
رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاءوا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على
فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد
وهو الرد فنعمل غير الذي كنا نعمل جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر
وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي في
اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي
خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الامور ثم استوى
على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش
على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك
فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما
ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابوبكر عن عاصم بالتشديد
فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث
وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه
وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق
والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق

الاية والله تعالى اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله فقضاهن سبع سموات
في يومين وعمد سبحانه الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة
الاثار والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض في يومين اي ما في جهة السفل في يومين ثم انشا انواع المواليد الثلثة
بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء
الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق و
الامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي
ذوي تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به
على ان الداعي ينبغي ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله
الله تعالى عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار
وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع
الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا ولسعة فرط رحمته
ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم
او لانه صفة محذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب
من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرا ابن عامر نشرا
بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق
فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرا
او للبشارة وبشرى بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتى اذا اقلت حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه
اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى
احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها
برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على
هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارته

نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج نباته الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام
والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرِج اي يُخرجه
البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم
يشكرون نعمة الله تعا فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر
لقد ارسلنا نوحا الى قومه جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها
توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم
اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني
اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان
قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي
ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك
باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله تعا ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم و
اعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع
الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله
كصحف شيث وادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم
من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم
وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم
فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة
الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من
الله تعا تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعا فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من آمن
به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه
او بانجيناه او حال من الموصول او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصر
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان
لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله
وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استأنف به ولم يعطف كانه جواب سائل قال فما قال
حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله تعا وكان قومه اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه
اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك

قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي
وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم
الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين
تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي في مساكنهم من رمل عالج الى شحر عمان او في الارض
بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله تعالى ثم ذكرهم بالنعمة وزادكم في الخلق بسطة قامة
وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر
ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه
ومعنى المجيء في أجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فأتنا
بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم
او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام أتجادلونني
في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق
للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم و
سندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية
جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم
والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله تعالى بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا
اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روي
انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله تعالى اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله تعالى القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم
وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله تعالى الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد
بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر
فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان
له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين +
الا يا قيل ويحك قم فهينم + لعل الله يسقينا غماما + فيسقي ارض عاد ان عادا + قد امسوا ما يبينون الكلاما + حتى
غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم فقالوا لمعاوية
احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء
فانها اكثرهن ماء فخرجت السحابة على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها

فيعذبوا فاهلكتهم ثم نجاه والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله تعالى فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي
او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح
بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على
صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له
آية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله تعالى لتعظيمها ولانها جاءت
من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس
الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب
للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها
او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب
بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا
في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم واستذلوهم
لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين أتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها
على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي عقل ورأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما
فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله
وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة
فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية
فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله تعالى اليهم صالحا من
اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب
له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له
اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك
لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم
ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو
والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البئر
حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادي فتهرب

منها انعامهم الى بطنه وكشف بطنه فتقرب من اشيهم الى الظهر فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا واسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم
الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة
اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد
ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين
ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا ولقد ارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل
اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد
قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه و
بخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوا انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون
الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال
وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع
٣٢٩ لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف
في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من
المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من آمن به الا امراته
واهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم
مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان
لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه ابراهيم عليهما السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله تعالى الى اهل سدوم
ليدعوهم الى الله تعالى وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله تعالى عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف
بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم
بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من محاربة عصا موسى عليه وعلى نبينا
السلام التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم عليه
السلام على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى عليه السلام او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة

هود وا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعدما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موضع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه

قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب

والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر و شعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم الكفر بالله بهداه او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام

فأخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فأصبحوا في دارهم جاثمين أي في
مدينتهم الذين كذبوا شعيباً مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها أي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا
شعيباً كانوا هم الخاسرين ديناً ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فإنهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا و
المبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت
لكم قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم
بكفرهم أو قاله اعتذاراً عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الإبلاغ والإنذار وبذلت وسعي في النصح والإشفاق
فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بإمالتين وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء
والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا وينكسروا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة أي أعطيناهم بدل ما كانوا
فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالأمرين حتى عفوا كثروا عدداً وعدداً يقال عفا النبات إذا كثر ومنه
إعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفراناً لنعمة الله ونسياناً لذكره واعتقاداً بأنه من عادة الدهر يعاقب
في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فأخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو أن
أهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر
لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي أفأمن أهل القرى عطف على قوله فأخذناهم
بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً تبييتاً أو وقت بيات أو مبيتاً أو مبيتين
وهو في الأصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز أو المستتر

۲۹۱

في بياتاً أوأمن أهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد أن يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في
الأصل ضوء الشمس إذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم أفأمنوا مكر الله تقرير لقوله أفأمن
أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون الذين
خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أي يخلفون من خلا قبلهم
ويرثون ديارهم وإنما عدي يهد باللام لأنه بمعنى يبين أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولاً ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل عليه أو
لم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه
بمعنى وطبعنا لأنه في سياق جواب لو لإفضائه إلى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم واعتبار
تلك القرى يعني قرى الأمم المار ذكرهم نقص عليك من أنبائها حال إن جعل القرى خبراً ويكون إفادته
بالتقييد بها وخبر إن جعلته صفة ويجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها
لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين

التكذيب وفما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات
المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك
يطبع الله على قلوب الكافرين فلا يلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض
او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات
ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم
اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدأ والخبر
والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله ولقد
جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذي هو من حقها
لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد
بن مصعب بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك وقوله
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما لم يذكره لدلالة قوله فظلموا
بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول كما قرأه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون ٢٩٢
انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس
وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت بآية
من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا
هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل
معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا
خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان موسى عليه وعلى نبينا
الصلوة والسلام آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
شعاع الشمس قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي
عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون في ان نفعل قالوا ارجه واخاه
وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم كانه اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير
اي اخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر

على الاصل في الضمير او ارجئه من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءته في رواية قالون
ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص ارجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه
كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر في رواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة
او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في
الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل الشرط في طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استأنف به كأنه جواب سائل
ما قالوا اذ جاءوا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما
ان نكون نحن الملقين خيروا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم
في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك
قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء ووثوقا على شأنه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه
واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يأفكون
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول
٢٩٣ روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم
اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص تلقف ههنا وفي
طه والشعراء فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين
صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على
وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله تعالى الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون
بالذين اراد بهم كسر موسى عليه السلام وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون آمنتم به بالله تعالى او بموسى عليه السلام والاستفهام
فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص
آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون وآمنتم بابدال في حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة وبمد
بعدها مدة في تقدير الفين وقرأ في طه على الخبر بهمزة والف وقرأ في الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقرأ
الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم
وموسى في المدينة في مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون
عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين
تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله

قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله تعالى او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الآثام وهو الصبر
على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم
الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة * ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة
والاخاء على معنى ان يكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف او حال وقرئ
بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن وآلهتك معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما
وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب
ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك
القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل
اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم و
يستخلفكم في الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم
او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح في زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة
وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة
غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات
بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا
الى الله تعالى ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب
يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان
الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهي لم تؤثر فيهم بل ازدادوا عندها عتوا
وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى
بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم
عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع

ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم وقالوا مهما أصلها ما الشرطية ضمت إليها ما المزيدة للتأكيد
ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
أو النصب بفعل يفسره تأتنا به أي أيما شيء تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وإنما سموها آية على زعم موسى عليه السلام لا
لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير في به وبها لما ذكر قبل التبيين
باعتبار اللفظ وأنث بعده باعتبار المعنى فأرسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل الجدري
وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها والضفادع والدم روي أنهم
مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه إلى تراقيهم وكانت بيوت بني إسرائيل
مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى عليه السلام
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله تعالى عليهم
الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الأبواب والسقوف والثياب ففزعوا إليه ثانيا فدعا وخرج إلى الصحراء وأشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فأكل ما أبقاه الجراد وكان
يقع في أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا إليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر ثم أرسل الله
عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام إلا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب إلى قدورهم وهي تغلي وإلى
۲۹۵ أفواههم عند التكلم ففزعوا إليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد ثم أرسل الله تعالى عليهم
الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطي مع الإسرائيلي على إناء فيكون ما يليه دما وما يلي الإسرائيلي ماء ويمص الماء من فم
الإسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات الله تعالى
ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم إذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل إن موسى عليه
السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الإيمان وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل أو الطاعون أرسل الله تعالى عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير
فيه بمعنى ادع الله تعالى متوسلا إليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا إلى ما نطلب منك
بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل أي أقسمنا بعهد الله
تعالى عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إلى حد من الزمان هم بالغوه فيعذبون
فيه أو يهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل إلى أجل عينوه لإيمانهم إذا هم ينكثون جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا
النكث من غير توقف وتأمل فيه فانتقمنا منهم فأردنا الانتقام منهم فأغرقناهم في اليم أي في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها
وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون أي بالاستعباد وذبح الأبناء من مستضعفيهم

مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها
بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين
وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد
ودمرنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من
البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله تعالى عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات
العظام تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة
احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فأتوا على قوم
فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين
امر موسى عليه السلام بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة
يعبدونها قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى
عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله تعالى يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا
وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار
عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق لما هم فيه لا محالة
وان الاحباط الكلي لازم لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال أغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين
والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه
تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا
موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة
بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله تعالى فيه بيان
ما يأتون وما يذرون فلما هلك سأل ربه فأمره بصوم ثلاثين فلما أتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك
رائحة المسك فافسدته بالسواك فأمره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه
التوراة في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم
او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روي ان موسى
عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني

٣٩

انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله تعالى ولذلك رده بقوله لن تراني دون لن أرى
ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال
لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا
اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار
عن عدم رؤيته اياه تعالى ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة
فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك
يريد ان يبين به ان لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي له حيوة ورؤية حتى رءاه جعله دكا
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي
لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت
اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من امن بانك
لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا
باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك
فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التورية
يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه في امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا
كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر
او صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى عليه السلام فقطعها بيده او شقها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على
اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد
وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب
والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن
البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين دار فرعون
وقومه بمصر خاوية على عروشها ومنازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأورثكم
بمعنى سابين لكم من اوريت الزند ويؤيده قوله تعالى واورثنا القوم سأصرف عن آياتي المنصوبة في الآفاق والانفس
الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان
اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم
الباطل او حال من فاعله وان يروا كل آية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى و

التعليل وهو بدل الضمير الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي
الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينتصب ذلك على المصدر
اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله تعالى في الآخرة حبطت
اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه للميقات
من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم
وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم
او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري لما صاغ العجل القى
في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ
اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اي صياح ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل
كآحاد البشر حتى حسبوه انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم
المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم
ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من
الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال
بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم من بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة و
الخطاب لهارون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف
عما ينافيه أعجلتم امر ربكم أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعد ربكم الذي
وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب
وفرط الضجرة حمية للدين روي ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة
اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر في
كفهم وهرون كان اكبر منه بثلث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكان
من ابويه وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن ام بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت
الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة
عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني

واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين
معدوداً في عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت بأخي ولأخي أن فرط في كفهم ضم إليه نفسه
في الاستغفار ترضية له ودفعاً للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم الراحمين فأنت أرحم
بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما أمرهم به من قتل أنفسهم وذلة في الحياة
الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى
ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات
وآمنوا واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وإن
عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ عن موسى الغضب باعتذار هارون
أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر
عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله تعالى أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي
ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها أي كتب فعلة بمعنى المفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة هدى بيان
للحق ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف
المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله تعالى لربهم واختار موسى قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل
الفعل إليه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار
من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع
وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى عليه السلام بهم الغمام وخروا سجداً فسمعوه يكلم موسى يأمره
وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة أو رجفة
الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى ما رأى أو بسبب
آخر أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم في البحر وغيرهما وترحمت
عليهم بالإنقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد
والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم
موسى عليه السلام لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على
الهلاك فخاف عليهم موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فبكى ودعا فكشفها الله تعالى عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين
أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خواراً فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز
عن حده أو باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها إيمانه أنت ولينا القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا
وارحمنا وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة و
توفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده

٢٩٩

اذا امله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا واملنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا
مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء
في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الاخرة او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل
للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم بآياتنا يؤمنون
فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يامرهم او خبر مبتدأ تقديره هم الذين او بدل من الذين
يتقون بدل البعض او الكل والمراد من امن منهم بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا
بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته
الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات
مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت
عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطاء وقطع الاعضاء الخاطئة
وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين
آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل
معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها
ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر
الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق
المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان
لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ
وكلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه
وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون
جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم
موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد
بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها
على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنو اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير

او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذا جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباطا
فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت اسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا الى
موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام
لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس
كل سبط مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء
افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له هاهنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له
في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة
عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر
ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالرفع والجمع غير ابن عامر فانه وحد وقرا ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيرها
فيها واسالهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك
معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على
شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف
لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ
يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي يعدون الات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه
بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون
لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من
الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ قالت
عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم
لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في
ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو
منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال
اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرا حفص معذرة بالنصب على

المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا
تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله تعالى بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن
عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخففت عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع
بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيّس كريّس على قلب الهمزة ياء
ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا
عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر
يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب بئيس فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان يكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا
للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا
يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود
تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور حولهم باكية ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم
واذ تأذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله
فاجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك
على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله تعالى عليهم بعد سليمان عليه وعلى نبينا
الصلوة والسلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا
يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ففعل بهم ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال
مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض
امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم
الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون
عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل
جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة
من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو
او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا
الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون و
ان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين
عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق ومتعلق به اي

بان لا يقولوا على الله تعالى الا الحق والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله تعالى
وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يوخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض
والدار الآخرة خير للذين يتقون مما ياخذ هولاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنى المودى الى
العقاب بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة
عطف على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر
موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى
كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما
اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله تعالى الطور فوقهم وقيل
ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى قلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب
بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون قبائح
الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما
يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد
والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا
كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام
على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن
من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى آباءهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله تعالى
آدم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك
لحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام
ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعدما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية و
العقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم
يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اى على اليهود نبا الذى آتيناه آياتنا هو احد علماء بنى اسرائيل
او امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله تعالى
عليه وعلى آله وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله تعالى فانسلخ منها من الآيات
بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان

قومه سألوه ان يدعو على موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوا عليه
حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها
ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات
وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب له والموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب
وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه
اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله
فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما
سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس
الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب
ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون
تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم اي مثلهم على حذف المخصوص
بالذم الذين كذبوا بآياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة
معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب
الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم
الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى وان هداية الله تعالى تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة
للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم
بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله تعالى بالمهتدي تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه
كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا
كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق
والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله تعالى نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ
سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في
جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل
الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف

فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن
اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم
عليه او لم يرضوا عنهم فان الله تعالى مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي السجدة يلحدون بالفتح
يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق
للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة
الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلوة والسلام لا تزال من امتي طائفة على الحق
الى ان يأتي امر الله تعالى اذ لو اختص بعهد الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين
كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال
درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله تعالى بهم
فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب وأملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين
ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا
صلى الله تعالى عليه وسلم من جنة جنون روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى
فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على
ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها
ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه
وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن
وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت
ونزول العذاب فبأي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كأنه اخبار عنهم
بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كأنه قيل
لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا
فبأي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل
له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي
به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كأنه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسألونك عن الساعة
اي عن القيمة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله تعالى كساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت اليه لان البعض آو الى الكل قل انما علمها
عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان

٣٠٥

الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام فى قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت فى السموات
والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة فى اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجاءة
على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم
سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفى عنها عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا
سال عنه فان من بالغ فى السوال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسئلونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك
عنها كانك حفى تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بك بتعليم وقتها وقيل معناه كانك حفى بالسوال عنها تحبه من
حفى بالشئ اذا فرح لانك تكره لانه من الغيب الذى استاثره الله تعالى بعلمه قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به
من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله تعالى لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك
لنفسى نفعا ولا ضرا لجلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك
فيلهمنى اياه ويوفقنى له ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالى ما هى عليه
من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة
لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذى
خلقكم من نفس واحدة هو ادم عليه وعلى نبينا الصلوة والسلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من
جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى
جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشيها اى جامعها حملت حملا خفيفا خف
عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به فاستمرت به وقامت
وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا
الله ربهما لئن اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة
فلما اتيهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتيهما اى جعل اولادهما له شركاء فيما اتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعنى
الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى بطنك لعله بهيمة او كلب
وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لادم عليه السلام فهما منه ثم عاد اليها وقال انى
من الله تعالى بمنزلة فان دعوت الله تعالى ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث
وكان اسمه حارثا فى الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبياء ويحتمل ان
يكون الخطاب فى خلقكم لال قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان له زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله

الولد فاعطاهما الله اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم
الشركاء وهم ضمير الاصنام جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم
ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف
وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم
الله تعالى سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء
من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم
واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث
انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوهم بصور الاناسي قال
لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد
عليه بالنقض فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم
هنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون
عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله تعالى وحفظه ان
وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده
فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل
لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون
الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل وما تسهل
من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف بالمعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين
فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم باستجماعها
واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب
وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق
ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من
آذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين

وهو من لمم والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله تعالى به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكائد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي اخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأه او هلا طلبتها من الله تعالى

قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القران بصائر للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القران فاستمعوا له

وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القران مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على الماموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للماموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام من قراءته كما هو مذهب الشافعي رحمه الله تعالى تضرعا وخيفة متضرعا

وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو

ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله تعالى ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم اية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتي امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله تعالى يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اي الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله تعالى وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله تعالى به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنائم بدر كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول

للشافعي رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت
سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض
فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما تجاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك بحذف الهمزة
والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اي يسألك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في
الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتسليم امره الى
الله تعالى والرسول صلى الله تعالى عليه وسلم واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم
كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه وقرئ وجلت
بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ
اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل
داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار عليها من الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف
او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها
باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك
من بيتك بالحق خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة
الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك
يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي
اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم
ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبر
المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل
مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبيل ذلك
بثلث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء واخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة
الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبئوا حتى تتنبأ نساؤهم
فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار
اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتاهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم فقال ان العير مضت
على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى
عدن ابين ما تخلفت عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث
ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن
اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس
وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم براء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف
ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمهم بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة
فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف
منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله تعالى يريك منا ما تقر به
عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وابشروا فان الله تعالى قد وعدني
احدى الطائفتين والله لكاني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير
فناداه العباس رضي الله تعالى عنه وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد لاظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد
ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول صلى الله عليه وسلم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اي
يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تاهبهم
اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم
الله احدى الطائفتين على اضمار اذكروا واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير
لكثرة عددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته
ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد او قوى بكلماته ويقطع دابر الكافرين ويستاصلهم
والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين
ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني
لبيان الداعي الى حمل الرسول صلى الله عليه وسلم على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكروا واستغاثتهم انهم لما علموا

۳۱۰

ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله
تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو
اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال
ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني
ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة
من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين
بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب بفتح الدال اي متبعين
او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى
مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف
ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة
او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد
الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند
الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها
ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في
من عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القرائتين
هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله تعالى وهو مفعول له باعتبار المعنى
فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على
القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله
تعالى لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي
لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني
الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه
الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون
وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله تعالى وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله
تعالى المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد
الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم بالوثوق
على لطف الله تعالى بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت
في المعركة اذ يوحي ربك الى الملائكة بدل ثالث او متعلق بيثبت اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ

بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله
سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل
فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه
قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان الاصابع
اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من
المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاديين في
شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة
على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم
ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل
مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ
وان بالكسر على الاستيناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون
وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم
الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الاية ويجوز ان
ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول جميعا اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل
وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا
لقتال يريد الكر بان يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو من مكائد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب
ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا
ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل
والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على
الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب
فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت
قريش من العقنقل قال صلى الله عليه وسلم هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسالك
ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا
من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون
يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب الشرط المحذوف

قوله من الحصباء الذي عليه المحدثون ان الرمي كان يوم حنين واما المفسرون فقد ذكروا الرمي في الموضعين ١٢ كشف

تقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله تعالى قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر
عليه اذ رميت اى اتيت بصورة الرمى ولكن الله رمى اى اتى بما هو غاية الرمى فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى
انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل
ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله تعالى رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها ابى بن
خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب كنانة بن ابى الحقيق
على فراشه والجمهور على الاول وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى لكن بالتخفيف ورفع ما بعده فى الموضعين وليبلى
المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الايات ان الله سميع لاستغاثتهم
ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمى ومحله الرفع اى المقصود ذلكم او الامر ذلكم
وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو موهّن بالتشديد وحفص موهن كيد الكافرين بالاضافة والتخفيف ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير
لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا الى محاربته نعد لنصره ولن تغنى ولن تدفع عنكم فئتكم
جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرا نافع وابن عامر
وحفص وان بالفتح على معنى ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الاية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا
فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستاثره الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم وان تعودوا
اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله تعالى معكم بالنصر فانه مع الكاملين
فى ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اى ولا تتولوا عن الرسول صلى الله
عليه وسلم فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله تعالى للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله
تعالى فى طاعة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذى
دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة
والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم
لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم
ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم
وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم احى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم
كلام قصى يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحّد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة

الله تعالى تسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم روي انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما

منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا

لان اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي ان

يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال شعر

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن * او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من

الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول

بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات

القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله تعالى بينه وبين

قلبه بالموت وغيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين

الكفر ان اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها

على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة

لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة

وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان

جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم

واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله شعر

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط * واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن

وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم

خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم

منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة

يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون ان يتخطفكم

الناس كفار قريش ومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى

تتحصنون به على اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات

من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان

تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول في المغانم وروي انه عليه الصلوة والسلام حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا

الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على

حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم

فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت

انی قد خنت الله تعالی ورسوله صلعم فنزلت فشد نفسه علی سارية فی المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا

حتی اموت او یتوب الله تعالی علی فمکث سبعة ایام حتی خر مغشیا علیه ثم تاب الله تعالی علیه فقیل له قد تیب علیک

فحل نفسک فقال لا والله لا احلها حتی یکون رسول الله صلی الله علیه وسلم هو الذی یحلنی فجاءه فحله بیده فقال

من تمام توبتی ان اهجر دار قومی التی اصبت فیها الذنب وان انخلع من مالی فقال صلی الله تعالی علیه وسلم یجزئک الثلث

ان تتصدق به واصل الخون النقص کما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فی ضد الامانة لتضمنه ایاه وتخونوا

اماناتکم فیما بینکم وهو مجزوم بالعطف علی الاول او منصوب علی الجواب بالواو وانتم تعلمون انکم تخونون او وانتم

علماء تمیزون الحسن من القبیح واعلموا انما اموالکم واولادکم فتنة لانهم سبب الوقوع فی الاثم والعقاب او محنة

من الله تعالی لیبلوکم فیه فلا یحملنکم حبهم علی الخیانة کابی لبابة وان الله عنده اجر عظیم لمن اثر رضی الله

علیهم وراعی حدوده فیهم فانیطوا هممکم بما یؤدیکم الیه یا ایها الذین امنوا ان تتقوا الله یجعل لکم فرقانا

هدایة فی قلوبکم تفرقون بها بین الحق والباطل او نصرا یفرق بین المحق والمبطل باعزاز المومنین واذلال الکافرین او مخرجا

من الشبهات او نجاة عما تحذرون فی الدارین او ظهورا یشهر امرکم ویبث صیتکم من قولهم بت افعل کذا حتی سطع الفرقان

ای الصبح ویکفر عنکم سیئاتکم ویسترها ویغفر لکم ذنوبکم بالتجاوز والعفو عنها وقیل السیئات الصغائر والذنوب

٣١٥ الکبائر وقیل المراد ما تقدم وما تاخر لانها فی اهل بدر وقد غفرهما الله تعالی لهم والله ذو الفضل العظیم تنبیه علی ان ما وعد

لهم علی التقوی تفضل منه واحسان وانه لیس مما یوجب تقواهم علیه تعالی کالسید اذا وعد عبده انعاما علی عمل واذ یمکر بک

الذین کفروا تذکار لما مکر قریش به صلی الله علیه وسلم حین کان بمکة لیشکر نعمة الله تعالی فی خلاصه من مکرهم واستیلائه

علیهم والمعنی واذکر اذ یمکرون بک لیثبتوک بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتی اثبته

لا حراک به ولا براح وقرئ لیثبتوک بالتشدید ولیبیتوک من البیات ولیقیدوک او یقتلوک بسیوفهم او یخرجوک

من مکة وذلک انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومتابعتهم فرقوا واجتمعوا فی دار الندوة متشاورین فی امره صلی الله علیه وسلم فدخل

علیهم ابلیس فی صورة شیخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعکم فاردت ان احضرکم ولن تعدموا منی رایا ونصحا فقال ابو البختری

رایی ان تحبسوه فی بیت وتسدوا منافذه غیر کوة تلقون الیه طعامه وشرابه منها حتی یموت فقال الشیخ

بئس الرای یاتیکم من یقاتلکم من قومه ویخلصه من ایدیکم فقال هشام بن عمرو رایی ان تحملوه علی جمل فتخرجوه من

ارضکم فلا یضرکم ما صنع فقال بئس الرای یفسد قوما غیرکم ویقاتلکم بهم فقال ابو جهل انا اری ان تاخذوا من کل

بطن غلاما وتعطوه سیفا فیضربوه ضربة واحدة فیتفرق دمه فی القبائل فلا یقوی بنو هاشم علی حرب قریش کلهم

فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتی فتفرقوا علی رایه فاتی جبریل النبی صلی الله علیه وسلم واخبره

وامره بالهجرة فبیت علیا کرم الله تعالی وجهه علی مضجعه وخرج مع ابی بکر رضی الله تعالی عنه الی الغار ویمکرون ویمکر الله

برد مکرهم علیهم او بمجازاتهم علیه او بمعاملة الماکرین معهم بان اخرجهم الی بدر وقلل المسلمین فی اعینهم حتی حملوا

علیهم فقتلوا والله خیر الماکرین اذ لا یؤبه بمکرهم دون مکره واسناد امثال هذا انما یحسن للمزاوجة ولا یجوز اطلاقها

٣١٦

ابتداء كما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهو قول النضر بن الحارث
واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره صلى الله عليه وسلم
وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين
ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير
الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من
السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا
عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد به التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ
الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي
يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم
والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن
عادته غير مستقيم في قضائه والمراد بالاستغفار اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على
معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله
وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن
صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين
ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء
ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم
وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصد او من الصدد على ابدال
احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء
مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم
ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل
عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا و
عملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا

اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من
استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا
المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني
لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها
تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا
اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من
المؤمن والفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي
ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض
حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم كله اولئك
اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا
انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول صلى الله
عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم
ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنت الاولين الذين تحزبوا على الانبياء عليهم
السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون
الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم
عنه واسلامهم وعن يعقوب بالتاء على معنى فان الله تعالى بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من
ظلمة الكفر الى نور الاسلام والايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة
يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم
نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره **واعلموا انما غنمتم**
اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره
محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما في قوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم
الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل

الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سهمه وسهم ذوي القربى سقط بوفاته صلى الله
عليه وسلم وصار الكل مصروفا الى الثلثة الباقية وعن مالك رحمه الله تعالى الامر فيه مفوض الى رأي الامام
يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله تعالى الى الكعبة لما روي
انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله تعالى لبيت المال وقيل هو
مضموم الى سهم الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وذوو القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه صلى الله تعالى عليه وسلم قسم سهم
ذوي القربى عليهما فقال له صلى الله تعالى عليه وسلم عثمان وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم
لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله تعالى منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن
وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل
الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة ان
كنتم آمنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله تعالى فاعلموا انه تعالى جعل الخمس لهؤلاء فسلموه
اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض
والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا
بالضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون
والكفار والله على كل شيء قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا
بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة
ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب
الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا
والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف
واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على
المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث
امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى
فيها الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم
انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا
ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه

وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت
عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة
او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن
هلك ومن حي المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله تعالى وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير برواية
البزي ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من
امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر
او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك
فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت
اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها
وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم
في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم
وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في
اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة
فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا
الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط
ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز
الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها
لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن
الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه
على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله تعالى وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بشراشره فارغ
البال واثقا بان لطفه تعالى لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف
الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة
فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع
الصابرين بالكلاءة والنصرة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا
فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي
سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا

٣١٩

القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين
أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بأن يكونوا أهل تقوى وإخلاص من حيث إن النهي عن الشيء أمر بضده ويصدون
عن سبيل الله معطوف على بطراً إن جعل مصدراً في موضع الحال وكذا إن جعل مفعولاً له لكن على تأويل المصدر
والله بما يعملون محيط فيجازيهم عليه وإذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر أعمالهم في معاداة الرسول صلى الله تعالى
عليه وسلم وغيرها بأن وسوس إليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى
في روعهم وخيل إليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون
أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته وإلا
لانتصب كقولك لا ضارباً زيداً عندنا فلما تراءت الفئتان أي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى
أي بطل كيده وعاد ما خيل إليهم أنه مجير لهم سبب هلاكهم وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله أي تبرأ منهم
وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله تعالى المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير
ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الإحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك الكناني
وقال لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام
فقال له إلى أين أتخذلنا في هذه الحالة فقال إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما
بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا
أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله إني أخاف الله إني أخافه أن يصيبني بمكروه من الملائكة أو يهلكني
ويكون الوقت هو الوقت الموعود إذ رأى فيه ما لم ير قبله والأول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله
شديد العقاب يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفاً إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا
إلى الإيمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء
يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ومن يتوكل على
الله جواب لهم فإن الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وإن قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل
ويعجز عن إدراكه ولو ترى ولو رأيت فإن لو تجعل المضارع ماضياً عكس إن إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر وإذ ظرف
ترى والمفعول محذوف أي ولو ترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز
أن يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني
فيه بالضمير عن الواو وهو على الأول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين وأدبارهم ظهورهم أو أستاههم
ولعل المراد تعميم الضرب أي يضربون ما أقبل منهم وما أدبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون
بإضمار القول أي يقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها
التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الأمر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت أيديكم بسبب

ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وأن الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على أن سببيته مقيدة
بانضمامه إليه إذ لولاه لأمكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لا أن لا يعذبهم بذنوبهم فإن ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لأجل العبيد كدأب آل فرعون
أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه أي داوموا عليه والذين
من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فأخذهم الله بذنوبهم كما أخذ هؤلاء إن
الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك إشارة إلى ما حل بهم بأن الله بسبب أن الله لم يك
مغيرا نعمة أنعمها على قوم مبدلا إياها بالنقمة حتى يغيروا ما بأنفسهم يبدلوا ما بهم من الحال إلى حال
أسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم
والسعي في إراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها إلى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب
عدم تغيير الله تعالى ما أنعم عليهم حتى يغيروا بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا
حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا
وأن الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان
ما أخذ به آل فرعون وقيل الأول لتشبيه الكفر والأخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم
ما بأنفسهم وكل من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي إن شر الدواب
عند الله الذين كفروا أصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم إيمان ولعله إخبار عن قوم
مطبوعين على الكفر بأنهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق
المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان
والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح
وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم ومن
لتضمين المعاهدة معنى الأخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته أو لا
يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فإما تثقفنهم فإما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب
فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد
تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فإنه إذا شرد من
وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون وإما تخافن من قوم معاهدين خيانة
نقض عهد بأمارات تلوح لك فانبذ إليهم فاطرح إليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة
ولا تناجزهم الحرب فإنه يكون خيانة منك أو على سواء في الخوف أو العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من

٣٢١

النابذ على الوجه الاول او الغى ثابتا على طريق سوى او مستو ومن نبذوا اليهم او منها على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين
تعليل للامر بالنبذ والنهى عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبى وقوله
الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او
الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا
حال بمعنى سابقين اى مفلتين والاظهر انه تعليل للنهى اى لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون
الله تعالى او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف
ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا
ايها المؤمنون لهم لناقضى العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة
بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ولعله صلى الله تعالى عليه وسلم
خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سمى
به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها
جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب
بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما
تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه
وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل
على نقيضها فيه قال * السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع * وقرئ فاجنح بالضم وتوكل
على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله تعالى يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم
بنياتهم والآية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير * انى وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب
وتشبعوا هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة
فى ادنى شىء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى
عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق
فى اصلاح ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة
فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى
ان يفعل ما يريده وقيل الآية فى الاوس والخزرج وكان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم

٣٢٢

الله تعالى ذلك فألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبي حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين
اما في محل النصب على المفعول معه كقوله * فحسبك والضحاك سيف مهند * او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين
او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي
ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله
عنهما نزلت في اسلامه يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان
ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا
بعون الله تعالى وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الآيتين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم
مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله تعالى واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي الدرجات
قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله تعالى الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب الله تعالى على الواحد مقاومة
العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم
لما كثروا خفف الله تعالى عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير
واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة
عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ
للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد
للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل
الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ يريد الآخرة بالجر على اضمار المضاف كقوله * اكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل
نارا * والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصصه بها كما امر بالاثخان
ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي
انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك
واهلك استبقهم لعل الله تعالى يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله تعالى اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما
فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال ان الله تعالى ليلين قلوب رجال حتى تكون الين
من اللبن وان الله تعالى ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال
فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين

٣٢٣

ذنباك الخير اصحابه فاخذ والفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو
وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون
خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله تعالى سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب
المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها
ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفدية عذاب عظيم روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لو نزل
العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها
من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه
تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته
ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله
في مخالفته ان الله غفور رحيم غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى و
قرا ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء
روي انها نزلت في العباس رضي الله تعالى عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت
خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم
فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس رضي الله تعالى عنه فابدلني الله تعالى خيرا من ذلك لي الان
عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما
عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر
فان عادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا
لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال
والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث
وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
او بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليهم في الميراث
وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض

عهد ثم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو الموازرة وهو
بمفهومه يدل على منع التوارث أو الموازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه إلا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل
بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الأرض تحصل فتنة
فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في
سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين في الإيمان
منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال
لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من يلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين
آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولوا الأرحام
بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في حكمه أو في اللوح أو القرآن واستدل به على توريث ذوي
الأرحام إن الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار
القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء
من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا

سورة براءة مدنية

وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة
والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة
من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الأنفال وتناسبها لأن
في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل لما اختلفت الصحابة رضي الله تعالى عنهم في أنهما
سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله أي
هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن تكون براءة مبتدأ
لتخصصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى أن الله
ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة
بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله تعالى واتفاق الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم فإنهما برئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا أناسا منهم بني ضمرة وبني
كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا فقال فسيحوا في الأرض أربعة
أشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم

وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله تعالى عنه
اميرا على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا
علي رضي الله تعالى عنه سمع ابو بكر رضي الله تعالى عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام
علي رضي الله تعالى عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم
فانه صلى الله تعالى عليه وسلم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة
العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالاسر والقتل
في الدنيا والعذاب في الآخرة وأذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء
ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما
روي انه صلى الله تعالى عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة
لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى بالحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من
اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه
ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله تعالى بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف
على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على
اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله ورسوله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب
الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوبة خير لكم و
ان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه
هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او
استدراك وكأنه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط
العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم
الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا
فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم

٣٢٩

اذ ليس فيما نزل بعدها ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم
والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في
البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم
فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم
تعليل للامر اي فخلوهم لان الله تعالى غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المامور
بالتعرض لهم استجارك استامنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة
الامر ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل
ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون
ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون
لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم
للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين
حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله
النصب على الاستثناء او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام
فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا
اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه
كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني
انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي فكيف مات وان يظهروا عليكم اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم
لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان رضي الله تعالى عنه لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية
وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل
وجبرائيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية
الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات
ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم
يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم
وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بآيات الله استبدلوا
بالقرآن ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه

او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا
او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا
عن الكفر واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم
يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين او لخصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان
نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اي
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل
وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن
عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم
اي لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية
على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم
وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان
يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا
اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض
على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول و
المؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة
على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة
وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه صلى الله تعالى عليه وسلم بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي
به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون
قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين
فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين
يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله تعالى بما وعدهم
والآية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة
قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين

٣٣٦

حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفي العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة
فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة
من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع
منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم
الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع
لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين
على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله تعالى وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي
الله تعالى عنه في القول فقال ما لكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة
ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله
انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلوة واتى الزكوة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين
للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها
مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى
لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان
بالله تعالى قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلوة واتى الزكوة عليه ولم يخش الا الله اي في ابواب
الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من
المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا
للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم
اهل سقاية الحاج كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة المسجد
والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون
عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله تعالى ووفقهم للحق والصواب
وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات او من اهل السقاية والعمارة

٣٢٩

عند كبرهم وأولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها
في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به إشعار بأنه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها أبدا إن الله
أكد الخلود بالتأبيد لأنه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله أو نعم الدنيا يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت في المهاجرين فإنهم لما أمروا بالهجرة قالوا إن هاجرنا قطعنا آباءنا
وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة
والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الإيمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان إن اختاروه
وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشيرة فإن العشيرة جماعة ترجع إلى عقد كعقد العشرة و
قرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها و
مساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فإنه لا يدخل تحت التكليف
التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بأمره جواب ووعيد والأمر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر في أيام مواطن أو يفسر
الموطن بالوقت كمقتل الحسين رضي الله تعالى عنه ولا يمنع إبدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم منه أن يعطف على موا
في مواطن فإنه لا يقتضي تشاركهما فيما أضيف إليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم وإعجابها إياهم في جميع المواطن وحنين واد بين
مكة والطائف حاربت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر ألفا العشرة الذين حضروا فتح مكة وألفان
انضموا إليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر أو غيره
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة إعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين إعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجامه
وابن عمه أبو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس رضي الله تعالى عنه وكان صيتا
صح بالناس فنادى يا عباد الله يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت
الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله تعالى عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم أي الكثرة شيئا من الإغناء أو من أمر العدو وضاقت عليكم الأرض بما رحبت
برحبها أي بسعتها لا تجدون فيها مفرا تطمئن إليه نفوسكم من شدة الرعب أو لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم
الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والإدبار الذهاب إلى خلف خلاف الإقبال ثم أنزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها
وأمنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وإعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يفروا وأنزل جنودا لم تروها بأعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية

٣٣١

او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي فعل
بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم
ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم
وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى
فقال صلى الله تعالى عليه وسلم اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي
وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه
فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها
الذين امنوا انما المشركون نجس نجبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون و
لا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان الماء الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء
تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي
عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد
الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا بعد سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة
حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق فسوف
يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل
تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة
على انها مصدر كالعافية او حال ان شاء قيده بالمشية لينقطع الامال الى الله تعالى ولينبه على انه متفضل في
ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم في ما يعطي
ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر لا يؤمنون بهما على ما ينبغي كما بيناه في اول البقرة فايمانهم
كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى
انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا
قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي
غيرهم ولذا منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين
اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اي
اذلاء وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يؤخذ الجزية من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم الاية يقتضي

تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه
صلى الله تعالى عليه وسلم اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا
بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركي
العرب لما روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى الاخذ من كل
كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى على الغني ثمانية و
اربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن
الله انما قاله بعض من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ
التوراة وهو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله تعالى
والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين
على انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف
لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما
قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها
ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل
للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهؤن قول الذين كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين
كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون
الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به
عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك
فان من قاتله الله تعالى هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله تعالى وتحليل ما حرم الله تعالى او بالسجود لهم والمسيح
ابن مريم بان جعلوه ابنا لله تعالى وما امروا اي وما امر المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا
ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسل وسائر من امر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة طاعة الله تعالى لا اله
الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون
ان يطفئوا نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله تعالى
عليه بافواههم بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل
لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله تعالى
ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب

للدلالة ما قبله عليه هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله إلا أن
يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على أنهم ضموا
الكفر بالرسول إلى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول واللام في الدين للجنس أي على سائر الأديان
فينسخها أو على أهلها فيخذلهم يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل
يأخذونها بالرشى في الأحكام سمي أخذ المال أكلا لأنه الغرض الأعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز أن يراد به الكثير من الأحبار والرهبان فيكون
مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وأن يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه
ويكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه
لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال إن الله تعالى لم يفرض الزكاة إلا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله صلى الله
عليه وسلم ما أدي زكاته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله تعالى أن
ينفق فيه وأما قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها
لقوله عليه السلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا
كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب أليم هو الكي بهما يوم يحمى
عليها في نار جهنم أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى النار فجعل الإحماء للنار مبالغة
ثم حذف النار وأسند الفعل إلى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث إلى صيغة
التذكير وإنما قال عليها والمذكور شيئان لأن المراد بهما دراهم ودنانير كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه
أربعة آلاف فما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للأموال فإن
الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لأنهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها
على أن الذهب أولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لأن جمعهم وإمساكهم
كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه
وولوه ظهورهم أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة فإنها المشتملة على الأعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب
والكبد أو لأنها أصول الجهات الأربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنبتاه هذا ما كنزتم على إرادة القول
لأنفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه
وقرئ تكنزون بضم النون إن عدة الشهور أي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لأنها مصدر اثنا عشر
شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والأرض
متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب إن جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الأمر منذ خلق
الله تعالى الأجرام والأزمنة منها أربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم

ذلك الدين القيم اى تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما
فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واوّلوا الظلم بارتكاب
المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم والاشهر الحرم
الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روى انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة وقاتلوا
المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهو مصدر كف عن الشى فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسىء اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا
اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن
نافع انما النسى بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسء بحذفها والنَّسء والنَّساء وثلثتها مصادر نسأه
اذا اخره زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله الله تعالى وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين
كفروا اضلالا زائدا وقرا حمزة والكسائى وحفص يُضَل على البناء للمفعول وعن يعقوب يُضِل على ان الفعل لله تعالى يحلونه
عاما يحلون النسىء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث
ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى
فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله
اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة
العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم و
اضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل
لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض
متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى
عسرتهم وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها فى الآخرة فى جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم
اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين
كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا فانه الغنى عن كل شىء وفى
كل امر وقيل الضمير للرسول اى ولا تضروه فان الله تعالى وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شىء قدير
فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه فسينصره
الله تعالى كما نصره الله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم
ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله تعالى له النصرة حين نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله
فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله تعالى له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون

على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض
اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ
يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر رضي الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين
طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله
ثالثهما فاعماهم الله تعالى عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا
في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه
وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم
بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة
الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم
عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث
حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في
نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره
انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا
من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل
ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير
لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه
لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك
ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير
في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه
يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من
فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطئه في الاذن
فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود
حين استأذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم
الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين
فعاتبه الله تعالى عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من
عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا

ان يستأذنوا في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم
بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله
واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لأعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عُدّه
بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعِدّه بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره
الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كأنه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم
اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة
الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين
يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا
وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء
ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولأوضعوا خلالكم ولأسرعوا
بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع
الخلاف بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعوهم
او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت
امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن أبي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي
جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكائد والحيل ودوروا الآراء في
ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله وعلا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية
الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم
وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب
عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي
وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم
بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات
الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف
او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن لاحاطة
اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك
في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تحرزنا بالقعود واستعددنا
في التخلف ويتولوا عن متحدثهم ومجتمعهم الى اهلهم او عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وهم فرحون مسرورون

٣٣٦

قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في
اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من فعّل لانه
من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب
هو مولانا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره
قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب
النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوأيين ان يصيبكم الله بعذاب من
عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا
انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم
نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان
يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس اعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل امرين
ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف
وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم
قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ
يقبل نفقاتهم على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم
كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان
ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع
عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم
لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم
ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجأون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا
نفقا يندسون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مُدخلا اي مكانا يدخلون فيه
انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولّوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك
بالضم وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم
ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم
حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل

فمن تعجيل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول
من الغنيمة او الصدقة وذكر الله تع للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله
كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله راغبون
في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف
الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اي الزكوات لهؤلاء المعدودين
دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع
موقعا من حاجته من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز
اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة
ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها
والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم
اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله عليه السلام عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه عم كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس
الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال الكفار ومانعي الزكوات وقيل
كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب
بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او
يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان
بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح ذات البين
وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم
او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي
سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر
والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم
الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر وحذيفة
وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاثة
واختاره بعض اصحابنا وبه كان يفتي شيخي ووالدي ره على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج
منهم لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه

سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عيناً لذلك أو اشتق
له فعل من أذن أذناً إذا استمع كأنف وشلل روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه
فيصدقنا بما نقول قل أذن خير لكم تصديق لهم بأنه أذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث
انه يسمع الخير ثم يقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الأدلة ويؤمن
للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين إيمان التصديق فإنه بمعنى التسليم
وإيمان الأمان ورحمة أي وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن أظهر الإيمان حيث يقبله ولا يكشف سره
وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وترحماً عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفاً
على خير وقرئت بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أي يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف
فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم بإيذائه
يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا ليرضوكم أي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين
والله ورسوله أحق أن يرضوه أحق بالإرضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين
أو لأن الكلام في إيذاء الرسول وإرضائه أو لأن التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك إن كانوا مؤمنين
صدقاً ألم يعلموا أنه أن الشأن وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فأن
له نار جهنم خالداً فيها على حذف الخبر أي فحق أن له أو على تكرير أن للتأكيد ويحتمل أن يكون معطوفاً على
ويكون الجواب محذوفاً تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فإن بالكسر ذلك الخزي العظيم
يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم
أستارهم ويجوز أن يكون الضمائر للمنافقين فإن النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث إنه مقروء ومحتج
به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضاً في كفرهم وأنهم لم يكونوا على بت في أمر الرسول بشيء وقيل إنه خبر
في معنى الأمر وقيل إنهم كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزئوا إن الله مخرج مبرز أو مظهر
ما تحذرون أي ما تحذرونه من إنزال السورة فيكم أو ما تحذرون إظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا
نخوض ونلعب روي أن ركب المنافقين مروا على رسول الله عم في غزوة تبوك فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد
أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا
في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون توبيخاً على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به وإلزاماً للحجة
عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فإنها معلومة الكذب قد كفرتم قد
أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه بعد إيمانكم بعد إظهاركم الإيمان إن نعف عن طائفة منكم
لتوبتهم وإخلاصهم أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق

او بمقابلين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعذب بالتاء
والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابهة
فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير
لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون
بالمنكر بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد عبارة
عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون
الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته
واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم
اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم
وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه
ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا
لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذى خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها
ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم
قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض و
اهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات
قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصارت عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات
المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله
ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث
عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على
كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور
من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر فى جنات عدن اقامة وخلود وعنه عدن دار الله التى

لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تع طوبى
لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير
وصفه فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم
ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شيء منها اماكن الدنيا
وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها
فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة
وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عم ان الله تع يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى
وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واى شيء افضل من ذلك فقال
احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اى الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذى تستحقر
دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم
فى ذلك ولا تحابهم ومأويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عم اقام فى غزوة
تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن
شر من الحمير فبلغ رسول الله فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا
كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار اسلامهم وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول
هو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادى اذا تسنم العقبة
بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة
بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او باخراجه واخراج المؤمنين
من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابى وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا او وما وجدوا ما يورث
نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما
قدمهم رسول الله عم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى
والاستثناء مفرغ عن اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذى حمل الجلاس على التوبة والضمير
فى يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما فى الدنيا والآخرة بالقتل والنار
وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ولنكونن من الصالحين نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النبى عم وقال ادع الله ان يرزقنى مالا فقال عم
يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا
لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله عم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله

المصدقين لاجل الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرأاه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عم ان الله تعالى منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله عم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله تعالى بالموت او يلقون عملهم اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجواهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذمهم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله عم بارك الله تعالى لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله عم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سأل رسول الله عم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عم لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد

به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال
السبعة على جملة اقسام العدد وكانه العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من
المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها
والله لا يهدي القوم الفسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع
عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول
عم في استغفاره وهو عدم يأسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم
لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف
الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين اثروا عليها
تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي
ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار
عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان
يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة
منهم فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من
بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي
ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له
وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين
اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات
ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي
يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم
نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم
ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلوة الدعاء للميت والاستغفار
له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
دون التمتع فكانه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله

ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى
الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان يكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من
القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله بان امنوا ويجوز ان يكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك
اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان
يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات
منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيّرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون
من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل
هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من
عذّر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الدال ونقل
حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون
من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعّذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذّر بمعنى اعتذر وهو
لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد
الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا
هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعتذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان
والطاعة في السر والعلانية كما يفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين
بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع
الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء
فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون
سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله
بن مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل و

سويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا
جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من
يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل
دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل
بالمعاتبة على الذين يستأذنونك وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان
ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع
الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته **يعتذرون اليكم**
في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم
لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر
والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم
وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون
بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع
فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة
الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينجع
فيهم التوبيخ في الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم
جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم
فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي
فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله او بصدد عقابه وان امكنهم
ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من
الآية النهي عن الرضاء عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب
اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم
للكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها و
سننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا
وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ
لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان وتوبه
لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه

٣٤٥

او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى
بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو
السوء هنا وفى الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب
من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ
وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عم كان يدعو للمتصدقين
ويستغفر ولذلك سن للمتصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه
كما قال النبى عم اللهم صل على ال ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة
من الله تع بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة و
الضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم
والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى فى اسد وغطفان وبنى تميم و
الثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا او
القبلتين او الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا
سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ
بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا
من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو فى سائر
المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اى ممن حول بلدكم يعنى المدينة من
الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة
عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة
مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا * متى اضع العمامة تعرفونى * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها
وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم
وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد خفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم
مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون
الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير
الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم ما نزل فى المتخلفين
فقدم رسول الله عم فدخل المسجد فصلى ركعتين فرأهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا

ان لا يحلوا انفسهم حتى يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيء هو التخلف
وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان
كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا
بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما
اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم
شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهر بمعنى طهر
وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها
قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم
بندامتهم ألم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه
معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم
وان من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى
عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم
الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من المتخلفين مرجون
مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان
لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل
على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله عم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم
فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف
على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب
على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن
عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله عم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه
اتوا رسول الله عم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل
فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر

ابن الشكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه
كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في
مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله عم لا اجد
قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام لياتي
من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما
انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم
لا تقم فيه ابدا للصلوة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله وصلى فيه
ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله لقول ابي سعيد سألت رسول الله
الله عم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن لعموم الزمان والمكان
لقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال
يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله
يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله عم ومعه المهاجرون
حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه
انهم مؤمنون وانا معهم فقال عم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال
اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان
الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى
من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس
بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره
وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا
لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان
تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة
ادناها وتاسيس هذا على ما هم عليه لسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم
الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واسس

٣٤٩

انه على الاضافة واسس واساس واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين
صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس
قد يدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم
لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول عم رسخ ذلك في قلوبهم
وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك
والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر
او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة
ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول عم او كل مخاطب
ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من
المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشراء وقيل يقاتلون في معنى الامر
وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد
يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل
والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال
وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اي هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون و
ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده
اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة
للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء
السائحون الصائمون لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات
او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت والسائحون للجهاد او لطلب
العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون
بين الوصفين وفي قوله والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على
ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث
ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك يسمى واو الثمانية وبشر

المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم
دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه
السلام قال لابي طالب لما حضرته الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك
ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي فاستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب
توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان
فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو
لله بان مات على الكفر او اوحي بانه لن يؤمن تبرا منه قطع استغفاره ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه
وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له
مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم
بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول
عم في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة
والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله
له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن
الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك
كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه
ويتبرؤا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والانصار من اذنه للمنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرين
والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه
توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في
ساعة العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد
والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم
عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في

منهم وق حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق
منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من
العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب على الثلثة كعب
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون
حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة
الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا
ان لا ملجأ من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول
توبتهم ليعدوا في جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله
هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليهم بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما
لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين
اى في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهى عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصرفوا
انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه
وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته
واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله عم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا
خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان
من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من العطش ولا نصب تعب
ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا
ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب
وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد
احسان اما في حق الكفار فلانه سعى في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما في حق المؤمنين فلانه
صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق
عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال
فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن
اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة

فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من
الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض
الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي
ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار
ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت الكلام فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للاية معنى
اخر وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل
فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة
هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا لبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة
للغزو وفي يحذرون للطوائف ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم
من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر
رسول الله عم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة
كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم
غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين
بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه
السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا
بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها
لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم
كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني
المنافقين وقرأ حمزة ويعقوب بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله عم
فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم
ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها
وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول
فان لم يرهم احد قاموا وان يرهم احد اقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او لعدم تدبرهم لقد جاءكم
رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه ما عنتم

شاق عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك
فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش
العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي ان آخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي ﷺ
ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن
من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس
عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا
بدل من عجب واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب
وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن
يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان
اكثر الانبياء قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان
انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد
ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق
عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها
الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به
الرسول لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا
من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما
اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة
ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات
الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه
احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحده بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق
للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر

مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقاً مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم
يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل
في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم
شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب
كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو
الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة
فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود
من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ
بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي
ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير برواية قنبل
ضئاء بهمزتين في كل القرآن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا للمبالغة وهو اعم
من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد
منازل او قدره ذا منازل وللقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به
ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة يفصل الآيات لقوم يعلمون
فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما
خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لآيات على وجود الصانع تعالى ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون
العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات
عما وراءها ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها
وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن آياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما
يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا
والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الآخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث
ولم ير الا الحياة الدنيا وبالآخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الآجل والاعداد له اولئك مأواهم النار
بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم
بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم
ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل

منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري من تحتهم
الانهار استئنافا او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله في جنات النعيم خبر او حال آخر منه
او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا و
تحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام وآخر دعواهم وآخر دعائهم ان الحمد لله رب
العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت
الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام
وان هي المخففة من المثقلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
وبان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين
استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ
ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا
واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد
تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن
موقف الدعاء ولا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه
حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات
والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال الجوارح و
القوى لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد وعطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه تعالى بانهم يموتون على كفرهم واللام
لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة
في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه
ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من
يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى
الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي
ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين
ائت بقرآن غير هذا بكتاب آخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه
من معائب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كيما يسعفهم اليه

قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزامه امتناع الاتيان بقرآن آخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادرأتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بزت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون اي افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له تعالى شريكا او هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي موضعين في اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اي من الآيات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله

٣٥٧

قل نزل الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله
بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم
كقحط ومرض اذا لهم مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم
رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل
على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج
او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة
فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه في البر و
البحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة فانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم
وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديد الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا
وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال
المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في الارض
فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق
زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم
وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او
خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون
متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة
الدنيا محذورا وضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم
تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار
الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما ياكل الناس
والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها
المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت
على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون
عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها اي لم يلبث فالمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة
وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال

أو من يتنبه منهم أو يميز وينظر ولا يرضى بالتقليد الصرف إن الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئاً من
الإغناء ويجوز أن يكون مفعولاً به ومن الحق حالاً منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم في الأصول واجب والاكتفاء
بالتقليد والظن غير جائز إن الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن وإعراضهم عن البرهان وما كان هذا
القرآن أن يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب
الإلهية المشهود على صدقها ولا يكون كذباً كيف وهو لكونه معجزاً دونها عياراً عليها شاهداً على صحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدراً
أو علة لفعل محذوف تقديره لكن أنزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب
وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفياً عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك
ويجوز أن يكون حالاً من الكتاب فإنه مفعول في المعنى وأن يكون استئنافاً من رب العالمين خبر آخر تقديره كائناً من
رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل بهما ويجوز أن يكون حالاً من الكتاب
أو الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه أم يقولون بل أيقولون افتراه
محمد ومعنى الهمزة فيه الإنكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فإنكم مثلي
في العربية والفصاحة وأشد تمرناً في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا
به من دون الله سوى الله تعالى فإنه وحده قادر على ذلك إن كنتم صادقين أنه اختلقه بل كذبوا بل
سارعوا إلى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته ويحيطوا بالعلم بشأنه أو
بما جهلوه ولم يحيطوا به علماً من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد
على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب حتى يتبين لهم
صدقه أم كذبه والمعنى أن القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم إنهم فاجؤوا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى
التوقع في لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة إعجازه لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها أو لما
شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقاً لإخباره مراراً فلم يقلعوا عن التكذيب تمرداً وعناداً كذلك كذب الذين من قبلهم
أنبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من
يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط
غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو بالمصرين وإن كذبوك وإن
أصروا على تكذيبك بعد إلزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم
حقاً كان أو باطلاً أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من إيهام الإعراض
عنهم وتخلية سبيلهم قيل إنه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون
كالأصم الذي لا يسمع أصلاً أفأنت تسمع الصم تقدر على إسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم إلى
صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا يوصف به البهائم وهو لا يتأتى

الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهي حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة

على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ
فيه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارأيتم او بقوله أثم اذا ما وقع امنتم
به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام
على ثم لانكار التأخير آلآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب آلآن امنتم به وعن نافع آلان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا
عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك أحق هو
احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان
الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ آلحق هو فان فيه تعريضا بانه
باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي
وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك توصل
بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى
فداه واسروا الندامة لما رأوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل
اظهروها من قولهم اسر الشيء واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء
ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما تناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب
كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا
فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما
ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وهدى ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة
في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين
ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد
من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك
التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم
وذلك اشارة الى مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فيهما فليفرحوا او للربط

بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله واذا هلكت
فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون
من حطام الدنيا فانها الى الزوال وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما
تجمعونه ايها المخاطبون قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل
باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك
وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل آلله أذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه أم على الله تفترون في نسبة ذلك
اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اي شيء ظنهم يوم القيمة أيحسبون ان لا يجازوا
عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على
الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون
في شأن ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة
القرآن معظم شأن الرسول او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من
تبعيضية او مزيدة لتأكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل
تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل
والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا
يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان
فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على
احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها
وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل
الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ ألا ان اولياء الله الذين
يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله
الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم له لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو
ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى
الملائكة عند النزع وفي الآخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين
النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا
اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض

لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة لله جميعا استيناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح
كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو
السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافئهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء
الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا فهو
كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء
ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا انما
يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء
والمعنى واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره
فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف
عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء
تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم
على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب
ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه
لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في
السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم
وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان
اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد
واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم
متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر وحيوتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم
الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم
نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان
او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به
فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من
غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف
تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على

فصلي والسعي في اهلاكي على اي وجه يمكنكم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة
مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي
وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الى ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي
من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم
لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني
آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فداموا
على تكذيبه وتموا عليه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا
بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا
من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاءوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اي بسبب تعودهم
تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف
وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد عرفت تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم
من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعهما وكانوا قوما مجرمين
معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات
الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي المقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون اسحر هذا
لا هو المقول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي لقالوا مفهوم قولهم ويجوز ان يكون
معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح
الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم
بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح
الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون
لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين
بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون
وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده وتقديره اي

شيء {ان الله سيبطله} سيمحقه او سيظهر بطلانه {ان الله لا يصلح عمل المفسدين} لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على
ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له {ويحق الله الحق} ويثبته {بكلماته} باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته {ولو كره المجرمون} ذلك
{فما آمن لموسى} في مبدا امره {الا ذرية من قومه} الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة
من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا به او مومن ال فرعون وامراته اسية وخازنه وزوجته
وماشطته {على خوف من فرعون وملئهم} اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء
او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم {ان يفتنهم} ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه
او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه {وان فرعون لعال في الارض} لغالب فيها
{وانه لمن المسرفين} في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء {وقال موسى} لما رأى تخوف المؤمنين به
{يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا} فثقوا به واعتمدوا عليه {ان كنتم مسلمين} مستسلمين لقضاء الله مخلصين
له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله
فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت {فقالوا على الله توكلنا} لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم {ربنا لا تجعلنا فتنة} موضع فتنة {للقوم الظالمين} اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا
{ونجنا برحمتك من القوم الكافرين} من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان
الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته {واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ} ان اتخذا مباءة {لقومكما بمصر بيوتا} يسكنون فيها
او يرجعون اليها للعبادة {واجعلوا} انتما وقومكما {بيوتكم} تلك البيوت {قبلة} مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان
موسى يصلي اليها {واقيموا الصلوة} فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم {وبشر
المؤمنين} بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس
القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل
وظيفة صاحب الشريعة {وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة} ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما
{واموالا} وانواعا من المال {في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك} دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم
انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء
النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكرارا
للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالتهم وكفرانهم تقدمة لقوله {ربنا اطمس على اموالهم} اهلكها والطمس المحق
وقرئ اطمس بالضم {واشدد على قلوبهم} اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان {فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم}
جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض {قال قد اجيبت دعوتكما} يعني موسى وهارون
لانه كان يومن {فاستقيما} فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته
روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة {ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون} طريق الجهلة في الاستعجال

٣٦٦

او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من
تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو
من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين
او للبغي والعدو وقرئ وعُدُوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه
حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من
المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة
من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في
موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيّل اليهم انه لا يهلك حتى كذّبوا موسى عم حين
اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك
عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان
الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك اية كسائر الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد
منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل
على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوّانا بني اسرائيل مبوّأ
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في
امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد صلعم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما
القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في
العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عم لا اشك ولا اسئل
وقيل الخطاب للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه
على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل
للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا
للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه

ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من القرى التي اهلكناها آمنت
قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس
لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا
ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى
اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فينفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع
على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عم بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا واعلم
فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط
حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم
ونساءهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن
من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في
انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت
تكره الناس بما لم يشاء الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام
للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن
الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس
ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاء وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر
في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا تفكروا ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل
وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل
ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم
ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن
آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين
نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننج مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة
ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا خلاصة

ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه
وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه
العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما
امرت به وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت
بالاستقامة في الدين والاشتداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من
الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته
فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر
يصيبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد لك به ولعله
ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد
الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن
لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا للرحمة بالطاعة ولا تيأسوا
من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى
بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم
حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون والله اعلم

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت
من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ
والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت
بين الحق والباطل احكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن
حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي
باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كأنه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه

اتركوها انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على
ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع وقيل استغفروا
من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة
الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال
لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في
الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير
يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك
اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبكم اشد عذاب فكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون
صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي عم او يولون ظهورهم وقرئ يثنوني
بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء مبالغة وتثنون واصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف
قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع
رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا
صدورنا على عداوة محمد عم كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة
الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون
بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور وبالقلوب
واحوالها

وما من دابة في الارض الا على الله رزقها

غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه
ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها
من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ و
كانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد
ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه
في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون
السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان
الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم
ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل

والاختيار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في
مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي عم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا
ان هذا الا سحر مبين اى ما البعث او القول به او القران المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرا حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان تكون ان بمعنى
علّ اى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في
انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه
ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا و
مبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزءون اى العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها
منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته بالله كفور
مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اى المصائب التي ساءتني انه لفرح بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر
والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه
يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله
واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لالائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق
ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف
راى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو
عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ مانعا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان
تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه
وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ولا عليك ردوا
او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم
وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم
بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات
من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم

اقدر منه لمكان التقصص والاشتهار ونعوّدكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة
ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين
ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول عم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل
وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله
فاعلموا انما انزل بعلم الله انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان
لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله الهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون
فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله
وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل
هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها
باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد
وقرئ يوف بالياء اى يوف الله وتوفّ على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله شعر
وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في
اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا
لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه لم يبق له ثواب في الاخرة او
لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل
في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه
مفعول يعملون وما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان
على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه
هؤلاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان
على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي عم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب
ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران ومن
قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق وقيل البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد
جبريل او لسان الرسول عم على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار
المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اى يتلو القران شاهد ممن
كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التوراة

اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على
بينة يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله فالنار موعده
يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله
او نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة
والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة
الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن
دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة هم
كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض
اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم
الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله
وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان
ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة
الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد
به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه و
المؤمن بالبصير والسميع لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع
بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالايب هذا من
اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال
والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول
نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز
ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب
ولكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملا الذين كفروا من قومه
ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين

هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل كانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادى الراى ظاهر الراى
من غير تعمق من البدو او اول الراى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه
بالظرف على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الراى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم
لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا
من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك
فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى
رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة
او لان خفاءها توجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرأ
حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها
كارهون لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران ليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى
الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى الا على الله فانه
المأمول منه وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم
يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون
عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا
تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندى خزائن الله خزائن رزقه
وامواله حتى جحدتم فضلى ولا اعلم الغيب عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الراى من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى ملك
حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا اقول فى شان من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم فى الاخرة خير مما آتاكم فى الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن
الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده
الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية وبما عاينوه من رثاثة حالهم وقلة منالهم
دون تامل فى معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه
فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما
يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط و
دليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت
ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت
لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف

مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق
ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي
على الجمع وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن
فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك
باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ
والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من
الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم
كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي
يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع
على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه
الارض او اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا
وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف
انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل
قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون
رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عم اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
وسمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس وفي اعلاها الطير وقال
اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل
باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى
للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيتك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما
بسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبره او صلته
والخبر محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروي انه كان
اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم

٣٧٥

السلام عليه ... وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجريها بالفتح من جرى وقرئ مرسيها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة وقرئ
مجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله إن ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم وهي
تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان
وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء
والارض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان
صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ [illegible] بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان
ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في
الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ [illegible] وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن
دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا [illegible] معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة
المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية
قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع
وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الاعتزال قال سآوي الى
جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم
الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة
وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه و
حال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه
فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف
والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه ركب السفينة عاشر رجب
ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا
بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها
والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه
متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد
القهار ونادى نوح ربه واراد ذلك بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق و
ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
فالمراد ... وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع

من الدين قال ينوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه
تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما و
انتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به
علم ما لم تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شان
ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان
استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه
وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون على ان اصله تسألنني
فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها
في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسألك فيما يستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي وان لم تغفر
ما فرط مني من السؤال وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل ينوح اهبط انزل من السفينة
بسلم منا بسلامة من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركت عليك ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانيا
وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهي الخير النامي وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا
امما لانهم امم او لان الامم تشعبت منهم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اي و
ممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل هم قوم هود وصالح
ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها
نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من
الهاء ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اي مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك
او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط
غيرهم وانهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح
ان العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الآخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد اخاهم هودا
عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره وقرئ
بالجر حملا على لفظه ورفعه ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل رسول قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع
ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ
ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبري عن الغير انما
يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف

فى تكثر وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم

ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عم على الايمان والتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا

ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو

لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتاركي آلهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين

عن قولك حال من الضمير فى تاركي وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك

ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من [illegible] اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك

عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال انى اشهد الله و

اشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تع على

براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا

على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم

شبهة ان آلهتهم التى هى جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم

الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته

اياه ولذلك عقبه بقوله انى توكلت على الله ربى وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غايتكم وسعكم لن تضرونى

فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن

عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ

بالنواصى تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا

فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم

فقد ابلغتكم ما ارسلت اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين

فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل فان تولوا يعذرنى ويستخلف

ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم ويستخلف اسقط النون منه ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب فلا يخفى عليه

اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا

والذين آمنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم

كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان

المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة

او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بآيات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا

فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا

او عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم

وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ألا إن عادا كفروا ربهم
جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار ألا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر ألا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف
بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود وإلى
ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض هو كونكم منها لا غيره
فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او
اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم
معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب الرحمة مجيب
للدعاء قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا
في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا
على حكاية الحال الماضية وإننا لفي شك مما تدعونا إليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة
من اربه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي بيان
وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وآتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه إن عصيته
في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني
الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية
انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تأكل في أرض الله
ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا
وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلاثة أيام الاربعاء والخميس
والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله و
يوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفي بك فان وفى به صدقه والا كذبه
او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة
منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة وعن نافع والكسائي
يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه إن ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه وأخذ الذين
ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها قد سبق تفسير هذا في سورة الاعراف ألا إن ثمود كفروا ربهم
نونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله ألا بعدا لثمود ذهابا
الى الحي والاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا إبراهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبرئيل وميكائيل
واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه

بما قالوا بمعنى ذكروا سلاما قال سلام أي أمركم أو جوابي سلام أو وعليكم سلام رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم وقرأ
حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث أن جاء بعجل حنيذ
فما أبطأ مجيئه به أو فما أبطأ في المجيء به أو فما تأخر عنه والجار مقدر أو محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه لا يمدون إليه
أيديهم نكرهم وأوجس منهم خيفة أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والإيجاس الإدراك
وقيل الإضمار قالوا له لما أحسوا منه أثر الخوف لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب وإنما
لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤوسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة
أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء
القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ولم تعد حقا ثديها أن تحلما ومنه ضحكت الشجرة
إذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب وقيل إنه معطوف على موضع بإسحاق أو على لفظ إسحاق
وفتحته للجر فإنه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ وخبره
الظرف أي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا يكون إضافته إلى
إسحاق ليس من حيث إن يعقوب وراءه بل من حيث إنه وراء إبراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما
في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها
ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا وأصله في الشر فأطلق في كل أمر فظيع وقرئ بالياء على الأصل أألد وأنا
عجوز ابنة تسعين أو تسع وتسعين سنة وهذا بعلي زوجي وأصله القائم بالأمر شيخا ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه
على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي
بدل إن هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك قالوا أتعجبين
من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت منكرين عليها فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط
المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت
في ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة إنه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير
الخير والإحسان فلما ذهب عن إبراهيم الروع أي ما أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع
يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شأنهم ومجادلته إياهم قوله إن فيها لوطا وهو إما جواب لما جيء به مضارعا
على حكاية الحال أو لأنه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع
في جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا إن إبراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء إليه
أواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع إلى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له

على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا إبراهيم على إرادة القول أي قالت الملائكة يا إبراهيم أعرض عن هذا الجدال
إنه قد جاء أمر ربك قدره بمقتضى قضائه الأزلي بعذابهم وهو أعلم بحالهم وإنهم آتيهم عذاب غير مردود غير مصروف
بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم ساءه مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم أناس
فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعاً وضاق بشأنهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض
عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه إذا شده وجاءه قومه يهرعون إليه
يسرعون إليه كأنهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من أضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي فدى بهن أضيافه كرماً
وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات
على الكفار فإنه شرع طارئ أو مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى إن ذلك أهون منه أو إظهار الشدة
امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث الشفقة و
التربية وفي حرف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم هن أطهر لكم أنظف فعلاً أو أقل فحشاً
كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على أن هن خبر بناتي كقولك هذا أخي هو فإن هو فصل
لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش أو بإيثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي أو
ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شأنهم فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاؤه أليس منكم رجل رشيد يهتدي إلى الحق
ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وإنك لتعلم ما نريد وهو إتيان الذكران قال لو أن
لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم أو آوي إلى ركن شديد إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي
رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد وقرئ أو آوي بالنصب بإضمار أن كأنه قال لو أن لي بكم قوة أو أوياً وجواب
لو محذوف تقديره لدفعتكم روي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار
فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك لن يصلوا إلى إضرارك بإضرارنا فهون عليك
ودعنا وإياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فإن
في بيت لوط سحرة فأسر بأهلك بالقطع من الإسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع
من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم أحد ولا يتخلف أو لا ينظر إلى ورائه والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط
إلا امرأتك استثناء من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه أنه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك وهذا
إنما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فإنه إن فسر بالنظر إلى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن
كثير وأبي عمرو بالرفع على البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين في أنه خلفها مع قومها أو أخرجها
فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لأن القواطع لا يصح حملها على المعاني
المتناقضة والأولى جعل الاستثناء في القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله في قوله ما فعلوه إلا قليل ولا يبعد أن

اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة
الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه
علة للامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده
الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها
اى الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عم ادخل جناحه
تحت مداينهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها
على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من
اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشىء المرسل او من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله
ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا لعذابهم او نضد فى
الارسال يتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل
معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرمى به عند ربك فى خزائنه وما هى من الظالمين ببعيد
فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عم انه سال جبريل عم فقال يعنى ظالمى امتك ما
من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها
فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن ابراهيم
عم او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان
امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض انى
اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة
فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب
مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب
لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا
يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير
زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم
بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص
الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور فى المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق
والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عم وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين
امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم

مسلة من ولي في قول الكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي
تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ
وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك
أن نترك ما يعبد آباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله
لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوة وكان قومه
جمعوا وحمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلاتك تأمرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او أن نفعل في أموالنا ما نشاء عطف على ما أي وان نترك فعلنا
ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان
ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك إنك لأنت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد
ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك قال
يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة
الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف
والنهي عن دين الآباء والضمير في منه لله أي من عنده وباعانته بلا كد مني في تحصيله وما أريد أن أخالفكم إلى
ما أنهاكم عنه أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبد به فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا ان انهى عنه
يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس إن أريد إلا الإصلاح ما
استطعت ما أريد الا ان اصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح
فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعي
في كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك
يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح
أي المقدار الذي استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي إلا بالله وما توفيقي لاصابة الحق و
الصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شيء وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم
ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ وإليه أنيب
اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفي هذه الكلمات طلب
التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع
الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم
شقاقي معاداتي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من الغرق أو قوم هود من الريح أو قوم صالح من الرجفة

والى مفعولين كجرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى
الى مفعول واحد والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله لم يمنع الشرب
منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا
بهم او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشىء بعيد
ولا يبعد ان يسوى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم
توبوا اليه عما انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ
المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب
التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او
مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى
قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من
شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمى الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا
بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف
النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت العزة وان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز
عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون
على لله وتبقون على لرهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغيرات
النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شىء منها فيجازى عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن
فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها هاهنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ فى التهويل ومن هو كاذب
عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف
تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا
يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم انى معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب
كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما
فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير
مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل
فهلكوا فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم فى المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين
كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة

مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك
والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى بآياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان مبين هو المعجزات
القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اى ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته
واضحا فى نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع
والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره
بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون
المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم
وما امر فرعون برشيد مرشد او ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما
كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه
ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد
لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذا عاقبته
لم يكن فى امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا فى هذه الدنيا
لعنة ويوم القيمة اى يلعنون فى الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى
واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين ذلك
اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها من تلك القرى قائم باق كالزرع
القائم وحصيد ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ
لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت
عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك
بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى وهى ظالمة
حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم
وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو
مبالغة فى التهديد والتحذير ان فى ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لاية لعبرة
لمن خاف عذاب الاخرة يعتبر به عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين فى الاخرة او ينزجر به
عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا
العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذلك اشارة
الى يوم القيمة وعذاب الاخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى

الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له
الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء
الظرف مجرى المفعول به كقوله فى محفل من نواصى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه
لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة
معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معد يوم يأت
اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب
او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف اخر او المأذون
فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه هى الاعذار الباطلة فمنهم شقى وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم
نفس او للناس فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما
فى اول النهيق واخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر
فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط
دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة
بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال
عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم
المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله تع يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل
الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما
يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم
فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد
بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة ايام عذابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما
ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم
شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم
لانفصال حقيقى او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا تخلو عن السعادة
والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب
احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه

او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة
لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود
على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان
والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ من
غير اعتراض وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ
غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله
فرق بين الثواب والعقاب في التابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى
اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ شك بعد ما انزل عليك
من مآل الناس مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ
استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما
يعبدون شيئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في
الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ
حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غَيْرَ مَنْقُوصٍ حال
من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ
فِيهِ فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ يعني كلمة الانظار الى
يوم القيامة لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وَإِنَّهُمْ وان كفار قومك لَفِي شَكٍّ مِنْهُ
من القرآن مُرِيبٍ موقع للريبة وَإِنَّ كُلًّا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل المضاف
اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ اللام الاولى
موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما
بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين
يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا
وقد قرئ به إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فلا يفوته شيء منه وان خفي فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ لما بين امر المختلفين في التوحيد و
النبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله عم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة
في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر
ولذلك قال عم شيبتني سورة هود وَمَنْ تَابَ مَعَكَ اي ومن تاب من الشرك والكفر وامن معك وهو عطف على

المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير
فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم
النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين
بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد
عليه وخطاب الرسول ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها
بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على
لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال
ثم لا تنصرون اي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم
بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره
لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف
لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلوة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة
الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة
ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب
النزول ان رجلا اتى النبي عم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم وما
بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر
المحسنين عدل عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد
بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولو فضل وانما سمي
بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا
كالتقية اي ذوو الابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه
اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح
اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات
واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال
الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ
واتبع اي اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك

ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده
يجب وقوعه ولا يزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا
هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة
الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم
من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت
به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه
على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك
ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق وموعظة
وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على
حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة
لا يخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على
البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع
العابد وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وحفص وابن عامر بالتاء هنا وفي آخر النمل
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح و
شعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز
او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء
المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه اي الكتاب قرآنا عربيا
سمي البعض قرآنا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه
اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال
وفي كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروءا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا
بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص
عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب

والحِكَم والآيات والعبر فعَل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قصّ أثره اذا اتبعه بما اوحينا اليك
هذا القرآن يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين
عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري
ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف
لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه صلعم الكريم ابن الكريم
ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث
لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها
وفتحها ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم
يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض
وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رأيت من الرؤيا
لقوله لا تقصص رؤياك على اخوتك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي
عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلعم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل
عم فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق
والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي
اي والله انها لاسماؤها رأيتهم لي ساجدين استيناف لبيان حالهم التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى
العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة لا تقصص
رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عم من رؤياه ان الله تعالى يصطفيه لرسالته
ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما
بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة
انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها
مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة
ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير
والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر
وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يألو جهدا في تسويلهم واثارة
الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك

٣٩٠

خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويعلمك من تأويل الأحاديث من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة
وأحاديث النفس أو الشيطان إن كانت كاذبة أو من تأويل غوامض كتب الله وسنن الأنبياء وكلمات الحكماء وهو اسم
جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة وعلى آل
يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله كما أتمها على أبويك بالرسالة وقيل
على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار وعلى إسحاق بإنقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك أو من
قبل هذا الوقت إبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الأشياء
على ما ينبغي لقد كان في يوسف وإخوته أي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته أو علامات نبوتك للسائلين لمن
سأل عن قصتهم والمراد بإخوته علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من
بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولاً فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما
ولم يكن الجمع محرماً حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة إذ قالوا ليوسف وأخوه
أخوه بنيامين وتخصيصه بالإضافة لاختصاصه بالأخوة من الطرفين أحب إلى أبينا منا وحده لأن أفعل من لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه فإن الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة
والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعداً سموا بذلك
لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول أو لترك التعديل في المحبة روي أنه كان أحب
إليه لما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ
حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله إذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر إلا من قال
لا تقتلوا وقيل إنما قاله شمعون أو دان ورضي به الآخرون أو اطرحوه أرضاً منكورة بعيدة من العمران وهو معنى
تنكيرها وإبهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه أبيكم جواب الأمر أي يصف لكم وجه أبيكم
فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم إلى غيركم ولا ينازعكم في محبته أحد وتكونوا جزم بالعطف على يخل أو نصب بإضمار أن
من بعده من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه قوماً صالحين تائبين إلى الله عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم
يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في أمر دنياكم فإنه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم قال قائل منهم
يعني يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فإن القتل عظيم وألقوه في غيابت الجب في قعره
سمي به لغيبوبته عن عين الناظر وقرأ نافع في غيابات في الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات
بالتشديد يلتقطه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الأرض إن كنتم فاعلين مشورتي أو إن كنتم
على أن تفعلوا ما يفرق بينه وبين أبيه قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وإنا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور
تأمنا بالإدغام بإشمام وعن نافع بترك الإشمام ومن الشواذ ترك الإدغام لأنهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء

غداً الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرا ابن كثير نرتع بكسر العين
على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد
الفعل الى يوسف وقرئ يُرتِع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان
يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان
الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير و
نافع في رواية البزي وابو عمرو وقفا وقالون وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا والباقون بترك الهمزة واشتقاقه
من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذاً لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون
لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه
فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما
محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه ويعيرونه ويضربونه
حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ٣٩٢
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم اوى الى
صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرئيل بالوحي كما قال تعالى واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان
مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهما السلام وفي القصص ان ابراهيم عم حين القي الى النار جرد عن
ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحاق واسحاق الى يعقوب فجعله في
تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبرئيل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون
انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون
متصل باوحينا اي آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ عُشَيّاً وهو تصغير عشي
وعُشىً بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين
يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط
محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ
بالنصب على الحال من الواو اي جاؤا كاذبين وكَدِبٍ بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار
الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال

من الدم ان جو تقديرها على المجهور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك
قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت فى اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى
صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق والله المستعان على احتمال
ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين
الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى
لهم وكان مالك بن دعر الخزاعى فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى
هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على
اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وامال فتحة الراء حمزة والكسائى وقرا ورش بين اللفظين وقرئ
يا بشرىّ بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة
قيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه
كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت
يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من
المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى
مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة
قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا
فيه فى يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين
فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم
اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين
لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير
او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف ومات فى حياته وقيل كان فرعون
موسى عاش اربعمائة لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من
قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلاث عشرة
سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به
من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوج نعل وثوبان ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامرأته
زليخا اكرمى مثواه اجعلى مقامه عندنا كريما اى حسنا والمعنى احسنى تعهده عسى ان ينفعنا فى ضياعنا واموالنا و
نستظهر به فى مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة

عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك مكنا ليوسف في
الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من
تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه من تاويل اى كان القصد في انجائه وتمكينه
الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث
الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شي ولا ينازعه
فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد
بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك
جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها
من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب الشي ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة
في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت لك والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين
كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة
فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله
اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه
فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه
لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها
قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشي قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشي
امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف
بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته
لو لم اخف الله لولا ان راى برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان
يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل راى جبريل
وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل
عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد
والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه

من دبر واجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا
زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوء الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها
عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا السجن قال هي راودتني
عن نفسي طالبتني بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله
وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلعم تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة
فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها لتكون الزم عليها ان كان
قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل
انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي
فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه
قد من دبر قال انه اي ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من
حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد
تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه
للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم
المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هو اسم لجمع امرأة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي
ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة لنسوة وكن خمسا
زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها
والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها
وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير
اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن
عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن و
يشتغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده
على اربعين امرأة في ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا

وأعتدت لهن متكأ قال فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع
يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء بإشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الأترج أو ما يقطع من متك الشيء
إذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ إذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن
النبي صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى
حضن من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف على حذف اللام أي حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن
أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته
على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو في الدرج فحذفت ألفه الأخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه
في باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله و
حاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف
أي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لأن هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة أهل الحجاز في إعمال
ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أي بعبد مشترى لئيم إن هذا إلا ملك
كريم فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لأن جماله فوق جمال البشر
ولا يفوقه فيه إلا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه أي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان
به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني أو فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك
موضع هذا رفعا لمنزلة المشار إليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت
أنهن يعذرنها كي يعاونها على إلانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره أي ما آمر به فحذف الجار أو أمري إياه بمعنى موجب أمري
فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين من الأذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من
صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لأن النون كتبت فيه بالألف كنسفعا على حكم الوقف وذلك في الخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر أحب إلي مما يدعونني إليه أي آثر عندي من مؤاتاتها
زنا نظرا إلى العاقبة وإن كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه وإسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن خوفنه
من مخالفتها وزين له مطاوعتها أو دعونه إلى أنفسهن وقيل إنما ابتلي بالسجن لقوله هذا وإنما كان الأولى به أن
يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر وإلا تصرف عني وإن لم تصرف عني كيدهن
في تحبيب ذلك إلي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة أصب إليهن أمل إلى إجابتهن أو إلى أنفسهن بطبعي ومقتضى
شهوتي والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تستطيبها وتميل إليها وقرئ أصب من الصبابة وهي
الشوق وأكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني إليه فإن الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما
يعلمون فإنهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله وإلا تصرف عني فصرف عنه

كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطّن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان إنه هو السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما رأوا
الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل
بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب
الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن
يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد
الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي
حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق رأسي
خبزا تأكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من
العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن
فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اي بتأويل ما قصصتما
علي او بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما
الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريق الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اي ذلك
التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل الكهانة والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحاق ويعقوب وكلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق
عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم
بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله
علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتنبيههم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث
اليهم لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن
يا ساكنيه او يا صاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار أأرباب متفرقون شتى
متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه
غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها وكانكم لا تعبدون
الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم

تعبدونها باعتبار اسام تطلقون عليها إن الحكم في أمر العبادة إلا لله لأنه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته
الموجد للكل والمالك لأمره أمر على لسان أنبيائه ألا تعبدوا إلا إياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة بيّن لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ
الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الإلهية فان استحقاق العبادة اما بالذات
واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا
يرتضي العلم دونه ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم يا صاحبي السجن أما أحدكما يعني الشرابي فيسقي
ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه وأما الآخر يريد به الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه فقالا كذبنا
فقال قضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي قطع الأمر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحّده فانهما وان
استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن أنه ناج منهما الظان يوسف إن ذكر ذلك
من اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فأنساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فأضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او
يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس
والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الأنبياء فلبث في السجن بضع سنين
البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا ٣٩٨
فرجه رأى الملك في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها وأخر يابسات وسبعا أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن
عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون المميز لأن التمييز بها ووصف السبع
الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان
لانه نقيضه يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور
الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان
او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى
باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا أضغاث أحلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث
وأصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان
يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس
لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله وقال الذي نجا منهما من
صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد أمة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ إمة
بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وأمه اي نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسي والجملة

اعتراض ومقول القول أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون إلى من عنده علمه أو إلى السجن يوسف أيها الصديق أي فأرسل
إلى يوسف فجاء وقال يا يوسف وإنما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لأنه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه
ورؤيا صاحبه أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات أي في تأويل رؤيا ذلك
لعلي أرجع إلى الناس أعود إلى الملك ومن عنده أو إلى أهل البلد إذ قيل إن السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها وفضلك و
مكانك وإنما لم يبت الكلام فيهما لأنه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين
دأبا أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر بإضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة
حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما
حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الأول نصيحة خارجة عن العبارة إلا قليلا مما تأكلون في تلك
السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لأجلهن فأسند إليهن على
المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به إلا قليلا مما تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث
الناس يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون
الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره إذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني
للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه
٣٩٩ معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات
بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي أو بأن انتهاء الجدب
بالخصب أو بأن السنة الإلهية على أن يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعدما جاءه الرسول بالتعبير
فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إنما تأنى في الخروج
وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به إلى تقبيح أمره
وفيه دليل على أنه ينبغي أن يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلعم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث
لأسرعت الإجابة وإنما قال فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال
وإنما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للأدب وقرئ النسوة بضم النون إن ربي بكيدهن عليم حين
قلن لي أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن
قال ما خطبكن قال الملك لهن ما شأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه إذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن
حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوأة ثم صمما
أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول أنا راودته عن نفسه وإنه
لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد إليه الرسول وخبره بكلامهن أي

ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه
او وهو غائب عني او ظرف اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا
يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد
لامانته ولذلك عقبه بقوله **وما ابرئ نفسي** اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه لما قال ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث
انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه
الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الاية حكاية
قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربي غفور
رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره و
استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به وكلمه
وشاهد منه الرشد والذكاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما
خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان فقال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا وكلمه
بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل
واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوجه
راعيل فوجدها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن الارض ولني امرها والارض ارض مصر
اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم
فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى
اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف في الارض
ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرا ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من
نشاء في الدنيا والاخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير
الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباع
اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الراي رايك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان
ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب عليه السلام بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم أنه هلك ولعل حاله
وأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم وأوقر
ركائبهم بما جاؤوا لأجله والجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وما تزف به
المرأة إلى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم
لعلكم عيون قالوا معاذ الله إنما نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم
قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية وهلك قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا
يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا أحد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني
بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لأخ لهم من أبيهم
فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون أني أوفي الكيل أتمه وأنا خير المنزلين للضيف والمضيفين
لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون أي ولا تقربوني ولا تدخلوا
دياري وهو إما نهي أو نفي معطوف على محل الجزاء قالوا سنراود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا لفاعلون ذلك لا نتوانى
فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على أنه جمع الكثرة ليوافق قوله
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكل بكل رحل واحدا يعبئ فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما
وإنما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من أن لا يكون عند أبيه ما يرجعون
به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها إذا انقلبوا إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم لعلهم يرجعون
لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين
فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فينضم
اكتياله إلى اكتيالنا وإنا له لحافظون من أن يناله مكروه قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم
في يوسف وإنا له لحافظون فالله خير حافظا فأتوكل عليه وأفوض أمري إليه وهو أرحم الراحمين فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا
يجمع علي مصيبتين وانتصب حافظا على التمييز وحافظا في قراءة حمزة والكسائي وحفص على الحال أو التمييز كقولهم لله دره فارسا
وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة
إلى الراء نقلها في بيع وقيل قالوا يا أبانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا
متاعنا أو لا نطلب وراء ذلك إحسانا أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه وقرئ ما تبغي على
الخطاب أي أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت إلينا استئناف موضح لقوله
ما نبغي ونمير أهلنا معطوف على محذوف أي ردت إلينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع إلى الملك ونحفظ أخانا عن
المخاوف في ذهابنا وإيابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب أخينا هذا إذا كانت ما استفهامية أما إذا كانت
نافية احتمل ذلك واحتمل أن يكون الجمل معطوفة على ما نبغي أي لا نبغي فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا

اى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز
ان تكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب عم ومعناه
ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله عهدا
مؤكدا بذكر الله اى عهد الموكد بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان
يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني
به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به فى تأويل النفى اى لا تمتنعون من الاتيان به الا
للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول
من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا
ذوى جمال وابهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس
آثار منها العين والذى يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم فى عوذته اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامة ومن كل عين لامة وما اغنى عنكم من الله من شئ مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم
الا لله يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين
فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب
لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد ما كان يغنى عنهم رأى يعقوب
واتباعهم له من الله من شئ مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع
فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة فى نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته
عليهم وحذره من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما
اغنى عنكم من الله من شئ ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر ولما دخلوا
على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين
وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا
وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا
مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال انى انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون فى حقنا فيما مضى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة فى رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به
وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم
حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او ائنكم لسارقون والعير القافلة وهو

اسم للجمل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وهو
واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا
تفقدون اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته
اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة
ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة
وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا
سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة
التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع
على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ
من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من
والفاء لتضمنها معنى الشرط وجواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير
كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف
لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من
وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك كدنا ليوسف مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا اليه
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو
بيان للكيد الا ان يشاء الله الا ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن
اخذه بمشيئة الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به
من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق
لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل
العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون به يوسف قيل ورثت عمته من ابيها
منطقة ابراهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسط يوسف ثم اظهرت
ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه
في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم [illegible]
لم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير [illegible]
[illegible] قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة [illegible]
[illegible]
[illegible]

على محبة لسمحنا بكانه بدله فان اباه يتعاون على فراقه انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم
على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم هذا ومراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع
في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة وعن البزي استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله
خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي
واندية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهوذا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتاكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم
في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا باس بالفصل
بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان
خبرا او صفة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية
ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الرجوع اليه او يحكم الله لي او يقضي
بالخروج منها او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل ايها
الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال
لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا
البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك
سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا الا بما علمنا بان راينا ان الصاع استخرج من
وعائه وما كنا للغيب حافظين فلا ندري انه سرق او سُرِّق ودس الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين
فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها
يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التي اقبلنا فيها
واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا
له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقدرتموه والا فما ادرى الملك ان
السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين
واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم
وقال يا اسفى على يوسف اي يا اسفا تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف
على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزاه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما
دون حياته وفي الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد عليه السلام الا ترى الى يعقوب

حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت
سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك
لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال
القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك
له في قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين
من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال
تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في قوله * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس
فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذي
اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين
كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى
النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع
الملتجئ اليه او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال
هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما
وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اي
من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من
رحمته في شيء من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان وقيل
كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل
وتصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا
عليه وعليهم الصلوة والسلام ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام
في القصر هذه صدقة تصدق الله تعالى عليكم بها فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان
يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة و
شفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما
فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشا
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله
حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة

ولعلهم عرفوه بشمائلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله
علينا اي بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين
وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن
الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب
عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق
العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو
مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين
فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة
والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان
من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم
اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا
اي ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها
قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله تعالى ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل اليه يهوذا من ثمانين ٤٠٧
فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان
نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلتم انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان
جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير
القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل
لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول ولا تياسوا
من روح الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح
عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة
تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم ان الله عفى عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده
ما روي انه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان
الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم
كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله
يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا
مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته

واعتنقهما نزّلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فی قوله واله ابائك ابراهیم واسمٰعیل واسحٰق او ان یعقوب تزوجها بعد امه
والرابة تدعی امًا وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنین من القحط واصناف المکاره والمشیة متعلقة بالدخول المکیف بالامن والدخول
الاول کان فی موضع خارج البلد حین استقبلهم ورفع ابویه علی العرش وخرّوا له سجدا تحیة وتکرمة له فان السجود کان
عندهم یجری مجراها وقیل معناه خرّوا لاجله سجدا لله شکرا وقیل الضمیر لله والواو لابویه واخوته والرفع موخر عن الخرور وان
تقدم لفظا للاهتمام بذکره تعظیما لهما وقال یا ابت هذا تاویل رؤیای من قبل رأیتها ایام الصبا قد جعلها ربی حقا صدقا
وقد احسن بی اذ اخرجنی من السجن ولم یذکر الجب لئلا یکون تثریبا علیهم وجاء بکم من البدو من البادیة لانهم کانوا اصحاب
المواشی واهل البدو من بعد ان نزغ الشیطان بینی وبین اخوتی افسد بیننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها
علی الجری ان ربی لطیف لما یشاء لطیف التدبیر له اذ ما من صعب الا وینفذ فیه مشیته ویتسهل دونها انه هو العلیم بوجوه
المصالح والتدابیر الحکیم الذی یفعل کل شیء فی وقت وعلی وجه تقتضی الحکمة روی ان یوسف طاف
بابیه علیهما السلام فی خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال یا بنی ما اعقك عندك هذه القراطیس وما کتبت الیّ علی
ثمان مراحل قال امرنی جبریل فقال او ما تسأله قال انت ابسط منی الیه فسأله قال جبریل الله امرنی بذلك لقولك واخاف
ان یأکله الذئب قال فهلا خفتنی رب قد آتیتنی من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتنی من تأویل الاحادیث
الکتب او الرؤیا ومن ایضا للتبعیض لانه لم یؤت کل التاویل فاطر السمٰوات والارض مبدعهما وانتصابه علی انه صفة
المنادی او منادی برأسه انت ولیی ناصری او متولی امری فی الدنیا والآخرة او الذی یتولانی بالنعمة فیهما توفنی
مسلما اقبضنی والحقنی بالصالحین من آبائی او بعامة الصالحین فی الرتبة والکرامة روی ان یعقوب اقام معه فی مصر
اربعا وعشرین سنة ثم توفی واوصی ان یدفن بالشام الی جنب ابیه فذهب به ودفنه ثمة وعاد وعاش بعده
ثلاثا وعشرین سنة ثم تاقت نفسه الی الملك المخلد فتمنی الموت فتوفاه الله طیبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فی مدفنه حتی هموا
بالقتال فرأوا ان یجعلوه فی صندوق من مرمر ویدفنوه فی النیل بحیث یمر علیه الماء ثم یصل الی مصر لیکونوا شرعا فیه ثم نقله موسی علیه السلام
الی مدفن آبائه وکان عمره مائة وعشرین سنة وقد ولد له من راعیل افرائیم ومیشا وهو جد یوشع بن نون ورحمة امرأة ایوب
ذلك اشارة الی ما ذکر من نبأ یوسف والخطاب فیه للرسول صلی الله علیه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغیب نوحیه الیك خبران له
وما کنت لدیهم اذ اجمعوا امرهم وهم یمکرون کالدلیل علیهما والمعنی ان هذا النبأ غیب لم تعرفه الا بالوحی لانك
لم تحضر اخوة یوسف حین عزموا علی ما هموا به من ان یجعلوه فی غیابت الجب وهم یمکرون به وبابیه لیرسله معهم ومن
المعلوم الذی لا یخفی علی مکذبیك انك ما لقیت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذکره فی غیر
هذه القصة کقوله ما کنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اکثر الناس ولو حرصت علی ایمانهم وبالغت فی اظهار الآیات
علیهم بمؤمنین لعنادهم وتصمیمهم علی الکفر وما تسألهم علیه علی الانباء او القرآن من اجر من جعل کما یفعله حملة الاخبار
ان هو الا ذکر عظة من الله للعالمین عامة وکأین من آیة وکم من آیة والمعنی وکأین عدد شیء من الآیات الدالة علی
وجود الصانع وحکمته وکمال قدرته وتوحیده فی السموات والارض یمرون علیها یشاهدونها وهم عنها معرضون

٤٠٧

لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارضُ بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرّون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطأون الارض وقرئ والارضُ يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في
اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبنّي اليه او القول بالنور
والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب أفأمنوا ان تأتيهم
غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون
باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسّر السبيل بقوله ادعو الى الله
وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر في ادعو او على بصيرة لانه حال منه او
مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما اوحي اليك
ويميزوا بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحي في كل القرآن ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء وحمزة والكسائي
بمكانه على اصلهما هنا في النحل والاول من سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو أفلم يسيروا
في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين
بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي
افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله هذه سبيلي
اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم
فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين
فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد
الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل
اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن
عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق
الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي
وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذَبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به
عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم
الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني
للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في
قصص الانبياء وامهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون
الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية

وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله تعالى عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وايها خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى اياتها اي تلك الايات ايات السورة الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبره ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الايات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراده منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء المخلوقات وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار

والزرع وتوحيد الزرع لانه مصدر في الاصل وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على
وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني تميم كقنوان في جمع قنو
يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم
فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير
على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائي ويفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت
الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه
قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف
دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم
مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها و
توسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ما هددوا
به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص
وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات ۴۱۰
بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله
النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن
منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه
لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي
موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح
عليك ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر
على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه
وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد
دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى
اي حملها او ما تحمله على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه وما تزداده
في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة رضي الله عنهم روي
ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدد لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب

ابو حنيفة وقال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده
بيانا لجاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتها لازمين تعين ما ان يكون مصدرية
واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص
عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة
اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج
عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول
في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز
يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله ** نكن مثل
من يا ذئب يصطحبان ** كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة
لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة
عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من حذف احدى
القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال
او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل
من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من
قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة
بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب
وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف
مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة
بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين
على اضمار ذوا او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة كالزراع وقيل يخاف المطر
من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس
في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية
الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد
فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل
الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التفتل

من الجدال وهو المقاتلة والمغالبة واما العطف على الجملة او الحال فانه روى ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة
اخا لبيد وفدا على رسول الله قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له
الرسول وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت
سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة والمكايدة
لاعدائه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال
من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال
ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء
الحق فانه تعالى الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده
والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق
هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم والذين يدعون اى والاصنام الذين
يدعوهم المشركون فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون
لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان
يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك
الهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون
بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض
طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة
كرها حال الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا وانقياد
ظلالهم لتصريفه تعالى اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله بالغدو والاصال ظرف ليسجد والمراد
بهما الدوام او حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقني جمع قناة
والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل
قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء
لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى
والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم

والمعبود المطلع على احوالكم هل تستوى الظلمت والنور الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائى وابو بكر بالياء ام جعلوا لله
شركاء بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم
والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها
ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شىء لا خالق غيره
فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وهو الواحد اى المتوحد
بالالوهية القهار الغالب على كل شىء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادى منه فسالت
اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان
المطر ياتى على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر
فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه فى النار يعم الفلزات كالذهب
والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية طلب حلى او متاع كالاوانى وآلات الحرب
والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن
للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائى وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب
الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فيسيل به الاودية
على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى منابعه ويسلك بعضه
فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك
مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء
يجفا به اى يرمى به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة
الفلز فيمكث فى الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين
الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه
جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة او الجنة والذين
لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدا
لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه
شىء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك
الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان تقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب
من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون
بعهد الله ما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم فى كتبه ولا ينقضون
الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون

ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس
ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما
يكرهه النفس ويخالفه الهوى ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها
بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون
مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستيناف بذكر
ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات
يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون
وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ
فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك الصفات يقرن
بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد
الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام
عليكم بشارة بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او للبدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها
الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من
الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء
الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه و
فرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا متاع الا متعة
لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة
واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله
يضل من يشاء باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو
يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل
الى اهتدائه وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من
من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من
خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن
القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة
ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالرفع والنصب

مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ
الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن
الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما
الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم
واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة
في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان قرآنا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله
عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية
في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح
لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض
قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر
الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان
بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا
عن ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة
والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميؤس عنه
لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم
تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله
لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم
وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير عليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة
فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان عليه السلام لا يزال يبعث السرايا فتغير
حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول الله فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية
حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ
برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقتدين بهم في ذلك
والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم وفيه ...
رقيب عليها بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم ...
كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية ...

عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء

لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه

وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها

وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا

وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا باطلا ثم خا

او كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصد بالفتح

اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى

لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه

وما لهم من الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة

وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة

قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول

سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما

ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار

لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين

من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون

بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق

ما حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله

واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع

والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعوا لا الى غيره واليه مآب

واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف

بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه

حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال

ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك

من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات

في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان

لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب

لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته
وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا
او يثبت ما راه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت اخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وعاصم
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك
بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازاة لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا
انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي
يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى
الكفر بالادبار وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب
فيحاسبهم عما قليل في الاخرة بعدما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم
فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها و
سيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حينما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله
واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على
الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد
رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب
علم القران وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي وكفى بالذي يستحق العبادة
وبالذي لا يعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه
معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من الظلمات من انواع
الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج
او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن
يسأل عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب
سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته
وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد

لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه
لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه
ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده
وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها
عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة
للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة
للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم
اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث
الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد
في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب
وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد عليه
الصلوة والسلام وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ٣١٨
ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان
ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا
موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال
معنى القول او بان اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم
بايام الله بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها او قبل بنعمائه وبلائه ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما انزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه
من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى
لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت
مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال
يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس
العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه
بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من
كلام موسى وتأذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم

يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد
فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول
مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم
بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح
وعاد وثمود من كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين
من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود
كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا
لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لا جواب لهم سواه
او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا
ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم
ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان
وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى شيء قالت رسلهم
أفي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله
وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا الى ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل
وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة
المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل
جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت
في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك
فيتناول الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر
مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون
ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او على
صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم
بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشية الله تعالى
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا تستبد به استطاعتنا حتى ناتي

بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه
في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى الى
قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها
بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم
مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب
عن ايمانهم وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين
اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب
لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اي الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار
القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك
اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف
الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من
الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سألوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي ففتح
لهم فافلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من
القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها
في الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم
يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد
فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس
وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله عليهم بدعوة
رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا
بربهم مبتدأ خبره محذوف اي فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهي على
الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته

وقرأ نافع الرياح في يوم عاصف العصوف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره
صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها
لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه به اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة
مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم
انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموت والارض بالحق بالحكمة
والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائي خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالق السموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم
وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك
كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن
هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله جميعا اي يبرزون
من قبورهم يوم القيمة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها
تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه فقال الضعفؤا
الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعفاء الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو
جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا
من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض
الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل
ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اي الذين
استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن
ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله تعالى طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنينا
عنكم كما عرضناكم له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر
ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا
كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا
نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال
الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في الاشقياء من
الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم

وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف
منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من
جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم
اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا
ربكم لما دعاكم احتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها
ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب
وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه
من اجتماع يائين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر و
قبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربتهو واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء
بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من
قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو
ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما
دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره تعالى بالسجود لآدم واشرك منقول من شركت
زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك
لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على
التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر
كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله
مثلا ويجوز ان تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اي هي كشجرة وان تكون
اولى مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها و
اعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت
اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين اقته الله لاثمارها
باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير
فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت
جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة
الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد
بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك

وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا والشجرة الخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما ما يعم ذلك
يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في
دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في
الموقف ولا تدهشهم اهوال القيامة وروي انه عليه الصلوة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه في جسده
فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي
محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت
بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا اي شكر نعمته كفرا بان وضعوه
مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله
واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع
سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران
من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين واحلوا قومهم الذين
شايعوهم في الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اي داخلين
فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن
سبيله الذي هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ
الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد
بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله
بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة
تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي
الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول
بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن
ذلك ههنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا
وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان
واحدا سرا وعلانية منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية او على الظرف اي وقتي
سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك
به تقصيره او يفدي به نفسه ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفي العام الله الذي

خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو
يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة
او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها
معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان
في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتاكم من
كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شيء سألتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة الله تعالى
ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل او لم يسأل وما يحتمل ان يكون موصولة
وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي واتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه
وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اي واتاكم من كل شيء غير سائليه وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها
لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق
بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة امنا ذا
امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره امنا
وفي الثاني جعله من البلاد الامنة واجنبني وبني بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني
على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت
لهم حجارة يدورون عليها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن
اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر الدين ومن عصاني فانك
غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى
الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف المفعول
وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت
عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان
فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان
او ما سيؤول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما
فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء
فقصدوه فرأوها وعندها عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانا ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة اللام لام كي وهي متعلقة

باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء
وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو
الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله تعالى ان يوفقهم لها فاجعل افئدة من الناس
اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت
اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة وهي تحتمل ان تكون مقلوب آفئدة كآدر في
ادؤر وان تكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه
اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداداً وقرئ تُهوى على البناء للمفعول من
اهوى اليه غيره وتَهوى من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم
واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله تعالى دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى
يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم
باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا
لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع
واللجأ الى الله تعالى وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن
للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة
واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل واسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة
سنة ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسال منه الولد فاجابه
ووهب له سؤله حين ما وقع الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا
عليها ومن ذريتي عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله تعالى او استقراء عادته في الامم الماضية
انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائي او وتقبل عبادتي ربنا اغفر لي ولوالدي وقرئ لابوي وقد
تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحوا وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل
كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا تخفى عليه خافية والوعيد
بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته تعالى جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم
وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص
ابصارهم فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة
هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة

لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة
ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا راى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء + وقيل خالية عن الخير
خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول
ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا
وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال
على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا
لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون
الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام
وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من
اثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق
العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم
لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء
لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام
مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من
الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع
على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله
وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا كيف
يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل
فيما بعدها والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها او في الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله
يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما فعن علي رضي الله عنه تبدل الارض من فضة وسموات من ذهب وعن
ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير
صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة انه عليه الصلوة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم

المكان الذي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة
ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما اشعر به قوله كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وكلا ان
كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر
في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره و
لا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس
زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى
رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين
او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق
واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق
الجرب بحدته وهو اسود منتن يشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه
لهم كالقميص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت
بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الردية والهيئات
الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي
حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي تتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم
يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات
ونظيره قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل
نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله
حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله
بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون اللام
متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه
واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل
عليه وليذكر اولو الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه تعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هي
الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد و
استصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرء سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اى آيات الجامع لكونه كتابا
كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين
حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربتما بالفتح والتخفيف
وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل
وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجرى مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله
ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري
ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم
ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم
اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال
بالا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب
معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها
وما يستاخرون اى وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر
نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله نزل عليك الذكر اى
القرآن لو ما تاتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على
الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة
قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص ننزل
بالنون وابو بكر تنزل الملائكة بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا
بالحق اى بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب
وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر
رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اى من التحريف والزيادة و
النقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان
الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك

في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع
وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا منهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به
يستهزئون كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا
حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون
والضمير للاستهزاء وفيه دلالة على ان الله تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الاخر في قوله لا يؤمنون به
له فهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة
المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة
حالا من الضمير لجواز ان يكون حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة
الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا
لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها
طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر
والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات
البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم
فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل
شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في
الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى
صلوات الله عليه منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها
قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه
شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق والارض
مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون
مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن
في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه
بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما
يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله تعالى يرزقهم واياهم وفذلكة الاية الاستدلال

بجعل الأرض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الأجزاء في الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة
وطبيعة مع جواز أن لا يكون كذلك أعظم دليل على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الألوهية والامتنان على العباد بما أنعم
عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال وإن من شيء إلا عندنا خزائنه أي ما من شيء إلا ونحن
قادرون على إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره أو شبه مقدوراته بالأشياء المخزونة
التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة إلا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فإن
تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات مشتملاً على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وأرسلنا الرياح لواقح حوامل
شبه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات الشجر والسحاب و
نظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس فأنزلنا من السماء
ماء فأسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما أنتم له بخازنين قادرين متمكنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه
أو حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك أيضاً يدل على المدبر الحكيم كما تدل عليه حركة الهواء في
بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فإن طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من
سبب مخصص وإنا لنحن نحيي بإيجاد الحياة في بعض الأجسام القابلة لها ونميت بإزالتها وقد أول الحياة بما يعم
الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون إذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتاً ومن استأخر أو من خرج من أصلاب الرجال
ومن لم يخرج بعد ومن تقدم في الإسلام والجهاد وسبق إلى الطاعة أو تأخر لا يخفى علينا شيء من أحوالكم وهو بيان لكمال
علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فإن ما يدل على كمال قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في صف الأول فازدحموا عليه فنزلت وقيل إن امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر إليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وإن ربك هو يحشرهم
لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بإن لتحقيق الوعد و
التنبيه على أن ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الأشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله
إنه حكيم باهر الحكمة متقن في أفعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الإنسان من صلصال طين يابس يصلصل
أي يصوت إذا نقر وقيل هو من صلصل إذا أنتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء
وهو صفة صلصال أي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر
المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طوراً بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فإن ما يسيل
بينهما يكون منتناً ويسمى سنيناً والجان أبا الجن وقيل إبليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الإنسان لأن تشعب
الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس بأسره مخلوقاً منها وانتصابه بفعل يفسره

خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة
كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من
التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو
للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على بيان المقدمة الثانية التي يتوقف
عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك للملائكة واذكر وقت قوله لهم اني خالق بشرا من صلصال
من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى اثاره في تجاويف
اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب
وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح
الى نفسه لما مر في النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة
في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان
الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي ولكن
ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي
غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان
اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني
من نار وهي اشرفها استنقص ادم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها
اي من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من رحمة الله من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه
منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزاء وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين
بمعنى اخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه
فيصير كالزائل قال رب فانظرني فاخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون
اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من
المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز
ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت
وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم
من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة
لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه
لازينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد

الى الارض في انعقاد القسم بافعال الله خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او الاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان امهاله تعريض لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولأغوينهم اجمعين ولأحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسرها ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضمير لانه

لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستتر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئناف او حال بعد حال او حال من الضمير
في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة
ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها
وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم
على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا عليك
سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل
اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف
في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحاق لقوله تعالى فبشرناها
باسحاق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل
هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه
عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة
على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة
وباليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه
تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة
دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة
رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ
بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله
ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا
ومريم عليهما السلام او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها قالوا انا
ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان
استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا
ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب
به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون
قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا
لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ
ابو بكر عن عاصم قدرنا هاهنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون
اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم

وهو فعل الله تعالى الملهم من التقرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر
عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك
من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك
به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من
الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل منهدم واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه
او فيصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى
حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك
الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ
بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون
باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه واتقوا
الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء
قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه
بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه
ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب والمخاطب هو النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه
كثير الدور على ألسنتهم انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب
الذي يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها الى المدينة
او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من
السجل وقد سبق مزيد بيان لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعثه الله تعالى اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعني سدوم و
الايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح

والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر البناء والطريق لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني
كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالح ومن معه من المؤمنين والحجر
واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته
كالناقة وسقبها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم
الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت
الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك
فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ باية السيف
ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم
او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل و
الكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال
والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع
صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته او الفاظه
او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله تعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان
يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور فمن
عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما
اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فراى ان
احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلوة والسلام وافى باذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال
لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم
وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب
الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه الصلوة
والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون

هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لانذرنكم الى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وقيل اسحارا وعن عكرمة العضه السحر وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدي فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح

بالوحي والقرآن فإنه يحيي به القلوب الميتة بالجهل ويقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك إشارة إلى
الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وإزاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم
به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويُنزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تَنَزَّلُ بمعنى تتنزل وقرأ أبو بكر تُنَزَّلُ على المضارع المبني للمفعول
من التنزيل من أمره بأمره أو من أجله على من يشاء من عباده أن أنذروا بأن أنذروا أي أعلموا من نذرت بكذا
إذا علمته أنه لا إله إلا أنا فاتقون أن الشأن لا إله إلا أنا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا إله إلا أنا وقوله
فاتقون رجوع إلى مخاطبتهم بما هو المقصود وأن مفسرة لأن الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا
من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على أن نزول الوحي بواسطة الملائكة وأن حاصله
التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والأمر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية وأن النبوة عطائية
والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث إنها تدل على أنه تعالى هو الموجد لأصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة
ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والأرض بالحق أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات
مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه إليهما ومما لا يقدر على خلقهما
وفيه دليل على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام خلق الإنسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع
والشكل فإذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة أو خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم
روي أن أبي بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم قال يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت والأنعام
الإبل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم أو بالعطف على الإنسان وخلقها لكم بيان ما خلق لأجله وما
بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وإنما عبر عنها بالمنافع ليتناول
عوضها ومنها تأكلون أي تأكلون ما يؤكل منها كاللحوم والشحوم والألبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي أو لأن
الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي أو التفكه
ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة إلى المراعي
فإن الأفنية تتزين بها في الوقتين ويجل أهلها في أعين الناظرين إليها وتقديم الإراحة لأن الجمال فيها أظهر فإنها
تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي إلى الحظائر حاضرة لأهلها وقرئ حينا على أن تريحون وتسرحون وصف
له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل أثقالكم أحمالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إن لم تكن الأنعام ولم تخلق فضلا
عن أن تحملوها على ظهوركم إليه إلا بشق الأنفس إلا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق
الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب إن ربكم لرؤوف رحيم حيث رحمكم
بخلقها لانتفاعكم وتيسير الأمر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الأنعام لتركبوها وزينة أي لتركبوها ولتتزينوا
بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لأن الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولأن المقصود
من خلقها الركوب وأما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل أن تكون علة لتركبوها

ج

او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه
اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية و
عامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا
احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به
ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق او اقامة
السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم
كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها
جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان
سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اي
ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من
السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر
المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر
ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال يعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل
في طعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة
لانها تؤثر بالرعي علامة ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمرات ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل
منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح فيه بالاجناس الثلاثة وترتيبها
ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها
نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منها عروقها ثم تنمو ويخرج
منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد
ونسبة الطبائع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن
منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس
والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات
لله خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى
يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات
والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل
او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد
ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل انواعا من

ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرأ لكم فى الارض عطف على الليل
اى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان او نبات مختلفاً الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالباً ان فى ذلك
لآية لقوم يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر لكم
البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحماً طرياً هو السمك و
وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذباً طرياً فى ماء
زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف لا يأكل لحماً حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب
دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم
ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق
الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى
تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه تعالى
جعل المهالك سبباً للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالاً رواسى ان تميد بكم كراهة ان تميد
وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة
كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلق الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال
بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت
الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهاراً وجعل فيها انهاراً لان القى فيه معناه و
سبلاً لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وعلامات معالم تستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحوها
وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة
وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار
للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير
للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم
افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من
مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته من لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان حق
افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيهاً على انهم بالاشراك بالله تعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيهاً بها
والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله تعالى مغلباً فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولى العلم لانهم
سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق
من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر
بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلاً عن ان تطيقوا القيام بشكرها

اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده سبحانه باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان
حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه
ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك
باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص
ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه
ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله
ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات
ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم
او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه
تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة
قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن
بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع بها والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف
الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات
اليه والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن
الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على سبيل التهكم
او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه
منزلا على التهكم او على الفرض اي على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة
رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب
بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم
ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا
منصوبات ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان
ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون
ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد
امر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائي اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم

الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين
كمشاقة الله تعالى قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة
ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون
لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه
الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من
سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام
بلى اى فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استئناف
ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا أوّل من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا
واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله تعالى او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها
المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا
انزل ربكم قالوا خيرا اى انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على
خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين
قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار
الآخرة خير اى ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية
لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات
عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤون
من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا
الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة
ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى
حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها
معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا
ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيمة او العذاب المستأصل كذلك
مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم على حذف
المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال
الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك
استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح

ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله تعالى صدورها منهم ولشاء خلافه
ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم
فاشركوا بالله تعالى وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يؤثر في هدى من
شاء الله تعالى هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله تعالى وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها
له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد الله تعالى اهتداءه وزيادة الضلال
لمن اراد الله تعالى ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا
في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله
ووفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هدايتهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية
لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به
في الاية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم
تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة
وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين
عليه زيادة في البت على فساده وقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل
عليه بلى فان يبعث موعد من الله عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده تعالى او لان البعث مقتضى حكمته حقا
صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت
عادته تعالى بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم
اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض
قدرته ومشيته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تعالى تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق
مادة ومثال امكن له تعالى تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا
للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون رضي الله عنهم
ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي
حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما تعجل لهم في الدنيا
وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى فيه هذا ما وعدك الله تعالى

في الدنيا بما ادخر لهم في الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كاذى
الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث
للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة
العامة واما قوله جاعل الملائكة رسلا فمعناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة
الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء
مع رجالا اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا متلبسين بالبينات
او بنوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت
والالزام وانزلنا اليك الذكر اي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر
بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه
كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افأمن الذين مكروا السيئات
اي المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن
الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما
فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة
بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا
من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه
لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية
فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرءوف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من
شيء استفهام انكاري اي قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة
مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وقرأ ابو عمرو
تتفيؤا بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل
توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان
من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة

الجمل وسجد البعير اذا طأطأ راسه ليركب وسجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع
الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام فى انفسها ايضا داخرة اى صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها
وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك
وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له فان الظلال
فى اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع
الشرقى من الارض ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض اى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره
طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان
لهما لان الدبيب هى الحركة الجسمانية سواء كانت فى ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة
للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما فى الارض والملائكة تكرير
لما فى السموات وتعيين له اجلالا واعظاما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل
لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته
يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر
فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون او بيان له وتقرير له لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته
ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء
وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه او ايماء بان الاثنينية
تنافى الالهية كما ذكر الواحد فى قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية
او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياى فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب
وتصريحا بالمقصود فكانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لا غير وله ما فى السموات والارض خلقا و
ملكا وله الدين اى الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب
اى له الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه
كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة فمن الله اى واى شئ اتصل بكم من نعمة فهو من الله تعالى وما شرطية او موصولة
متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها
منه تعالى ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت فى الدعاء والاستغاثة ثم اذا
كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما
نجاهم الى البر فمنهم مقتصد ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار

كونها من الله فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى

هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اى لآلهتهم التى لا علم لها لانها

جماد فيكون الضمير لما او التى لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف

او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسئلن

عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقية بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة

وكنانة يقولون الملائكة بنات الله تعالى سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعنى البنين ويجوز

فى ما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان يكون ضمير

الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار

او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا

من المرأة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على

هون ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون

حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة

الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل

الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم

المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها

من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب

ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بظلمهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم

او لعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا

يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء لجواز ان يضاف اليهم ما شاع

فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون اى ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة

والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله كقوله

ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان لهم النار رد

لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على

انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد

ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اى فى الدنيا وعبر

باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير

لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر

مضى اي فهو وليهم امثالهم او الولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما
انزلنا عليك الكتب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف
وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة
وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه في المفردات
المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له
على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح ههنا وفي المؤمنين من بين فرث ودم
لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام
في الكرش وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن
لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم
يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة
من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فتجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم
العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى
الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير
لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها
والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة
بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ
سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من
عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف تاكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اي
ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات
بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر
فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت
باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون

عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات وأوحى ربك إلى النحل ألهمها وقذف في قلوبها وقرئ إلى النحَل بفتحتين أن اتخذي
بأن اتخذي ويجوز أن تكون أن مفسرة لأن في الإيحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فإن النحل مذكر من الجبال بيوتا
ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لأنها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم أو سقف ولا في كل مكان منها
وإنما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الإنسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق
المهندسين إلا بالآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لأجل الياء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون
بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما أكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها
بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أو فاسلكي الطرق التي ألهمك في عمل العسل أو فاسلكي راجعة إلى بيوتك سبل
ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل أي مذللة ذللها الله تعالى وسهلها أو من الضمير في
اسلكي أي وأنت ذلل منقادة لما أمرت به يخرج من بطونها كأنه عدل به عن خطاب النحل إلى خطاب الناس لأنه محل
الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم شراب يعني العسل لأنه مما يشرب واحتج به من زعم أن النحل
تأكل الأزهار والأوراق العطرة فتستحيل في باطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بأفواهها أجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الأوراق والأزهار وتضعها في بيوتها ادخارا فإذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل
فسر البطون بالأفواه مختلف ألوانه أبيض وأصفر وأحمر وأسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس إما بنفسه
كما في الأمراض البلغمية أو مع غيره كما في سائر الأمراض إذ قل ما يكون معجون إلا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أخي
يشتكي بطنه فقال عليه السلام اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد
صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أو لما بين الله من
أحوال النحل إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون فإن من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والأفعال
العجيبة حق التدبر علم قطعا أنه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة
ومنكم من يرد إلى أرذل العمر أخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم
إن الله عليم بمقادير أعماركم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على أن تفاوت آجال الناس
ليس إلا بتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت
هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق
غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت أيمانهم على مماليكهم
فإن ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله في أيديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في أن الله رازقهم فالجملة
لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين

فضلوا برادّي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فليستووا في الرزق على انه ردٌّ وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله
بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله تعالى عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله
يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله تعالى
او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله تعالى عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء
لقوله خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم
مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولاد اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع
في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون
انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان
المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم
كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله تعالى لهم وتقديم الصلة
على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه
ولا يستطيعون ان يملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة
ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله
الامثال فلا تجعلوا لله مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه
من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك
ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان
يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن
عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون
مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله تعالى مالا كثيرا فهو يتصرف فيه
وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله تعالى الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد
العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله تعالى وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك
المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى
هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون
فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يُفهم
لا يقدر على شيء من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره

يرسله مولاه في أمر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضي
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل
الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه إلى مطلب إلا ويبلغه بأقرب سعي وإنما
قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لأنهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللأصنام لإبطال المشا
ركة بينه تعالى وبينها أو للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والأرض يختص به علمه لا يعلمه غيره تعالى وهو ما غاب فيهما عن العباد بأن لم
يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فإن علمه غائب عن أهل السموات والأرض وما أمر الساعة وما أمر قيام الساعة
في سرعته وسهولته إلا كلمح البصر إلا كرجع الطرف من أعلى الحدقة إلى أسفلها أو هو أقرب أو أمرها أقرب
منه بأن يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي تبتدأ فيه فإنه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد
دفعة كان في آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه أن قيام الساعة وإن تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح
البصر أو هو أقرب مبالغة في استقرابه إن الله على كل شيء قدير فيقدر أن يحيي الخلائق دفعة كما قدر أن أحياهم
متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله أخرجكم من بطون أمهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على أنه لغة أو اتباع
لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في أهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم
السمع والأبصار والأفئدة أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الأشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم
لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الإحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلوم الكسبية بالنظر
فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه ألم يروا إلى الطير وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على
خطاب العامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد
من الأرض ما يمسكهن فيه إلا الله فإن ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها
إن في ذلك لآيات تسخير الطير للطيران بأن خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيها وإمساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لأنهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
موضعا تسكنون فيه وقت إقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا هي
القباب المتخذة من الأدم ويجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فإنها من حيث إنها نابتة على جلودها يصدق
عليها أنها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم
إقامتكم وضعها أو ضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه ومن
أصوافها وأوبارها وأشعارها الصوف للضائنة والوبر للإبل والشعر للمعز وإضافتها إلى ضمير الأنعام لأنها من
جملتها أثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به إلى حين إلى مدة من الزمان فإنها لصلابتها تبقى مدة مديدة
أو إلى حين مماتكم أو إلى أن تقضوا منه أوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والأبنية وغيرها ظلالا
تتقون بها حر الشمس وجعل لكم من الجبال أكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل

لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت
اهم عندهم وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم
التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه تعالى وقرئ
تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح
بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمت الله اي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث
يعترفون بها وبانها من الله تعالى ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم
عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او
التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم
لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين
كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار
لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام عليهم ولا هم يستعتبون ولا هم
يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله
واذا راى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا راى
الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء
شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان
يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله تعالى او انهم ما عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواءهم كقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله تعالى الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر
والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي والقوا والقى الذين ظلموا الى الله
يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من
ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن
الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم وجئنا بك
يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على
التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى
للمسلمين خاصة ان الله يأمر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك

والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود
المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون
اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال
الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر
بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب
اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين
ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعني
البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله
اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا تنقضوا الايمان اي ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله تعالى
ومنه وكد واكد وقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به
رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول
من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث
وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وقيل التي هي نقضت غزلها ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم دخلا بينكم
حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين بامراة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة
ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا
واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا
شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر
اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة
المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم
بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين
تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على
ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم
عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة

ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء
المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى وما عند الله من خزائن رحمته
باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة
واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو
مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حيوة طيبة
في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة
وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات
ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت القرآن اذا
اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فسل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك
في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره
قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود ٣٥٢
قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لي قل اعوذ بالله
من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون
وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة
لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان مشركون
واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل
ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ
ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى
عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون
حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله
تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين
آمنوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم
واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه

ليعرض بحصول اضلال ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا
الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب
وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
ماخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين
ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي
لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع
كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ
مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم
ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها فطعنهم
في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من الله
لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد
اماطة شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب
لان تكذيب آيات الله تعالى والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين
ولا مروءة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب
ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة
الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير
عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده
وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت
من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان
كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول
في محمد فقال رسول الله قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما

فقال انا اصم فاعاد عليه ثلثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ
برخصة الله تعالى واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا
الحيوة الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدى القوم الكفرين اى الكافرين فى علمه
الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم الغفلون الكاملون فى الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن
تدبر العواقب لا جرم انهم فى الاخرة هم الخسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا
ابن عامر فتنوا بالفتح اى من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما
اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم
عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتى كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى فى
خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى جعلها مثلا لكل قوم انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا
فانزل الله تعالى بهم نقمته او لمكة كانت امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من
كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها
الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف
واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير: غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذى هو وصف
المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله: ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار
بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر
مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظلمون اى حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة
بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله تعالى لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمت الله
ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم
عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهى عن التحليل والتحريم باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف
السنتكم الكذب هذا حلل وهذا حرام كما قالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الاية ومقتضى سياق
الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرم فى الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية

الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول ولا تقولوا الكذب لما تصفه
السنتكم فيقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية
اى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول ينطق به
السنتكم من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم كانت تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم
وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة
للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان
الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفترى يفترى لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه
بقوله متاع قليل اى ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم اى فى الآخرة
وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اى فى سورة الانعام فى قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا
عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم فى التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله تعا وبعقابه وعدم التدبر فى العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم
الافتراء على الله تعا وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب
على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة فى اشخاص كثيرة كقوله وليس على الله
بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذى جادل فرق المشركين
وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن فى النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هى فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه
اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله انى جاعلك للناس اماما قانتا
لله مطيعا له تعا قائما باوامره تعا حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم كانوا
على ملة ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتباه
للنبوة وهداه الى صراط مستقيم فى الدعوة الى الله تعا وآتيناه فى الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه
ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا فى السعة والطاعة وانه فى الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله و
الحقنى بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتى ابراهيم اتباع الرسول ملته
او لتراخى ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا فى التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل
احد على حسبه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلى فيه للعبادة
على الذين اختلفوا فيه اى على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم
وقالوا نريد يوم السبت لانه تعا فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله تعا السبت وشدد عليهم

وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين والمطيعين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من تابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله تعالى بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله تعالى ووثوقه عليه تعالى فقال واصبر وما صبرك الا بالله اي الا بتوفيقه تعالى وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره تعالى والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه تعالى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية

وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثماني آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه الصلوة والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روي انه عليه السلام كان نائما في بيت ام هانئ بعد

صلوة العشاء فأسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مُثِّل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد وأخبر قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتدّ ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال اني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلّي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان ذلك في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه أسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات ﴿الى المسجد الاقصى﴾ بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد ﴿الذي باركنا حوله﴾ ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى ومحفوف بالانهار والاشجار ﴿لنريه من آياتنا﴾ كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدة بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء ﴿انه هو السميع﴾ لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم ﴿البصير﴾ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك ﴿وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا﴾ اي على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرأ ابو عمرو بالياء على ان لا يتخذوا ﴿من دوني وكيلا﴾ ربا تكلون اليه اموركم غيري ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ﴿ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا﴾ وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف او بدل من واو يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة ﴿انه﴾ ان نوحا عليه السلام ﴿كان عبدا شكورا﴾ يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه السلام ﴿وقضينا الى بني اسرائيل﴾ واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا ﴿في الكتاب﴾ في التوراة ﴿لتفسدن في الارض﴾ جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم ﴿مرتين﴾ افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وقيل ارمياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليه السلام ﴿ولتعلن علوا كبيرا﴾ ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس ﴿فاذا جاء وعد اولاهما﴾ وعد عقاب اولاهما ﴿بعثنا عليكم عبادا لنا﴾ بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى ﴿اولي بأس شديد﴾ ذوي قوة وبطش في الحرب شديد ﴿فجاسوا﴾ فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان ﴿خلال الديار﴾ وسطها

للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله تعالى الكافر على ذلك
أولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد أن يفعل ثم رددنا لكم الكرة أي الدولة
والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله تعالى في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف
بن لهراسف شفقة عليهم فرد أسراءهم إلى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر أو بأن سلط
داود على جالوت فقتله وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل
جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب إلى العدو إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم لأن ثوابه لها وإن أسأتم فلها فإن وبالها عليها وإنما ذكرها باللام
ازدواجا فإذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوءوا وجوهكم أي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية
آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو البعث
أو لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الأوجه الأربعة
على أنه جواب إذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه أول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا
ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم تتبيرا وذلك بأن سلط الله تعالى عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من
الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسألهم عنه فقالوا ۴۵۸
دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال إن لم تصدقوني ما تركت منكم أحدا
فقالوا إنه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ بإذن الله
قبل أن لا أبقي أحدا منهم فهدأ عسى ربكم أن يرحمكم بعد المرة الآخرة وإن عدتم نوبة أخرى عدنا مرة ثالثة إلى
عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بني النضير
وضرب الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد
وقيل بساطا كما يبسط الحصير إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم للحالة أو الطريقة التي هي أقوم الحالات أو الطرق ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وأن الذين لا يؤمنون
بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب
أعدائهم أو على يبشر بإضمار يخبر ويدع الإنسان بالشر ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه
بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الإنسان عجولا يسارع إلى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد آدم عليه السلام فإنه لما انتهى الروح إلى سرته ذهب لينهض فسقط روي أنه عليه السلام دفع أسيرا إلى سودة بنت زمعة فرحمته
لأنينه فأرخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم صلى الله عليه وسلم فقال اللهم إنما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين
اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية فأجيب له فضربت عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على
نسق واحد بإمكان غيرهما فمحونا آية الليل أي الآية التي هي الليل بالإشراق والإضافة فيهما للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود وجعلنا آية

النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصراً اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان الشمس والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيّري الليل والنهار آيتين او وجعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئاً فشيئاً الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلاً من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلاً بيناه بياناً غير ملتبس وكل انسان ألزمناه طائره عمله وما قدر له كأنه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالاً ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويُخرج اي الله عز وجل يلقاه منشوراً لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشوراً حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يُلَقّاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً اي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيباً تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم

٣٥٩ وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزراً وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشيء وآمرته فأمر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضاً مجاز من معنى الطلب ويؤيده ايضاً قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولاً من امر بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين بان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميراً اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا وكثيراً اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة

مقصوراً عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل
واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ يشاء والضمير فيه
لله حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراؤون المسلمين ويغزون معهم
ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن
اراد الاخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفائدة
اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط
الثلاث كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله تعالى الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين
والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل انفه مددا لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اي التفاوت
في الاخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول والمراد
به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا
عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به الا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية
العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الاخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان
تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته
لا يتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوق
النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما
عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تاكيدا للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك
فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي هو
اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب
بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الاذى قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله
عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه
واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد في قوله * وغداة ريح قد كشفت
وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها * للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض

٣٦١

جناحك الذليل واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ
الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما بالامس وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة
ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا
فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد
البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين
للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد
عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره وآت ذا القربى
حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف
المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو
يتوضأ ما هذا السرف قال او في الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم
في الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف والصرف في المعاصي
روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم
بالانفاق في القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فينبغي ان لا يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت
عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء
رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله تعالى ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق
من ربك ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله فقل لهم
قولا ميسورا اي فقل لهم قولا ميسورا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد
الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا واياكم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله تعالى وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر رضي الله عنه بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه صبي فقال ان امي
تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك
الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه اياه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج
فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة فليس

ما يرهقك من الاضاقة لا لمصلحتك انه كان بعباده خبيراً بصيراً يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم
أن يراد أن البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط
ويقبض تارة اخرى فاستنوا بسنته سبحانه وتعالى ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيداً لـ
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم الله تعالى عنه وضمن
لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأً كبيراً ذنباً كبيراً لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع و
الخطء الاثم يقال خطئ خطأً كأثم اثماً وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان خطأً وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه
كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاءً بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء
تخاطأ في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب فهو مبني عليه وقرئ خطاءً بالفتح والمد وخطاً بحذف
الهمزة مفتوحاً ومسكوناً ولا تقربوا الزنا بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلاً ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة
القبح زائدة وساء سبيلاً وبئس طريقاً طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمداً ومن قتل
مظلوماً غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث سلطاناً تسلطاً بالمؤاخذة بمقتضى
القتل على من عليه او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوماً يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلماً فلا يسرف
اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل
ويؤيد الاول قراءة أبي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصوراً علة النهي على الاستئناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله
نصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافاً بايجاب القصاص او التعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلاً ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن
حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله تعالى من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤولاً مطلوباً يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسؤولاً عنه يسأل الناكث
ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتاً للناكث كما يقال للموءودة بأي ذنب قتلت فيكون تخييلاً ويجوز ان يراد ان
صاحب العهد كان مسؤولاً واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
عرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير
ونحوها صار عربياً وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلاً واحسن عاقبة تفعيل
من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به
علمك تقليداً او رجماً بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعاً او ظناً واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي

وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول
الكميت ولا ارمي البرئ بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء
فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث
انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسؤلا في ثلاثتها ضمير كل
اي كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع
والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم
مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها
بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت
انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل
للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين
المذكورة من قوله لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في الواح موسى كان سيئه يعني
المنهي فان المذكورة مامورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصري سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل
وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على
المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه
صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة
بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير
ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله
وتركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته
في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفاكم ربكم
بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله تعالى والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون
واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه تعالى هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة
الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه تعالى حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة
الذين هم من اشرف خلق الله تعالى ادونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه
ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه تعالى على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي
هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما يقولون
ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو

ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول بان يخاطب المشركين به والثانية تنزيه منه تعالى لنفسه اذا

لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولونه فانه سبحانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقوله سيلا مفعما او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفقهون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده ولوا على ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة وتولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على ان تناجيهم بقولهم هذا والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى الرشاد وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل كونوا حجارة

أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر عن
إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاماً مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء
أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فيه فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة وكنتم تراباً وما هو أبعد منه من الحيوة
فسينغضون إليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجباً واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً فإن كل
ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
أي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما
الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم أي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل إنهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه تعالى انقياد الحامدين له تعالى وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً وتستقصرون مدة لبثكم
في القبور كالذي مر على قرية أو مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن
الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين إن الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي
إلى العناد وازدياد الفساد إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً ظاهر العداوة ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم
أو إن يشأ يعذبكم تفسير للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بأنهم من أهل
النار فإن ذلك يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه إلا الله وما أرسلناك عليهم وكيلاً موكولاً إليك
أمرهم تقسرهم على الإيمان وإنما أرسلناك مبشراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال منهم وروي أن المشركين أفرطوا
في إيذائهم فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فأمره الله تعالى بالعفو وربك أعلم بمن في السموات
والأرض وبأحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبياً وأن يكون
العراة الجوع أصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية
لا بكثرة الأموال والأتباع حتى داود عليه السلام فإن شرفه بما أوحي إليه من الكتاب لا بما أوتيه من الملك قيل هو إشارة
إلى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله وآتينا داود زبوراً تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير
الأمم المدلول عليه بما كتب في الزبور من أن الأرض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله تعالى ولقد كتبنا في
الزبور لأنه في الأصل فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس أو الفضل أو لأن
المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضاً من الزبور فيه ذكر الرسول عليه السلام قل ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة
من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلاً ولا
تحويل ذلك منكم إلى غيركم أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة
بالطاعة أيهم أقرب بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة فكيف بغير الأقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون أنهم آلهة إن عذاب ربك كان محذوراً حقيقاً بأن يحذره كل أحد
حتى الملائكة والرسل وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستئصال أو معذبوها عذاباً شديداً بالقتل

وانواع العذاب كان ذلك في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايت وما صرفنا عن ارسال
الايات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها
لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم
لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال واتينا ثمود الناقة آية مبصرة
بينة ذات بصائر او بصائرا واضحات عليهم ذوي ابصار وقرئ بالفتح فظلموا بها كفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما
نرسل بالايات اي المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا انزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا
بعذاب الاخرة فان امرهم موخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته تعالى او احاط بقريش بمعنى اهلكهم
من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقيق وقوعه وما جعلنا الرءيا التي اريناك ليلة
المعراج وتعلق به من قال انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرويا بالروية او عام الحديبية حين راى انه دخل
مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعل الرويا راها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم
الله في منامك قليلا ولما روى انه لما ورد ماءه قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا
مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه
نزو القردة فقال هو حظهم في الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث
في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرويا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل من ان تاكله
النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها و
لعنها في القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان
من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل
والحكم بن ابي العاص وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القرآن كذلك
ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى
الموصول اي خلقته وهو طين او منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف
لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتن الى يوم القيمة
كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان
اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا

من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرّسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته
وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سوّلته له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فِر لصاحبك عرضه فرة وانتصاب
جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من
استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهي
الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل
اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوّت على قوم فاستفزهم من
اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه
وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجّالك وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد
بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة
والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتأخير
التوبة لطول الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه
صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم
سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي
يجري لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما
تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن
اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء
فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افأمنتم الهمزة فيه للانكار والفاء
للعطف على محذوف تقديره انجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قادر ان يهلككم
في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ
ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان
الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة اخرى بخلق دواعي
تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى
الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني آدم
بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهـــدي ...

الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات وانتساق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية
الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضى الله عنه
وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب
والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم
من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او
بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده و
المسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعو نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ
يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعو او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين
ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى
كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب
كذا اى ينقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل
بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين عليهما السلام
وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتى من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرءون كتابهم ابتهاجا
وتبجحا بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى
معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل
والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى ايضا
مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء
لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله
ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف
لفظا وحكما وكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وان كادوا
ليفتنونك نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى
صلوتنا وكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت
العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان
هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال عن الذى اوحينا
اليك من الاحكام لتفترى علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتنانك وليا لهم بريئا من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقوة

٣٦٨

ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا
فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل
على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
في الحيوة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف
موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم
لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من
الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد
كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الاية نزلت في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل
منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد
فان اذن لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه
قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر
اي سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم
ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل
لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر
يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك
عينه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراة فيها ولا دليل
فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي
غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة
بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب
وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل
فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمدك القائم فيه وكل من عرفه وهو
مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي

اشفع فيه لا مثنى لاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار
فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق
ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما
وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه
منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج
ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما
فجعل ينكت بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة
فوق الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو
في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به
واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعّد بنفسه
عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر وناء
على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته
قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه
فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد
من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه
لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي
وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل
وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه
بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات
ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة لذاته وهو اشارة
الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب
العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا

ما أعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو أن ما في الأرض
من شجرة أقلام وما قالوه لسوء فهمهم لأن الحكمة الانسانية أن تعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم
به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله تعالى التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه
كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط
والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده
مسطورا محفوظا إلا رحمة من ربك فإنها إن نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة
من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في تنزيله إن فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال
الكتاب عليك وابقائه في حفظه قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة وحسن النظم
وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة
ولولا هي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب
مالي ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لأن اتيانهم بمثله لا يخرجه
عن كونه معجزة ولأنهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز أن يكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الأنفس
فأبى أكثر الناس إلا كفورا إلا جحودا وإنما جاز ذلك ولم يجز ضربت إلا زيدا لأنه متأول بالنفي وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا
من الأرض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب
تفجر بالتخفيف والأرض أرض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر
أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أي تكون لك بستان يشتمل على ذلك أو تسقط السماء كما زعمت
علينا كسفا يعنون قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن إلا في الروم وابن عامر إلا في هذه السورة ونافع وابو بكر في غيرهما
وحفص فيما عدا الطور وهو إما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة
لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله فإني وقيار بها لغريب أو جماعة فيكون حالا من الملائكة أو يكون لك بيت من زخرف
من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة أو ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم وتنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد
في القدرة هل كنت إلا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم
حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى تتخيرها علي هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل
فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس لفتحنا عليهم بابا وما منع الناس أن يؤمنوا

إذ جاءهم الهدى أي وما منعهم الإيمان بعد نزول الوحي وظهور الحق إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً إلا قولهم هذا والمعنى
أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم من الإيمان بمحمد والقرآن إلا إنكارهم أن يرسل الله تعالى بشراً قل جواباً لشبهتهم لو كان في الأرض
ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي
منه وأما الإنس فعامتهم عماة عن إدراك الملك والتلقف منه فإن ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكاً
يحتمل أن يكون حالاً من رسولاً وأن يكون موصوفاً به وكذلك بشراً والأول أوفق قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم على
أني رسول إليكم بإظهاره المعجزة على وفق دعواي أو على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم عاندتم وشهيداً نصب
على الحال أو التمييز إنه كان بعباده خبيراً بصيراً يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية
للرسول وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه يهدونهم ونحشرهم يوم القيامة
على وجوههم يسحبون عليها أو يمشون بها روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال إن
الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم عمياً وبكماً وصماً لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ
مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لأنهم في دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن
ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف إلى النار مؤوفي القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها
بأن أكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيراً توقداً بأن نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا
بالإعادة بعد الإفناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الإعادة والإفناء وإليه أشار بقوله ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا
وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً لأن الإشارة إلى ما تقدمه من عذابهم أولم يروا أولم
يعلموا أن الله الذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم فإنهم ليسوا أشد خلقاً منهن ولا الإعادة
أصعب عليه من الإبداء وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه هو الموت أو القيامة فأبى الظالمون مع وضوح الحق إلا كفوراً إلا جحوداً
قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي خزائن رزقه وسائر نعمه وأنتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار
لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الإيجاز والدلالة على الاختصاص إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق لبخلتم
مخافة النفاد بالإنفاق إذ لا أحد إلا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فإنما يؤثره لعوض يفوقه فهو إذن بخيل إلا
الذي جود الله تعالى وكرمه هذا وإن البخلاء أغلب فيهم وكان الإنسان قتوراً بخيلاً لأن بناء أمره على الحاجة والضنة
بما يحتاج إليه وملاحظة العوض فيما يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني إسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الثلاثة الأخيرة وعن صفوان أن يهودياً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا
تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا
محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله صلى الله
عليه وسلم فعلى هذا المراد بالآيات الأحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرائع سميت بذلك لأنها تدل على حال

من يتعاطى متعلقها في الآخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تفعلوا ولكم مستأنف او لتتلى الجزاء
ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن حال
دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سال
على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى
نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة
توجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار
اذكر على الاستئناف فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ الكسائي
بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الآيات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي
ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لأظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى عليه السلام
يحوم حول اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان
يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل او الاستئصال فاغرقناه
ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل
اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الآخرة الكرة الآخرة او الحياة او الساعة او الدار الآخرة يعني قيام القيامة
جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه
وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله
اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب
فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم
شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس على مكث على مهل وتؤدة
فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا
فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي
ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة
وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل ورأوا نعتك وصفة ما انزل عليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على
سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون
للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم
على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده

كائنا لا محالة ويخرون للأذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فإن الأول للشكر عند إنجاز الوعد
والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله تعالى وذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الأرض من
وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا
الله أو ادعوا الرحمن نزلت حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهين
وهو يدعو إلها آخر وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله تعالى في التوراة فالمراد على الأول هو التسوية بين اللفظين
بأنهما يطلقان على ذات واحد وإن اختلف اعتبار إطلاقهما والتوحيد إنما هو للذات الذي هو المقصود وعلى الثاني أنهما
سيان في حسن الإطلاق والإفضاء إلى المقصود وهو أجود لقوله أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو
يتعدى إلى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف إليه وما صلة لتأكيد ما في أي
من الإبهام والضمير في فله للمسمى لأن التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أيا ما تدعو فهو حسن فوضع موضعه فله الأسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والإكرام ولا تجهر بصلاتك
بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فإن ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك
من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فإن الاقتصاد في جميع الأمور محبوب روي أن
أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يجهر ويقول أطرد الشيطان وأوقظ
الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك
كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالإخفات نهارا والجهر وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا
ولم يكن له شريك في الملك في الألوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته
نفى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا أو اضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة
على أنه الذي يستحق جنس الحمد لأنه الكامل الذات المنفرد بالإيجاد المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة
أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي
أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي أنه عليه السلام إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة
بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية سورة الكهف مكية وقيل إلا قوله

واصبر نفسك الآية وهي مائة وإحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على إنزاله تنبيها على أنه أعظم نعمائه
وذلك لأنه الهادي إلى ما فيه كمال العباد والداعي إلى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا
من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى أو انحراف من الدعوة إلى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الأعيان قيما مستقيما
معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة
يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير في له أو من الكتاب على أن الواو في ولم يجعل

بمصالح العباد فيكون وصفاً له بالتكميل بعد وصفه بالكمال [illegible]

فيما لينذر بأساً شديداً أي لينذر الذين كفروا عذاباً شديداً فحذف المفعول الأول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصاراً على الغرض المسوق إليه من لدنه صادراً من عنده وقرأ أبو بكر بإسكان الدال إسكان الباء من سبع مع الإشمام ليدل على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للإتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً هو الجنة ماكثين فيه في الأجر أبداً بلا انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً خصهم بالذكر وكرر الإنذار متعلقاً بهم استعظاماً لكفرهم وإنما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم أي بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذي أرادوا به فإنهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والأثر أو بالله إذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ إليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبني كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه في الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وإيهام احتياجه تعالى إلى ولد يعينه ويخلفه إلى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والأول أبلغ وأدل على المقصود تخرج من أفواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على إخراجها من أفواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لأن كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الإشمام إن يقولون إلا كذباً فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم إذا ولوا عن الإيمان شبهه لما تداخله من الوجد على توليهم بمن فارقته أحبته فهم يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وقرئ باخع نفسك على الإضافة إن لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن أسفاً للتأسف عليهم أو متأسفاً عليهم والأسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح على لأن فلا يجوز إعمال باخع إلا إذا جعل حكاية حال ماضية إنا جعلنا ما على الأرض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولأهلها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً في تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجي به أيامه وصرفه على ما ينبغي وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً تزهيد فيه والجرز الأرض التي قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى إنا لنعيد ما عليها من الزينة تراباً مستوياً بالأرض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه أم حسبت بل أحسبت أن أصحاب الكهف والرقيم في إبقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجباً وقصتهم بالإضافة إلى خلق ما على الأرض من الأجناس والأنواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها إليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبي الصلت وليس بها إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف همد أو لوح رصاصي أو حجري رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء فأووا إلى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال واحد استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل في بقيته مثل عملهم فأعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته في جانب البيت ثم مر بي بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع إلي بعد حين شيخاً ضعيفاً لا أعرفه وقال إن لي عندك حقاً وذكره حتى عرفته فدفعتها إليه جميعاً اللهم إن كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا

فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان في فضل واصاب الناس شدة فجاءتني امرأة فطلبت مني معروفا فقلت
والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبي له واغيثي عيالك فأتت وسلّمت
الي نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفته في الشدة ولم اخفه في الرخاء
فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لي ابوان همّان
وكانت لي غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمي فحبسني ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلي واخذت
محلبي فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق علي ان اوقظهما فتوقفت جالسا ومحلبي على يدي حتى ايقظهما الصبح
فسقيتهما اللهم ان فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله تعالى عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ أوى الفتية الى
الكهف جمع فتى وهم شبان من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب
لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذي نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه
راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشيء فضربنا على
آذانهم اي ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لا تنبههم الاصوات فحذف المفعول كما حذف في قولهم بنى على امرأته
في الكهف سنين عددا اي ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم
عنده تعالى ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اي الحزبين
المختلفين منهم او من غيرهم في مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا اضبط امدا لزمان لبثهم وما في اي من معنى الاستفهام علق
عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعول له ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل انه المفعول
واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا
منصوب بفعل دل عليه كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان
جمع فتى كصبي وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم قويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل
والمال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا ذا شطط اي ذا بعد عن الحق مفرط في الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من
دونه الهة هو الخبر في معنى الانكار لولا هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بيّن برهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ
الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
بنسبة الشريك اليه تعالى واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اي واذ اعتزلتم
القوم ومعبودهم الا الله تعالى فانهم كانوا يعبدون الله تعالى ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان يكون ما
مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله تعالى وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية
بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط لكم الرزق ويوسع عليكم من رحمته
في الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم

بج

بفضل الله وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح
وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم
فتؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنهم واصله تتزاور فادغمت التاء في الزاي وقرأ الكوفيون بحذفها وابن
عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا
غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعني يمين الكهف وشماله لقوله وهم في فجوة منه اي وهم في متسع من الكهف
يعني في وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف في مقابلة بنات
النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة
عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذي يلي المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه ويحلل عفونته
ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فتؤذي اجسادهم وتبلي ثيابهم ذلك من آيات الله اي شأنهم وايواؤهم الى كهف كذلك او اخباره
او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذي اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء
عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها
ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم
وهم رقود نيام ونقلبهم في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ
ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اي وترى تقلبهم وكلبهم هو
كلب مروا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله تعالى فناموا وانا احرسكم او كلب راع مروا به فتبعهم و
كلبه ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم اي وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل بالوصيد
بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت بضم الواو لوليت منهم
فرارا هربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا خوفا يملأ صدرك
لما البسهم الله تعالى من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد
للمبالغة وابن عامر والكسائي ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرته
ليتساءلوا بينهم ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله تعالى بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى
ويستبصروا به امر البعث ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم بناء
على غالب ظنهم لان النائم لا يحصي مدة نومه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون
ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم في يومهم
او اليوم الذي بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان الامر ملتبس

لا طريق لهم الى علمه احكل واقيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة
كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وابو بكر وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف في الكاف وبالتخفيف
مكسور الواو ومدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على ان التزود رأي
المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اي اهلها ازكى طعاما احل واطيب او اكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف
وليتكلف اللطف في المعاملة حتى لا يغبن او في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي الى الشعور انهم
ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر في ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم في
ملتهم او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في
ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم
على حالهم ان وعد الله بالبعث او الموعود الذي هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب في امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها ثلثمائة سنين حافظا ابدانها
عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قدر ان يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها
اذ يتنازعون ظرف لاعثرنا اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث
الارواح مجردة دون الاجساد وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية
حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة او قالت طائفة تبنى عليهم
بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال الله تعالى فقالوا ابنوا
عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله تعالى
ردا على الخائضين في امرهم من اولئك المتنازعين او من المتنازعين فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم او من
المتنازعين للرد الى الله تعالى بعدما تذكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك روي ان المبعوث لما دخل
في السوق واخرج الدرهم كان عليه اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا
عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل
المدينة من مؤمن وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله تعالى ونعيذك به من شر الجن
والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم
حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا سيقولون اي الخائضون في قصتهم في عهد
الرسول عليه السلام من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم
قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى
او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به او ظنا
بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة

وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله قل ربي
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف
في الثلثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما قوله رجما
بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا عن المعرفة لتأكيد
لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن علي رضي الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم اسماؤهم
يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم
والسابع الراعي الذي وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم
فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل في شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما في القرآن
من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما
اوحي اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤول عنه وتزييف ما عنده فانه
مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهي تأديب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم
حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن
فابطأ عليه الوحي بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهي اي ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل له
فيما يستقبل الا بان يشاء الله اي الا متلبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى
ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه
لا يناسب النهي واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روي انه لما نزل قال عليه السلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط
منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تاخير الاستثناء عنه
وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس في الآية والخبر ان الاستثناء
المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول عليه به ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت
الاستثناء مبالغة في الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك او اذكره اذا
اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على
نبوتي من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة في الاعصار
المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسي ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا يعني لبثهم
فيه احياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا في مدة لبثهم كما
اختلفوا في عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائي ثلثمائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل في العدد اضافته
الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفي من

احوال اهلها فلا يخفى عليه شيء ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره تعالى في الادراك خارج عما عليه
ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شيء ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفي وجلي والهاء تعود
الى الله تعالى ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اي صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء
فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما في قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل
ضمير المامور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير
لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ولا يشرك في حكمه في قضائه احدا منهم ولا يجعل له
فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهي كل احد من الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة
اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول عليه السلام على انه وحي معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه
فقال واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل
لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر
نفسك واحبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في مجامع اوقاتهم او في طرفي النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة
وفيه ان غدوة علم في الاكثر فيكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضاء الله تعالى وطاعته ولا تعد عيناك
عنهم ولا تجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعدّ من اعداه وعدّاه
والمراد نهي الرسول عليه السلام ان يزدري بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زي الاغنياء
تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف في المشهورة ومن المستكن في الفعل في غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من
جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف في دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعي
له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه في المحسوسات حتى خفي عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه
لو اطاعه كان مثله في الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته
كذلك او نسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسم بالذكر قلوبهم كالقلوب الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد
على ان المراد لبسط ظاهره ذكرا ولا يعقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب
معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اي تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره
يقال فرس فرط اي متقدم الخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله تعالى لا ما يقتضيه الهوى
ويجوز ان يكون الحق خبر محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالي بايمان من آمن وكفر من كفر وهو
لا يقتضي استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها
فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط
من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا
بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية للماء او حال من المهل والضمير في الكاف

بئس الشراب المهل وساءت النار مرتفقا متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت
مرتفقا والا فلا ارتفاق لأهل النار إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا خبر إن الأولى هي الثانية
بما في حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه في قولك
نعم الرجل زيد أو واقع موقعه الظاهر فإن من أحسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين آمنوا وعملوا الصالحات
أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار خبره وما بينهما اعتراض أو الأول استئناف لبيان الأجر أو خبر
ثان يحلون فيها من أساور من ذهب من الأولى للابتداء والثانية للبيان صفة لأساور وتنكيرها لتعظيم حسنها من
الإحاطة به وهو جمع أسورة أو أسوار في جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لأن الخضرة أحسن الألوان وأكثرها
طراوة من سندس وإستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على أن فيها ما تشتهي
الأنفس وتلذ الأعين متكئين فيها على الأرائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها و
حسنت الأرائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين أو موجودين قيل هما أخوان
من بني إسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر بها ضياعا
وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل أمرهما إلى ما حكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما أخوان من بني مخزوم كافر
وهو الأسود بن عبد الأسد ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب بستانين من الكروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل أو صفة لرجلين وحففناهما
بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم إذا طافوا به وحففته بهم إذا جعلتهم حافين حوله
فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به وجعلنا بينهما زرعا وسطهما ليكون كل منهما جامعا للأقوات والفواكه
متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الأنيق كلتا الجنتين آتت أكلها ثمرها وإفراد الضمير لإفراد لفظ
كلتا الجنتين أي كل واحدة ولم تظلم منه ولم تنقص من أكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فإن الثمار تتم في عام وتنقص في
عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فإنه الأصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له
ثمر أنواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله إذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وأبو عمرو بضم الثاء وإسكان الميم
والباقون بضمهما وكذلك في قوله تعالى وأحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام من حار إذا رجع أنا أكثر منك
مالا وأعز نفرا حشما وأعوانا وقيل أولادا ذكورا لأنهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها
ويفاخره بها وإفراد الجنة لأن المراد ما هو جنته وما متع به من الدنيا تنبيها على أن لا جنة له غيرها ولا حظ له
في الجنة التي وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالأخرى أو لأن الدخول يكون في واحدة واحدة وهو
ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما أظن أن تبيد أن تفنى هذه الجنة أبدا لطول أمله وتمادي
غفلته واغتراره بمهلته وما أظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت إلى ربي بالبعث كما زعمت لأجدن خيرا منها
من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما أي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لأنها فانية وتلك باقية وإنما أقسم على

لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستيهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو
يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك ومادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة
ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله لان منشاه الشك في كمال
قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه تعالى اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر ان يعيده منه لكنا هو الله
ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة بنقل الحركة او دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرا ابن عامر ويعقوب
في رواية بالالف في الوصل لتعويضها من الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو
بالجملة الواقعة خبرا له خبر انا او ضمير الله تعالى والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر
بالله تعالى لكني مؤمن به تعالى وقرئ لكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها
ما شاء الله الامر ما شاء الله تعالى او ما شاء الله تعالى كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله تعالى كان على انها شرطية والجواب محذوف
اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله تعالى ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله تعالى وقلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز
على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي عليه السلام من راى شيئا فاعجبه فقال ما شاء
الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل
بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترن وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في
الدنيا او في الاخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق
وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق
عليها باستيصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له
طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو ماخوذ
من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو
اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق
بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية اي
ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب او حال من
ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتي من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك
الله تعالى بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرا حمزة والكسائي بالياء
لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك او رد المهلك او الاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على
ذلك وحده وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله تعالى منه هنالك في ذلك المقام وتلك
الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا له او لم تكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي

اى وليّه وقرأ حمزة والكسائى بالكسر ومعناها السلطان والملك اى هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه او لا
يعبد غيره كقوله واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك كان
عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو والكسائى الحقُّ بالرفع صفة للولاية وقرئ
بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عُقْباً بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة
الدنيا اذكر لهم ما يشبهه الحيوة الدنيا فى زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا
ثانيا لاضرب على انه بمعنى صيّر انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من
كثرته وتكاثفه او نجع الماء فى النبات حتى روى ورفّ وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين
موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة فى كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى و
ليس المشبه به نفس الماء بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهى حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح
فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شىء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا المال والبنون زينة الحيوة الدنيا يتزين
بها الانسان فى دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات التى تبقى له ثمرتها ابد الآباد ويندرج فيها
ما فسر به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب
خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة وخير املا لان صاحبها ينال بها فى الآخرة ما كان يؤمل بها فى الدنيا ويوم
نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها فى الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات
٣٨٣ الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تُسيَّر بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تَسير من
سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وتُرى على بناء المفعول وحشرناهم
وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا
ما وعد لهم وعلى هذا يكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر منهم احدا فلم نترك يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه
الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك صفا شبه حالهم بحال الجند المعروضين على
السلطان لا ليعرفهم بل ليامر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا
او عاملا فى يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شىء معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم
الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم وبل للخروج من
قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال فى الايمان والشمائل او فى الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين
خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات مال هذا الكتاب تعجبا
من شانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا
فى الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد فى عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كرره فى مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها فى تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين

واستقبح صنيعهم تذكيرًا لهم بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها
حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولاً في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحات خير وابقى
من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القران كان من الجن
حال باضمار قد او استيناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود
والفاء للسببية وفيه دليل على ان الملك لا يعصي البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة
البقرة افتتخذونه وذريته اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجيب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية
مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله ابليس
وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفي احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض
واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله وما كنت متخذ المضلين عضدا
اي اعوانا ردا لاتخاذهم اولياء من دون الله تعالى شركاء له في العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك
فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين
والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو امنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا
تلتفت الى قولهم طمعا في نصرتهم للدين فانه لا ينبغي لي ان اعتضد بالمضلين لديني ويعضده قراءة من قرأ وما
كنت على خطاب الرسول عليه السلام وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا
كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اي الله للكفار وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائي الذين زعمتم
انهم شركائي او شفعاؤكم ليمنعوكم من عذابي واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس
وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوهم وجعلنا بينهم بين الكفار والهتهم موبقا
مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هي في شدتها هلاك كقول عمر رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم
مكان او مصدر من وبق يبق وبوقا او وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اي وجعلنا تواصلهم في الدنيا
هلاكا يوم القيامة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها
مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه
وكان الانسان اكثر شيء يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا
من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعي والقران المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار عن الذنوب
الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبيلا وانتصابه على الحال من الضمير او
العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا

بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال
الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل
ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتي يعني القرآن وما انذروا وانذارهم او والذي انذروا به من العقاب هزوا
استهزاء وقرئ هزوا بالسكون وهو ما يستهزأ به ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فأعرض عنها
ولم يتذكر بها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتهما انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم
ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفي آذانهم وقرا يمنعهم ان
يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون
واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول عليه السلام على تقدير قوله ما لي لا ادعوهم فان حرصه عليه السلام على اسلامهم
يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب
استشهاد على ذلك باهمال قريش مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم
القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعني قرى عاد
وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف
في احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصي وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم
وقتا معلوما لا يستاخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتاخير العذاب عنهم وقرأ
ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اي لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض
واذ قال موسى اذكر اذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم السلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك
سماه فتاه وقيل لعبده لا ابرح لا ازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين
من حيث انها تستدعي ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول عما انا عليه من السير والطلب
ولا افارقه فلا يستدعي الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل
البحران موسى وخضر عليهما السلام فان موسى كان بحر علم الظاهر وخضر بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم
على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع او مضي الحقب
او حتى ابلغ الا ان امضي زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روي ان موسى
خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى
الله تعالى اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر في ايام افريدون وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر و
بقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك
اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس

الى جمله عسى ان يصيب كلمة تدل على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تاخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع او بمعنى الوصل نسيا حوتهما نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما راى من حيوته ووقوعه فى البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى او الخضر عليهما السلام وقيل توضا يوشع من عين الحيوة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره وما يكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله فى البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله تعالى جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه او من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه اتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة اى ارايت ما دهانى اذ اوينا الى الصخرة يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى عليه السلام وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت فانى نسيت الحوت فقدته او نسيت ذكره بما رايت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرى ان اذكر له وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه او لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان واتخذ سبيله فى البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب او اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى اخر كلامه او موسى فى جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا قال ذلك اى امر الحوت ما كنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على اثارهما فرجعا فى الطريق الذى جاءا فيه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان اثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا الجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس اتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرا البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستاذن ان يكون تابعا له وسال منه

منها ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معي صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه
من التاكيد كانها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي وكيف تصبر
وانت نبي على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى
لم تخبره قال ستجدني ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا اي ستجدني صابرا
وغير عاص او على ستجدني وتعليق الوعد بالمشية اما للتيمن واما لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف
المعتاد شديد فلا خلف فيه وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشية الله تعالى قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء فلا تفاتحني بالسؤال عن شيء انكرته مني ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه
وقرا نافع وابن عامر فلا تسألني بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها
اخذ الخضر فاسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول
الماء فيها المفضي الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرا حمزة والكسائي ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد
جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا تذكير لما ذكره قبل
قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته يعني وصيته بان لا يعترض عليه او بنسياني اياها وهو
اعتذار بالنسيان اخرجه في معرض النهي عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني
بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شيء آخر نسيه ولا ترهقني من امري عسرا
ولا تغشني عسرا من امري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر علي متابعتك وعسرا مفعول ثان
لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اي بعدما خرجا من السفينة حتى
اذا لقيا غلاما فقتله قيل فتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه
قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اي طاهرة من الذنوب وقرا ابن كثير و
نافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزكية التي لم تذنب قط والزاكية التي اذنبت ثم غفرت
ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضي قتلها او قتلت
نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء
واعتراض موسى مستانفا وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان
جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اي منكرا وقرا نافع في رواية قالون وورش
وابن عامر ويعقوب وابو بكر نكرا بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا
زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه
الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة
قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني اي فلا تجعلني

صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلث مرات وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرا نافع لدني بتحريك
النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدني من نصر الخبيبين قدي وابو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد
من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة البصرة وقيل باجروان ارمينية استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف
السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يداني ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها
الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل وقال ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان
وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض
وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه
بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه
فضول لما في لو من النفي كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ
افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرا ابن كثير والبصريان لتخذت اي لاخذت واظهر ابن كثير و
يعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بيني وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني
او الى الاعتراض الثالث او الوقت اي هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة
المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن
فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر لمحاويج وهو دليل
على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك او لزمانتهم فانها كانت
لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم
او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندي بن كركر وقيل منوار بن جلندي الازدي ياخذ كل سفينة غصبا من اصحابها
وكان حق النظم ان يتاخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب
عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه
على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها
واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما
شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالاته
على طغيانه وكفره حبا وانما خشي ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نجدة الحروري كتب اليه كيف
قتله وقد نهى النبي عليه السلام عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى
فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اي فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل

فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والأخلاق الردية وأقرب
رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله تعالى به أمة من الأمم وقرأ نافع
وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بضم الحاء بالتثقيل وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك
زكوة وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما
من ذهب وفضة روي ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكوتهما
وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت
لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن
بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وكان أبوهما صالحا
تنبيه على أن سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء وكان سياحا واسمه كاشح
فأراد ربك أن يبلغا أشدهما أي الحلم وكمال الرأي ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك ويجوز أن يكون
علة أو مصدرا لأراد فإن إرادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل إسناد
الإرادة أولا إلى نفسه لأنه المباشر للتعييب وثانيا إلى الله تعالى وإلى نفسه لأن التبديل بإهلاك الغلام وإيجاد الله تعالى
بدله وثالثا إلى الله تعالى وحده لأنه لا مدخل له في بلوغ الغلامين أو لأن الأول في نفسه شر والثالث خير والثاني
ممتزج أو لاختلاف حال العارف في الالتفات إلى الوسائط وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن أمري عن رأيي وإنما
فعلته بأمر الله تعالى ومبنى ذلك على أنه متى تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل
ممهد غير أن الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا أي ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن
فوائد هذه القصة أن لا يعجب المرء بعلمه ولا يبادر إلى إنكار ما لا يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وأن يداوم على التعلم
ويتذلل للمعلم ويراعي الأدب في المقال وأن ينبه المجرم على جرمه ويعفو عنه حتى يتحقق إصراره ثم يهاجر عنه ويسألونك
عن ذي القرنين يعني إسكندر الرومي ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمي ذا القرنين أو لأنه طاف
قرني الدنيا شرقها وغربها وقيل لأنه انقرض في أيامه قرنان من الناس وقيل كان له قرنان أي ضفيرتان وقيل كان
لتاجه قرنان ويحتمل أنه لقب بذلك لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع كأنه ينطح أقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق
على إيمانه وصلاحه والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا أو مشركو مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا خطاب للسائلين
والهاء لذي القرنين وقيل لله تعالى إنا مكنا له في الأرض أي مكنا له أمره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول و
آتيناه من كل شيء أراده وتوجه إليه سببا وصلة توصله إليه من العلم والقدرة والآلة فأتبع سببا أي فأراد بلوغ
المغرب فأتبع سببا يوصله إليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الألف مخففة التاء حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين
حمئة ذات حمأة من حمئت البئر إذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر حامية أي حارة ولا تنافي بينهما
لجواز أن تكون العين جامعة للوصفين أو حمية على أن ياءها مقلوبة من الهمزة لكسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل

المحيط فراها كذلك اذ لم يكن فی مطمح بصره غیر الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقیل ان ابن عباس
سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فی ماء وطين كذلك نجده
فی التورية ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره
الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا یا ذا القرنين اما ان تعذب ای بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم
حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فی مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال
اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا ای فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على
كفره او استمر على ظلمه الذی هو الشرك فنعذبه انا ومن معی فی الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله تعالى فی الاخرة عذابا منكرا لم يعهد
مثله واما من امن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله فی الدارين جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة
والكسائی ويعقوب وحفص جزاء منونا منصوبا على الحال ای فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر
حالا ای يجزى بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على
انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير ای ليكن شانك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثانی لمن تاب عنه ونداء الله تعالى اياه ان كان نبيا فبوحی وان كان
غيره فبالهام او على لسان نبی وسنقول له من امرنا مما نامره به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر
ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء وكذلك
ما بعده حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعنی الموضع الذی تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف ای مكان
مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية وانهم
اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك ای امر ذی القرنين كما وصفناه فی رفعة المكان وبسطة الملك او امره فيهم كامره
فی اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم ای على قوم مثل ذلك
القبيل الذی تغرب عليهم الشمس فی الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق
بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعنی طريقا ثالثا
معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبنی بينهما سده وهما جبلا
ارمينية واذربيجان وقيل جبلان منيفان فی اواخر الشمال فی منقطع ارض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع
وابن عامر وحمزة والكسائی وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى
والمفتوح لما عمله الناس لانه فی الاصل مصدر سمی به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول
به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائی
يفقهون ای لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين ای قال مترجمهم وفی مصحف ابن مسعود
قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل

اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمزة كما قرأ عاصم ومنع صرفهما للتعريف
والتانيث مفسدون في الارض اي في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزروع وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون
اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا ياكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ
حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم
سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني
فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة لي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني
بقوة اي بقوة فعلة او بما اتقوى به من الآلات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع آتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج
والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ايتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة
على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون
الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل
لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اي قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى
اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء قال آتوني افرغ عليه قطرا اي آتوني قطرا اي نحاسا مذابا افرغ
عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثاني من العاملين المتوجهين
نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتوني لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة
وابو بكر قال ايتوني موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقي متقاربين وقرأ حمزة بالادغام
جامعا بين ساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه
وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته وقيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب
والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب النحاس
المذاب عليها فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض
بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربي على عباده فاذا جاء
وعد ربي وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى
بالارض مصدر بمعنى مفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اي ارضا مستوية وكان وعد
ربي حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية قول ذي القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض وجعلنا بعض
يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون في بعض مزدحمين في البلاد او يموج بعض الخلق في بعض
فيضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ في الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين وابرزناها واظهرناها لهم عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن اياتي
التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكري وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان
الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا
والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادي اتخاذهم الملائكة والمسيح من دوني اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف
المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اي افكافيهم
في النجاة فان بما في حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل او خبر له
انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه
قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل
سعيهم في الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخراهم ومحله الرفع على
الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم
واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة
ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
فنزدري بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او فلا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك الامر ذلك وقوله
جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اي جزاؤهم به او جزاؤهم بدله
وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا اي بسبب ذلك ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان
الذي يجمع الكرم والنخل خالدين فيها حال مقدرة لا يبغون عنها حولا تحولا اذ لا يجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم
ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشيء كالحبر للدواة والسليط للسراج
لكلمات ربي لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربي فانها
غير متناهية لا تنفد كعلمه ولو جئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل
مجموع ما يدخل في الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهي الابعاد والمتناهي ينفد قبل ان ينفد
غير المتناهي لا محالة وقرأ حمزة والكسائي ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان
اليهود قالوا في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وتقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا قل انما انا بشر مثلكم
لا ادعي الاحاطة على كلماته يوحى الي انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه يأمل
حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولا يشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه او يطلب منه اجرا روي ان جندب بن زهير
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعمل العمل لله تعالى فاذا اطلع عليه سرني فقال عليه السلام ان الله تعالى لا يقبل
ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال

الرياء والآية جامعة لخلاصتي العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص في الطاعة وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نوراً في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه
حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة
يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه السلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه
الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الارض الى السماء

فهرست

طبع المجلد الاول من التفسير المعروف

بالبيضاوي المسمى كاسمه

انوار التنزيل واسرار

التاويل

ويتلوه المجلد الثاني بعون الملك الجليل

٣٩٣

DUE DATE

٢٩٤٥١٢